"لأنني قلت ذلك!"

٣٦٦ فكرة ثاقبة وملهمة عن أساليب التربية والحياة الأسرية

جون روزموند

صاحب أكثر الكتب رواجاً في مجال تربية الأطفال والحياة الأسرية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

" لأننى قلت ذلك ! "

٣٦٦ فكرة ثاقبة وملهمة
عن أساليب التربية
والحياة الأسرية

جون روزموند





المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)

ص. ب ٣١٩٦	تليفون	٤٦٢٦٠٠٠	١	+٩٦٦
الرياض ١١٤٧١	فاكس	٤٦٥٦٣٦٣	١	+٩٦٦

المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)

شارع العليا	تليفون	٤٦٢٦٠٠٠	١	+٩٦٦
شارع الأحساء	تليفون	٤٧٧٣١٤٠	١	+٩٦٦
شارع الامير عبدالله	تليفون	٢٦٤٥٨٠٢	١	+٩٦٦
شارع عقبة بن نافع	تليفون	٢٧٨٨٤١١	١	+٩٦٦
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦)	تليفون	٢٧٥٤٧١٠	١	+٩٦٦

القصيم (المملكة العربية السعودية)

شارع عثمان بن عفان	تليفون	٣٨١٠٠٢٦	٦	+٩٦٦

الخبر (المملكة العربية السعودية)

شارع الكورنيش	تليفون	٨٩٤٣٣١١	٣	+٩٦٦
مجمع الراشد	تليفون	٨٩٨٢٤٩١	٣	+٩٦٦

الدمام (المملكة العربية السعودية)

الشارع الأول	تليفون	٨٠٩٠٤٤١	٣	+٩٦٦

الاحساء (المملكة العربية السعودية)

المبرز طريق الظهران	تليفون	٥٣١١٥٠١	٣	+٩٦٦

جدة (المملكة العربية السعودية)

شارع صاري	تليفون	٦٨٢٧٦٦٦	٢	+٩٦٦
شارع فلسطين	تليفون	٦٧٣٢٧٢٧	٢	+٩٦٦
شارع التحلية	تليفون	٦٧١١١٦٧	٢	+٩٦٦
شارع الأمير سلطان	تليفون	٢٣٨٢٠٥٥	٢	+٩٦٦

مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)

أسواق الحجاز	تليفون	٥٦٠٦١١٦	٢	+٩٦٦

الدوحة (دولة قطر)

طريق سلوى - تقاطع رمادا	تليفون	٤٤٤٠٢١٢		+٩٧٤

أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)

مركز الميناء	تليفون	٦٧٣٣٩٩٩	٢	+٩٧١

الكويت (دولة الكويت)

الحولي - شارع تونس	تليفون	٢٦١٠١١١		+٩٦٥

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلاتنا على :

jbpublications@jarirbookstore.com

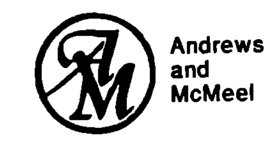
الطبعة الأولى ٢٠٠٦

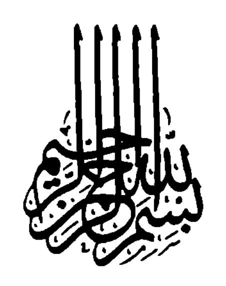
"Because I Said So!"

366 Insightful and Thought-Provoking Reflections on Parenting and Family Life

John Rosemond







المقدمة

بدأت تأليف هذا الكتاب منذ عشرين عاماً في يوليو ١٩٧٦ ، وهو الكتاب السابع الذى تنشره لى دار نشر " أندروز آند ماكميل " . وقد شهد هذا العام بداية كتابتى لعمود أسبوعى عن تنمية شخصية الأطفال ووسائل تربيتهم وذلك فى جريدة بلدتى المحلية " **Gastonia Gazette** " . وسرعان ما قامت مائة جريدة أخرى منتشرة فى كل أنحاء البلاد بنشر هذا العمود . وأنا أكتب كذلك سبع أو ثمانى مقالات سنوياً لمجلة " **Better Homes and Gardens** " ، كما تنشر لى مجلة " **Signs of the Times** " الأسبوعية مقالاً شهرياً . كما يدخل على موقع شبكة الإنترنت الخاص بى ـ والمكون من ست صفحات ـ نحو ٣٠,٠٠٠ زائر كل شهر . وفى أغسطس عام ١٩٩٦ ـ عام إصدار هذا الكتاب ـ أرسل المقال الرئيسى فى رسالتى الإخبارية " **Affirmative Parenting** " لنحو ٥,٠٠٠ مشترك . وحالياً أقوم بتأليف كتابى الثامن الذى يدور حول المراهقين ، والذى يترقبه الآباء بشدة . وقد فكرت أن يكون عنوان هذا الكتاب **" The Last Book You'll Ever Need to Read About Teenagers by the World's Only Legitimate Authority on The Subject "** ، أو عنواناً يحمل نفس هذا المعنى . وسوف يصدر هذا الكتاب ـ إن أسعفنى ما تبقى لى من وحى ـ قريباً .

بالإضافة إلى كتاباتى المتعددة التى أشرت إليها أعلاه ، فقد قمت كذلك بإلقاء مائتى عرض تفصيلى ، وقمت بإعداد ورش للآباء والمتخصصين فى كل أنحاء البلاد . وإن كنت لا تعلم ذلك بالفعل ، فلقد منحت لقب " أظرف طبيب نفسى بالعالم " ، والذى لا يدل كثيراً على مكنونه فى الحقيقة . على سبيل المثال يعتقد عدد كبير من متخصصى الصحة الذهنية ـ أكثر الأطباء خفة ظل ـ أننى لست ظريفاً على الإطلاق . حسب اعتقادهم ، فإننى لا أعدو كونى مجرد رجل خطير ـ بكل ما تحمله الكلمة من معنى ـ يشكل عاراً على مهنة الطب النفسى ، إنهم يعتبروننى كالفرس الهائج الذى لا يعرف أحد كيف يكبح

جماحه ، أو كشخص يتسبب فى كثير من الأذى . وتصنيفى بمثل هذه الصفات فى مجال تخصصى والحرب المندلعة بينى وبين مؤسسة الصحة الذهنية قد تناولتها بالتفصيل فى كتابى السادس " A Family of Value " ، لذا فإننى لن أتطرق لهذا الموضوع هنا . ويكفينى القول إننى قد شكلت تهديداً للمؤسسة لأننى امتلكت الجرأة الكافية لكى أؤكد أن معظم - وربما ٩٥ ٪ من - النصائح التى أسداها من يطلق عليهم " متخصصون " فى مجال تربية الأطفال على مدار الثلاثين عاماً المنصرمة هى محض هراء . وقد أسهمت تلك النصائح فى معاناة الأسر الأمريكية الآن من مختلف المشكلات ، ويبدو أنها السبب فى عجز العديد من الآباء - الذين لولا هذه النصائح لكانوا أكثر مسئولية وحزماً - عن التوصل لطرق تهذيبية سليمة يستطيعون من خلالها فرض السيطرة على أطفالهم .

ففى خلال الثلاثة عقود الماضية تقريباً ، قام متخصصو الصحة الذهنية بتشييد برج من الأساليب التربوية الحمقاء فى الولايات المتحدة . فقد نجحوا فى أن يستبدلوا بأساليب التربية البسيطة والواقعية أساليب مبالغاً فيها مستخدمين خرافات لا أساس لها من الصحة عن الأسرة التقليدية والطرق التقليدية فى تربية الأطفال ، ومنها :

> تمت تربية جميع مواليد فترة ما قبل عصر النهضة التربوية (والتى حدثت فى عام ١٩٦٥ تقريباً) فى كنف أسر مختلة مصابة بمرض نفسى قاموا بنقله لأطفالهم بل وأساءوا معاملتهم نفسياً إن لم يكن جسمانياً . وإن كنت تتذكر أنك قد تعرضت للإساءة ، إذن فقد تعرضت للإساءة ، أما إن لم تكن تتذكر أية إساءة ، فإنك بالتأكيد قد تعرضت للإساءة بشكل أكبر .

إن تلك الفقرة هى إحدى أغبى وأسخف ما قرأت على الإطلاق ، ولم يدهشنى قط أن متخصصى الصحة الذهنية قد نجحوا فى غرس تلك الخرافة داخل ثقافتنا . والرسالة التى تكمن وراء تلك الخرافة هى : يجب علينا نحن مواليد عصر النهضة - مهما كلفنا الأمر - ألا نربى أطفالنا بنفس الطرق التى تربينا بها نحن . ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أنه منذ أن تفشت تلك الفلسفة الجديدة عن التربية فى الولايات المتحدة أخذت جميع مؤشرات الصحة

الذهنية لدى أطفالنا فى الانحدار بشدة . فمع اقترابنا من الألفية الجديدة ، خرجت تربية الأطفال فى أمريكا عن المسار الصحيح ، ونفس الشيء حدث لمبادئ الأسرة التقليدية ، وأصبحت أمريكا التى كنت أومن بها وأنا طفل (والتى كانت موجودة بالفعل بخلاف ما تؤكده الخرافة) على حافة الهاوية . ولكى نخطو فوق المسار الصحيح مجدداً يجب علينا أن نشجب وبشدة كل الأكاذيب المتخصصة المتعلقة بالأسرة التقليدية وكذلك كل الآراء والمعتقدات الجديدة حول الأطفال والعائلات ، ونبدأ مرة أخرى فى احترام وتبجيل آبائنا وأمهاتنا . وعلى الرغم من أن قلة قليلة من الناس عانوا بالفعل أثناء مرحلة طفولتهم ، إلا أن السلوكيات والطرق والتقاليد والقيم التى استخدمها أسلافنا (هذه الكائنات المريضة ، أو معظمهم) فى تربية أطفالهم (والذين كانوا مرضى كذلك ، أو معظمهم) كانت فعالة حقاً ، والدليل على ذلك هو الشخصيات العظيمة التى برزت فى كل مكان على مدار التاريخ . ولقد جعلت من هذا الكتاب احتفاءً بهذه المبادئ والقيم .

فقد جمعت فى هذا الكتاب ٣٦٦ مقتطفاً واقتباساً من أقيم الكتب والمقالات وعواميد الصحف التى نشرت على مدار العشرين عاماً الماضية ، بالإضافة إلى بعض الخواطر الخاصة بى والتى جاءتنى أثناء جمع هذه المادة . ويغطى هذا الكتاب كل الموضوعات الخاصة بالأطفال بدءاً من المصروف وحتى موضوع التنافس بين الإخوة . ولقد أطلقت عليه اسم " لأننى قلت ذلك ! " لأسباب عدة هى : (١) لأننى قلت بالفعل كل الأشياء التى أوردتها بالكتاب ، (٢) لأننى مقتنع كل الاقتناع بأن تلك الأفكار بديهية وقد أثبت التاريخ فعاليتها بالفعل بخلاف النظريات الحديثة ، (٣) أعتقد أنه عنوان شيق ولم يسبق لأحد استخدامه من قبل ، (٤) إنه طريقة بسيطة أعبر بها عن جل تقديرى واحترامى لأبى ، وأمى ، وزوجة أبى ، وزوج أمى . فهم لم يترددوا قط فى إلقاء تلك الكلمات الثلاث على مسامعى ، وأنا لم أتأذى مطلقاً نتيجة هذا . باختصار ، إننى أهدى هذا الكتاب لآبائنا وأمهاتنا بسبب كل أفكارهم عن تربية الأطفال والتى ورثوها بالفعل عن الأجيال السابقة لهم . إننى فقط أحاول أن أنفض الغبار الذى أخذنا فى إلقائه عليهم منذ منتصف الستينيات . فأنا كزوج منذ ٢٩ عاماً وكأب منذ ٢٨ عاماً وكطبيب نفسى منذ ٢٤ عاماً وكجد منذ ثمانية عشر شهراً ـ مقتنع تماماً بأنه لا يوجد أى شيء جديد ـ **أى شيء** ! ـ فيما يخص الأطفال وطرق تربيتهم . فقد توصل أسلافنا بالفعل إلى كل أساليب

التربية الفعالة واستوعبوها جيداً . وفوق كل شيء ، فقد استوعبوا أنه كما تعتبر فكرة سيئة حقاً أن نثير جلبة حول أى طفل ، فإنها فكرة أسوأ أن نثير جلبة حول طرق تربية الأطفال . نعم إنها مسئولية كبرى ولكنها لا تستدعى أن تنشئ علماً مستقلاً بذاته حولها . إن كنت لا تتفق معى فى هذا الرأى ، فأتمنى أن تعدل عن رأيك هذا بعد انتهائك من قراءة هذا الكتاب .

لقد وضعت كل خاطرة من خواطر هذا الكتاب تحت تاريخ معين ، وذلك لكى يبدأ القارئ قراءة الكتاب من الجزء الذى يحلو له - ربما يبدأ من تاريخ شرائه للكتاب - ويستمر فى قراءته على مدار العام ، بحيث يقرأ خاطرة واحدة كل يوم . وقد قمت بترتيب خواطر الكتاب وفقاً لنظام معين ، ولكن بالطبع قد يجد القارئ طريقة أخرى لفهم نظام الكتاب . وبغض النظر عن ذلك ، فإن فكرة الكتاب هى حقن الآباء بجرعات يومية من الأفكار الخاصة بالأطفال والتى آمل أن تساعد الآباء على غرس أقدامهم فى تربة الفطرة السليمة الخصبة فيما يتعلق بالأطفال وطرق تربيتهم .

وكما هى الحال مع كل كتاب سبق نشره ، فقد ألهمنى فى تأليف الكتاب - سواء بقصد أو بدون قصد - العديد من الأشخاص على رأسهم زوجتى ورفيقة عمرى " ويلى " التى بدونها لم أكن لأحقق شيئاً ، وبعد ذلك يأتى طفلاى " إريك " و " إيمى " ، ثم زوجة ابنى " نانسى " التى تقوم بالطباعة على الآلة الكاتبة والتى تعمل أيضاً مدققة ومصححة لغوية ، بل وتقوم بعمل كل شيء آخر على وجه العموم ، كما أن هناك العديد من الأشخاص الآخرين منهم حفيدى " جون ماكهنرى روزموند " ووالداى وزوج أمى وزوجة أبى وهم : " جاك " و " إميلى " و " جوليوس " و " بيستى " وحماواى " نيك " و " ويلما " ومحررا الكتاب " دونا مارتين " و " كريس تشيلينج " . فأنا أدين لهؤلاء الأشخاص بشكل تعجز الكلمات عن التعبير عنه ، وأنا أعترف بذلك .

وفى الختام ، لقد قررت أن تلك الكلمات هى الختام للمقدمة ، فيجب على الرغم من كل شيء أن أعود لتأليف كتابى عن المراهقين . وبينما أقوم بذلك ، استمتع أنت بقراءة هذا الكتاب !

" لأننى قلت ذلك ! "

١ يناير

ذات يوم عرف الناس الزواج ، فتزوجوا وأنجبوا وقاموا بتربية أطفالهم . ولم يشكل لهم هذا الأمر مشكلة ولم يثيروا جلبة حوله ، إنما فقط قاموا به مثلما يقومون ببذر الحبوب فى الربيع وجنيها فى الخريف . وإن حدث وجابهتهم مشكلة فى أثناء تربية أحد الأطفال ، فكانوا يستشيرون الأجداد ، أو العمات ، أو الخالات ، أو الإخوة والأخوات الأكبر سناً والذين لهم تجارب مماثلة فى هذا الصدد . لقد كان هؤلاء هم خبراء زمن ليس ببعيد ، وقد كانوا يسدون تلك النصائح العملية بناء على خبرة حياتية حقيقية .

لكن بعد ذلك نشبت حرب زادت بعدها نسبة المواليد . وقد أخذ ـ على إثر هذه الحرب ـ الآباء حديثو العهد بالأبوة أطفالهم وانطلقوا بحثاً عن أرض الأحلام . ومن رماد العائلة السابقة ، ظهر نوع مختلف تماماً من خبراء تربية الأطفال ؛ نوع يحمل درجات علمية ويعلق لافتات بها على الأبواب ويجلس على مكاتب ضخمة من " خشب الماهوجنى " .

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت أساليب التربية الخيالية تحل محل الأساليب الواقعية . فما كان منا إلا أن استبدلنا بالفطرة السليمة تلك المهاترات . وأصبح الأطفال هم بؤرة اهتمام الأسر الأمريكية ، وأصبح الآباء الأمريكيون أكثر تساهلاً وديمقراطية مع أطفالهم . وكنتيجة لذلك ، أصبح الأطفال الأمريكيون أنانيين ومنغمسين ذاتياً ومدللين ووقحين وتصعب السيطرة عليهم .

٢ يناير

الزواج ، والأسرة التقليدية ، والطرق عتيقة الطراز فى تربية الأطفال ، تلك هى العناصر التى تـكون ما أطلق عليه " أسرة المبادئ والقيم " أو " A Family of Value " . وقد استخدمت هذا المصطلح للإشارة إلى الأسرة التى تحمل على كتفها المبادئ المثلى لثقافتنا والتى يحمل أفرادها مبادئ لا تبلى والتى تنجح فى منح أطفالها قيماً تؤهلهم لأن يصبحوا مواطنين صالحين . فى الماضى القريب كان ينطبق على الأسرة الأمريكية التقليدية هذا التعريف ، ولكن هذا لا يعنى أننى أقصد بذلك أن الأسرة المثالية كانت معصومة من الخطأ ، لأنه من المستحيل بالنسبة لأى كائن بشرى ألا يرتكب أخطاء ، فوفقاً لأحد الكُتاب ، فإن النفس البشرية مشحونة بالنقائص ، لذا فإن كل شىء يفعله الإنسان ليس كاملاً ، فزيجاتنا ليست كاملة وعائلاتنا ليست كاملة وتربيتنا لأطفالنا ليست كاملة . ومع ذلك ، فإن هذا لا يعنى بأية حال من الأحوال أننا نعانى اختلالاً ، ولكن هذا هو الواقع بكل بساطة . علاوة على ذلك ، فإن العرف السائد بأن تلقى العلاج الكافى على يد معالج ماهر سوف يعمل على معالجة هذه النقائص لدى أية أسرة لهو عرف سخيف حقاً ، حيث لم يكن هناك مطلقاً ـ ولن يكون هناك أبداً ـ أسر كاملة ، فلكى يصل كل طفل إلى هذه الحياة فإنه يمر بتجربة عصيبة ، كما أنه يمر بتجربة أخرى عصيبة عندما ينشأ فى كنف أسرة غير مثالية على يد أبوين غير مثاليين . ومن المتعذر تجنب هذين التجربتين . فالطفل لا يملك إزاءهما أى اختيار . ولكن التحدى الذى يقع أمام كل واحد منا هو ألا نختار بكامل إرادتنا أن نمر بتجربة ثالثة عصيبة .

٣ يناير

منذ أربعين عاماً تزوج رجل فأصبح أولاً نعم الزوج ، وثانياً نعم العائل . ولقد كان الوقت الذى يمضيه مع أطفاله ضئيلاً حقاً . لكنه ـ بخلاف الخرافة ـ لم يكن بعيداً عنهم وإنما فقط كان منشغلاً .

لقد كان يقضى بعضاً من وقته فى عمله وبعضاً من وقته مع زوجته ، ومعاً كانا يقضيان بعض الوقت مع أصدقائهما وفى ممارسة مختلف الأنشطة .

وعندما كان أطفاله يحتاجونه ، كانوا يجدونه ، ربما ليس بشكل فورى ولكن فى الوقت المناسب . باختصار ، كان دور الأب كقدوة يحتذى بها أولاده أكثر أهمية من كم الانتباه الذى يوليه إياهم . لذا فقد كانت القاعدة السائدة هى : " أعظم شىء يمكن أن يسديه الأب لأبنائه هو أن يحب أمهم من أعماق قلبه " .

ولكن تبدلت هذه الحال بالتدريج ؛ فالآن " الأب الحق " هو من يمضى أكبر قدر من الوقت " القيّم " مع أطفاله ، ومن يشترك معهم فى الأنشطة التالية لليوم الدراسى وأنشطة نهاية الأسبوع وما شابه .

لقد كان بندول الرجولة الحقيقية يتأرجح دوماً ما بين فخر الرجل برجولته ومدى حساسيته واهتمامه بمن حوله ، ولكن الآن أصبحت مصادقة الأب لأولاده هى السمة المميزة للأب مرهف الحس المهتم بأسرته . ونتيجة لهذا التركيز الجديد على الأبوة نفسها أصبح الزواج أقل أهمية فى الولايات المتحدة واستبدلت به علاقات أخرى .

ولم يكتف خبراء التربية بأنهم أخذوا على مدار ثلاثين عاماً فى إقناع النساء بأن دورهن الرئيسى فى الحياة هو دورهن كأمهات ، ولكنهم يقومون الآن بمساعدة وسائل الإعلام فى إقناع الرجال بالشىء ذاته . فكلما أعطيت أكثر وأكثر لأولادك كان ذلك أفضل .

أولاً ، لا يحتاج الأطفال لأن يتدخل أى من والديهم فى حياتهم تدخلاً مبالغاً فيه ، فالراشدون يجب عليهم توطيد علاقتهم مع الراشدين الآخرين ، بينما يوطد الأطفال علاقاتهم مع الأطفال الآخرين .

يجب أن يكون هناك وقت معين ومكان خاص يجتمع فيهما الآباء مع الأبناء ، وليس فى كل ليلة وفى عطلات نهاية الأسبوع . لذا فإننا نقول عند الزواج عبارة : " إلى أن يفرقنا الموت " وليس " إلى أن يفرقنا الأطفال " .

٤ يناير

قبيل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن الآباء الذين يواجهون صعوبة فى تربيتهم لأطفالهم يذهبون لاستشارة معالجين من أى نوع بشأن أنفسهم أو بشأن أطفالهم . لكن بدلاً من ذلك فإنهم كانوا يلجأون لأعضاء أسرهم الآخرين الأكبر سناً والأكثر حكمة . وسوف أشير لمثل هؤلاء الخبراء الحقيقيين باسم " الجدة " .

لقد كانت النصائح التى تسديها الجدة لصغار الآباء قائمة على خبرة حياتية حقيقية ، وتتخللها الفطرة السليمة غير القابلة للجدل . لقد كانت نصائح بسيطة وعملية وسهلة الفهم . فأنت لم تكن بحاجة إلى درجة علمية أو قاموس لفهم ما كانت الجدة تتحدث عنه . وربما ما يفوق كل ذلك أهمية هو أن تلك النصائح كانت تبعث الطمأنينة والثقة فى نفوس الآباء . وكانت النتيجة أن هؤلاء الآباء لم يتركوا منزل الجدة وهم مسلحون فقط بحس توجيهى واضح وإنما كذلك بثقة جديدة فى أنفسهم .

لقد كانت نصائح الجدة تنم عن فهم حقيقى لأساليب التربية والذى كان متأصلاً داخل المجتمع الأمريكى حتى قبل إعلان الاستقلال . وهذا الوعى الحقيقى هو ما شكل النموذج الأمريكى فى تربية الطفل . ووفقاً لذلك النموذج ، فقد كانت مسئولية الآباء الرئيسية هى التأكد من أن أطفالهم يتحلون بالسمات التى تجعلهم مواطنين صالحين وخاصة : احترام هؤلاء ممن يتقلدون مناصب حيوية استعداداً لتحمل مسئولية تصرفاتهم الاجتماعية ، وكذلك المسئوليات الملقاة على عاتقهم من قبل الشخصيات المسئولة : سعة الحيلة ، الثبات على آرائهم ، الصلابة ، المثابرة تجاه تحديات الحياة . إن الاحترام والمسئولية وسعة الحيلة هى " القيم الثلاث " التى لا تتقيد بأى زمن فى تربية أطفالنا .

٥ يناير

يبدأ تعلم الأطفال لتلك القيم الثلاث فى المنزل . ويكون الوالدان هما أول من يحترمه الطفل ، وتتمثل مسئوليتهما فى مناشدة ذلك الاحترام (وليس فرضه على الطفل) من خلال تجسيد نموذج يقتدى به الطفل ، وتوجيهه إلى السلوكيات الأخلاقية الملائمة . وإذا نجح الوالدان فى غرس الاحترام فى نفس الطفل ، فسوف يمتد ليشمل الأشخاص الآخرين من ذوى السلطة حوله - مثل معلميه ، ورجال الشرطة ، وصانعى القانون ، وأصحاب الأعمال - وكذلك كل مواطن آخر صالح يتقيد بالقوانين بغض النظر عن مركزه في الحياة . وبمجرد أن يكمل الاحترام " دورته الاجتماعية " فإنه يعود مجددا للطفل - ربما فى نهاية مرحلة المراهقة - ليكتسب هذا الطفل ما يعرف باحترام الذات . نعم إنها حقيقة غير قابلة للجدل أنه لكى يحظى الإنسان باحترام الذات ، لابد له أولاً أن يحترم الآخرين - ليس بعضهم ولكن جميعهم . فلكى تحب ذاتك يجب أولاً أن تحب الآخرين . والخلاصة هى أن احترام الذات هو شىء يصل إليه الشخص بمجهوده وليس شيئاً يتعلمه أو يمنحه له الآخرون .

٦ يناير

ينمو لدى الطفل حس بالمسئولية بطريقتين مختلفتين :

١. عند تكليفه بأداء مهام محددة داخل وخارج المنزل . عندما يبلغ أى طفل معافى عقلياً وبدنياً سن الرابعة على أقصى تقدير لابد له من المشاركة فى الأعمال المنزلية على أساس منتظم . ومنذ البداية لا يجب أن تكسب تلك الأعمال الطفل صفة الأنانية ؛ بمعنى آخر لا يجب أن تعطى طفلك مالاً أو أية أشياء مادية فى مقابل قيامه بتلك الأعمال . فلابد لأى طفل من المشاركة فى الأعمال المنزلية فقط لأنه عضو من أعضاء الأسرة . لذا فإنه يتحمل جزءاً من مسئوليات المنزل دون مقابل .

٢. عندما يعلم أنه يتحمل مسئولية جميع تصرفاته . لطالما عرف أسلافنا أن الآباء لا يجب أن يعانوا مطلقاً من جراء أخطاء وآثام أطفالهم . فعندما يسىء الطفل السلوك لابد أن يتحمل هو عاقبة ذلك وليس والديه . ولابد أن تكون تلك العاقبة غير المحببة إلى نفس الطفل تتجسد فى صورة عقوبة تقع عليه . وتلك العقوبة من شأنها أن تنشط حس التكفير عن الآثام لدى الطفل .

ومن خلال هاتين الوسيلتين سيتعلم الطفل كيف يصبح مواطناً مسئولاً . فبالله عليك ، إن لم يتعلم الطفل كيف يكون مواطناً صالحاً فى منزله ، فأين يمكنه تعلم ذلك ؟

٧ يناير

سعة الحيلة ـ والتى تعنى المقدرة على عمل الكثير باستخدام أقل القليل ـ ليست سمة يكتسبها الطفل أو يتعلمها وإنما تتولد بداخله . فعلى أية حال ، إنها طبيعة الأطفال أن يتسموا بسعة الحيلة . إن الاحترام أو المسئولية ليسا من سمات الإنسان الفطرية ، ولكن ليست هذه هى الحال مع سمة سعة الحيلة . ولكى تتولد هذه السمة بداخل الطفل ، لابد لأبويه أن يوفرا له كل شىء يحتاجه وأقل القليل ـ فى أغلب الأحوال ـ مما يريده . باختصار ، يجب أن يقول الآباء " لا " أكثر بكثير مما يقولون " نعم " . وبتلك الطريقة سوف يتعلم الطفل بدون شك كيف يحل مشكلاته بنفسه . فسوف يكون قادراً على أداء واجبه المنزلى وشغل وقت فراغه وتسوية خلافاته الاجتماعية وما إلى ذلك . إنه سيجد نفسه مضطراً لإيجاد حلول لمثل هذه المشكلات لأنه يعلم أن أبويه ـ فى معظم الأوقات ـ لن يحلا له مشكلاته . إن والديه يرغبان فى أن يتعلم كيف " يقف على قدميه " ، لذا فإنهما يصبحان متحفظين للغاية إذا ما حاول الطفل أن يقف على أقدامهما هما .

٨ يناير

تتملك الأطفال فى سن العامين رغبة فى معرفة كل شىء . ونتيجة لهذا الشره تجاه المعرفة ، فإنهم يتسمون بالنشاط المفرط ويرغبون فى التدخل فى كل شىء . ولا يعرف الأطفال فى هذه السن كيف يتعايشون مع الإحباط . لذا فعندما لا تسير الأمور كما يريدون ـ عندما لا يفهم الآخرون ما يرغبونه أو حينما لا يحصلون على مبتغاهم فى الوقت الذى يريدونه فيه ـ فإنهم سرعان ما يعانون من إحباط يصاحبه عويل ونحيب . إن الأطفال فى سن العامين يؤمنون بأن مهمة أبويهم الوحيدة فى هذه الحياة هى الاهتمام الذى يولونه لهم ، لذا فإنهم لا يولون آباءهم بدورهم إلا أقل القليل من الاهتمام .

يطرح الأطفال فى سن العامين الكثير من الأسئلة ، ولكنهم لا ينصتون حقاً لإجابات تلك الأسئلة . وهم كثيراً ما يتحدثون إلى أنفسهم ، وحتى حينما يتحدثون إلى الأشخاص الآخرين فهم يفعلون ذلك من داخل عالمهم الصغير . والنتيجة تكون أشبه بمناجاة المرء نفسه أو المونولوج الذى لا يحمل أى معنى . إن حدث ووجدت نفسك شاهدا لأحد تلك المونولوجات فلا تكلف نفسك عناء محاولة فهم ما يقال (لأنك لن تستطيع ذلك) أو استنباط أى معنى منه . فقط أومئ برأسك وأبد الاهتمام وقل أى شىء يخطر على بالك (كما تفعل فى تمرين تداعى الخواطر) . ومثل هذه " الحوارات " لا تتقيد بأية قواعد وتكون ممتعة حقاً .

إن الأطفال فى سن العامين يرغبون أن تسير الأمور على هواهم هم فقط . فعندما ترغب فى حمل الطفل واحتضانه يأبى بشدة . وحينما تكون كلتا يديك مشغولتين فإنه يأتى إليك ويطلب منك حمله واحتضانه . إن أنانية هؤلاء الأطفال لا حدود لها ، لذا فإنهم يعتقدون أنك يجب أن تكون قادراً على قراءة أفكارهم . فالطفل يريد لبناً ، فتحضر له اللبن ، فما يكون منه إلا أن يصرخ ويطيح باللبن من فوق الطاولة . يا للغباء ! لقد طلب لبناً ولكنه كان يقصد عصير برتقال ، فتعتذر له وتحضر له عصير البرتقال . فيطيح به مجدداً من فوق الطاولة . إنه لا يريد أن يشرب فى هذا الكوب ! فتحضر له الكوب الذى يريده ، ولكن الطفل فى هذا الوقت فكر أنه لا بأس من تناول اللبن ، لذا ... ويستمر الأمر على هذا المنوال . والجانب المشرق هو أن الأطفال فى هذه السن

ينامون من اثنتى عشرة إلى أربع عشرة ساعة فى اليوم فى أى مكان ، أما الخبر السيئ فهو أن بعضهم بالكاد ينامون . باختصار ، قد تكون تلك المرحلة هى أجمل مراحل حياة طفلك ، ولكنها قد تكون أسوأها كذلك .

٩ يناير

إن الطريقة التى يهذب بها الوالدان أطفالهما تسهم بشكل كبير فى تشكيل مفاهيمهم حول الرجال والنساء . لذا ، لا يجب استخدام أساليب تهذيبية تدفع الأطفال للاعتقاد بأن آباءهم هم " الآمرون الناهون " فى المنزل وأن أمهاتهم ما عليهن سوى الطاعة أو العكس . فعندما تكون الأم هى الشاهدة على السلوك السيئ يجب أن تكون هى من يتولى التهذيب ، ونفس الشىء يلتزم به الأب ، فيجب أن تكون عملية التهذيب مقسمة نسبياً بين كلا الوالدين . وهذا الأمر من شانه أن يحول دون رؤية الطفل لأحد والديه أكثر قوة أو كفاءة من الآخر .

ولكن تلك هى القاعدة العامة ، أى أنه يمكن كسرها إذا استدعت الظروف ، فهناك أوقات يكون فيها من الملائم أن تقول : " سوف أنتظر إلى أن يصل والدك (أو والدتك) ، فنحن بحاجة إلى التشاور فى تلك المسألة معاً . وحتى ذلك الحين عليك الذهاب والبقاء فى غرفتك " . إن تلك هى طريقة معالجة المشكلات الكبرى ، تلك التى لا تحدث يومياً ، مثل الرد الوقح على أحد المعلمين أو قذف حجر على سيارة مارة بالطريق .

إن أسلوب " انتظر حتى يصل والدك (أو والدتك) إلى المنزل " يبعث للطفل رسالة قوية مفادها : " أنا ووالدك (أو والدتك) نتكاتف معاً ، فشئون هذا المنزل لا يديرها شخص واحد " . وكلما " سمع " الطفل تلك الرسالة ، كان ذلك أفضل .

١٠ يناير

هل هناك ما يعيب اعتراف أحد الأبوين لطفله بأنه قد ارتكب خطأً ما ؟
الإجابة : الأب الوحيد الذى لا يقوى على الاعتراف بالخطأ هو ذلك الذى يفتقر للثقة بالنفس . ومع ذلك ، فهناك فارق خطير بين أن تعتذر وأنت شاعر بالثقة ، وأن تعتذر وأنت شاعر بالذنب .

إن الآباء الذين يتسمون بالحكمة هم من لا يجدون أى غضاضة فى قول " أنا آسف " ، ولا يولون ذلك الأمر قيمة لا يستحقها عندما يفعلون ذلك . فهم يتقبلون نقائصهم ببساطة . وحينها ينظر إليهم أطفالهم بوصفهم كائنات غير كاملة ولكن واقعية ، مخطئة ولكن لا لوم عليها . وكنتيجة لهذا يستوعب أطفالهم تلك الحياة على حقيقتها . وهذا يا أصدقائى هو ما نسعى إليه من خلال تربية أطفالنا .

١١ يناير

عادة ما يسألني الآباء في محاضراتي إن كنت أومن بجدوى الضرب أم لا . وكان ينتابني دوماً شعور بأنها طريقة غريبة لطرح هذا السؤال ، وكأن الضرب هو أحد مبادئ تربية الأطفال وليس مجرد عمل تهذيبي اختياري . كما أن استخدام الفعل " يؤمن " مقترناً بالضرب يوحي بمدى أهمية استخدام الضرب كأحد أساليب التربية لدى الآباء . وإن أجبت بأني أومن بالضرب ، فسيكون معنى ذلك أن الضرب بطريقة ما ضروري كإحدى طرق التربية السليمة ، وأنا لا أعتقد هذا ، لذا فإنني لا أومن بجدوى الضرب . وعلى الجانب الآخر ، فقد قمت بالفعل بضرب طفليَّ في بعض الأحيان ، وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب لم يخلف دوماً النتيجة المتوقعة منه ، فإنني لم أندم مطلقاً على انتهاجه .

إنني لم أخطط قط لضرب طفليَّ ، ولكنني فقط كنت أقوم بذلك عندما كانا يغضبانني بشدة . فبوجه عام ، كنت أضرب أحدهما إن قام بتصرف ينم عن عدم احترام ، أو خالف أوامري بوقاحة ، أو تحداني ، أو تحدث بوقاحة شديدة أو بدون حساسية ، أو في بداية اندلاع نوبة غضب . ولكنني بالطبع لم أكن أضرب كلما انتهج الطفل أحد السلوكيات السابقة ، بل فقط في بعض الأحيان ، فكان الأمر اختيارياً ، عندما أرى أن السلوك يستحق . وعندما كنت أضرب ، كان يحدث ذلك بعفوية ، كالصاعقة التي تراها فجأة ولا تدري من أين أتت . ولكن لا تسئ فهمي ، فأنا لم أتسم قط بالتهور أو الانفعالية ، فقد كنت دوماً هادئاً في هذه المواقف . فأنا لم أستخدم أسلوب الضرب لأن صبري نفد مع الطفل ولكن لأريه أن صبري لم ينفد وأنني لم أصب بالإحباط ولكنني فقط غير راض بالمرة عن تصرفه .

١٢ يناير

منذ عشرين عاماً مضت نجح متخصصو الصحة الذهنية ـ الذين أخذوا على عاتقهم مهمة حماية حقوق الأطفال ـ فى إقناع المدارس الحكومية أن أحد واجباتهم تجاه الطفل هو تعزيز ثقته بنفسه . فالطفل الواثق من نفسه ـ حسب رأى المتخصصين ـ يرغب فى التعلم ، وانطلاقاً من تلك الرغبة يستطيع أن يحقق الكثير والكثير .

لذا فقد أصبح العمل على جعل الطلاب " يشعرون بالرضا إزاء أنفسهم " هو الهدف الرئيسى للمدارس الحكومية الأمريكية ، والتى نظمت بدورها لمدرسيها دورات تدريبية عن الثقة بالنفس يتعلمون من خلالها كيفية رفع الروح المعنوية للطفل بدلاً من إرشاده ، فعلموهم أن المكافأة والثناء تعززان من ثقة الطفل بنفسه بينما يدمرها العقاب والنقد . وتعد الدرجات السيئة أحد أشكال العقوبة ، لذا فقد طُلب من المعلمين عدم إعطاء أى طالب درجة أقل من " C " . ولا يجب على الإطلاق تعنيف الطفل الذى يسىء السلوك أو معاقبته ، وإنما فقط تجاهله (عند إساءته للسلوك) ومكافأته (عندما يحسن السلوك) . وبدلاً من إحباط الأطفال (الأمر الذى يعد مدمراً لثقتهم بأنفسهم) حينما يكون مستوى أدائهم أقل من المستوى الدراسى المطلوب ، يتم تعديل المنهج الدراسى ليوجد لدينا ما يسمى بـ " التعليم الخاص " .

واختصار كل ما سبق هو رغبة فى منح الأطفال بما يسمى " مؤهل تعليمى " ـ والذى يعنى المحاولة العبثية ليس فقط لضمان حصول الأطفال على فرصة فى التعليم ولكن أيضاً لضمان نجاحهم أو الإيحاء بذلك . وإحدى نتائج ذلك أنه ليس باستطاعة المعلمين بعد الآن إخبار الأطفال بالحقيقة . لماذا ؟ لأن الحقيقة عادة ما تكون جارحة ، وهذا يعنى أن الحقيقة تتعارض مع مفهوم الثقة بالنفس .

١٣ يناير

إن كنت ترغب فى أن يصبح طفلك مبدعاً ، فإليك ثلاثة اقتراحات تساعده على تحقيق ذلك :

- أولاً ، لتكن أغلب ردودك على مطالبه بالرفض وليس بالإيجاب .

فتعد كلمة " لا " إحدى أكثر الكلمات التى تبنى شخصية الطفل ، فالأطفال الذين يسمعون دوماً كلمة " لا " يتعلمون فى الغالب كيف يتعايشون مع الإحباط . وهذا التعايش يساعدهم على الصمود فى وجه العقبات والمحن ، ولست بحاجة لأن أذكرك أن المثابرة هى أحد المقومات الرئيسية للنجاح . وسواء كان السعى وراء تحقيق هدف مهنى أو غير مهنى ، أو اجتماعى أو روحى ، فإن المثابرة هى التى تصنع الفرق بين هؤلاء الذين يصلون إلى أهدافهم وممن يعجزون عن القيام بذلك . قد يبدو ذلك غير منطقى ، ولكن إن أردت حقاً مساعدة طفلك على مجابهة تحديات الحياة بنجاح ، فلا تتردد أبداً فى إحباطه .

- ثانياً ، لا تشتر لطفلك الكثير من اللعب .

يخبرنى الآباء أن أطفال اليوم يشكون من الملل أكثر مما يشكون من أى شىء آخر . وهذا شىء جديد ، فلم أذكر أننى شكوت أبداً من الملل حينما كنت طفلاً ، كما أننى لم أكن بمفردى قط . وعندما سألت عدداً غير محدود من آباء الأربعينات والخمسينات هذا السؤال : " هل كان يشكو أطفالكم من الملل كثيراً ؟ " .

كانت إجاباتهم هى : " كلا " دوماً .

لِمَ لا ؟ لأننى أنا وجيلى حينما كنا أطفالاً لم يكن لدينا الكثير من الألعاب . لذا فكان لابد لنا أنِ نتعلم كيف نستفيد الاستفادة القصوى من أقل القليل . وذلك هو معنى سعة الحيلة التى سبق أن تحدثنا عنها من قبل .

- ثالثاً ، لا تدع أطفالك يكثرون من مشاهدة التلفاز ، خاصة فى فترة الحضانة . فالطفل يكتسب مهارات النمو الضرورية فى تشكيل وتعزيز تعلم القراءة أثناء سنوات الحضانة فى أثناء ممارسته لأكثر الأنشطة فطرية

وطبيعية ، ألا وهى اللعب ، ومشاهدة التلفاز لا تعد نشاطاً طبيعياً ولا حتى يتضمن لعباً . فى الحقيقة ، إنه ليس نشاطاً بالمرة ، وإنما عادة سيئة وسلبية . نعم ، لقد أحكم التلفاز قبضته على قدرات الأطفال ونسبة ثقافتهم ، والدليل على ذلك أنه منذ عام ١٩٥٥ ـ عندما أصبح أى منزل أمريكى لا يخلو من التلفاز ـ تدنى الأداء الأكاديمى فى جميع السنوات الدراسية وسادت معوقات التعلم .

١٤ يناير

يستهل المؤلف كتابه الضخم " Terrible Two " بهذه الكلمات : يقطب عن جبينه ويمشى متبختراً مع أن طوله لا يتعدى تسع أقدام ثم يصيح بأعلى ما يمتلكه من قوة قائلاً ... أيها السيدات والسادة ! تحية كبيرة لثانى أكثر البشر إزعاجاً على الإطلاق : إنه الطفل فى مرحلة " قبيل المراهقة " ! (ملحوظة المؤلف : أقصد بمرحلة " قبيل المراهقة " الفترة ما بين سن الحادية عشرة وحتى الثالثة عشرة . وقد ابتكرت ذلك المصطلح فى عام ١٩٧٨ لكى أبرز تلك السنوات الثلاث فى حياة أى طفل ، والتى تختلف تماماً عن السنوات السابقة والتالية لها مباشرة . ففى تلك السنوات يتعدى الطفل مرحلة الطفولة ولكنه لا يصبح مراهقاً ، أى أنها مرحلة فاصلة بين الطفولة والمراهقة) .

شأنه شأن الطفل فى سن العامين ، فإن الطفل فى مرحلة قبيل المراهقة يظل ثائراً بحثاً عن الأسباب ، ويظل متحدياً للسلطة الأبوية (وغيرها) كرد فعل . ومع ذلك فإن الفارق بين هذا الطفل وذاك هو النمو الهائل للغة الطفل فى تلك المرحلة الفاصلة والتى حلت محل كلمة " كلا " وتلك اللغة المتمركزة حول النفس التى لا يفهمها سوى قائلها .

لكن مثله مثل الطفل فى سن عامين ، فإن الطفل فى هذه المرحلة ـ قبيل المراهقة ـ يتسم بالانفعالية الشديدة ، حيث إنه ينتقل سريعاً بين حالة مزاجية وحالة أخرى مخالفة لها تماماً ، فهو يعانى تضارباً شديداً فى المشاعر .

وهما أيضاً يشتركان فى صفة التمركز حول الذات أو الأنانية . فالطفل قبيل مرحلة المراهقة مستعد لإزعاج أى شخص للحصول على مراده . فلابد لك أن تزيح قدمك حتى يضع طفلك هذا قدمه مكانها .

إن الطفل فى هذه السن يجتهد مثله مثل الطفل فى سن العامين كى يستكشف خبايا وأسرار هذا العالم . إن عقل هذا الطفل ـ بعد أن ظل طوال عشر سنوات متمسكاً بالحقائق الملموسة والعلاقات القياسية ـ يبدأ فى تلك المرحلة فى استيعاب الأمور المجردة والافتراضية والتى لا توجد على الإطلاق . وليس من المدهش أن هذا الطفل يشعر بالنهم لمعرفة هذه الأمور وكل ما يتعلق بها تماماً كما يتمسك طفل الثانية بمعتقداته . لذا ، فإنه يعتقد أنه يعرف كل شىء .

١٥ يناير

فى حين أننى لا أقترح بأية حال من الأحوال أن تصبح أنت رفيق طفلك الأساسى فى اللعب ، فمن المهم أن تخصص وقتاً تمارس فيه بعض الألعاب مع طفلك الذى لم يبلغ عامين بعد . فاللعب ـ على الرغم من كل شىء ـ هو أهم نشاط يمارسه طفلك ، فهو يعزز ملكتى الإبداع والخيال لدى الأطفال . إن الألعاب من نوعية " دعونا نتظاهر " والتى يجد الأطفال متعة فى ممارستها سريعاً بعد عامهم الثانى ، تساعدهم على فهم ـ والاستعداد لتقلد ـ أدوار الكبار . أما الألعاب الأكثر تعقيداً ـ والتى يمارسها الأطفال فى مراحل تالية ـ فهى تعزز مهارات حل المشكلات الاجتماعية لدى الأطفال وتساعدهم على تنمية سلوكيات صحية إزاء التنافس . يمثل اللعب كذلك طريقة آمنة يعبر من خلالها الأطفال عن مشاعرهم وأفكارهم غير المقبولة اجتماعياً . وإليك قائمة بفوائد اللعب : يعزز اللعب المهارات الحركية الدقيقة والكبيرة ، ويدعم اكتساب اللغة ، ويزيد من سعة انتباه الأطفال . علاوة على ذلك ، فإن اللعب يعمل على تعزيز مهارات مهمة مثل سعة الحيلة والبديهية . ولأن اللعب يجعل الطفل يشعر بالرضا إزاء نفسه ، فهو يدعم من ثقته بنفسه . وأخيراً وليس آخراً ، فبسبب المتعة التى يجلبها اللعب على نفس الطفل ، فهو ينمى داخل الطفل حساً رائعاً للفكاهة . إن اللعب مع الطفل الذى لم يبلغ العامين بسيط للغاية كأن تعطى الطفل بعض الألعاب (كرة ، بعض المكعبات ، بعض السيارات الصغيرة) وتتركه يتولى زمام الأمور . حاول فقط أن تعود طفلاً مجدداً . دحرج الكرة جيئة وذهاباً ، وابن برجاً بالمكعبات ثم اهدمه ، اجعل السيارات تصطدم ببعضها البعض ! اضحك ! اضحك من قلبك .

١٦ يناير

لا بأس من أن تعطى طفلك مصروفاً مادمت لا تربط بينه وبين مسئوليات طفلك بالمنزل . بمعنى آخر ، لا تستخدم المصروف بوصفه مكافأة لأداء الطفل لمهامه المنزلية أو عقاباً لعدم قيامه بها . فعند استخدامه الاستخدام الأمثل ، من الممكن أن يُعلم المصروف الطفل كيف يتعامل مع المال بنجاح . لذا فإننى أقترح أن تخبر أولادك أن مصروفهم مخصص لأغراض مالية معينة . فعلى سبيل المثال ، حينما وصل طفلاى لمرحلة المراهقة ، فتحت حساباً لكل منهما فى البنك . وفى بداية كل شهر ، كنت أضع مصروفهما فى الحساب الخاص بهما بالبنك . وقد كانا مسئولين عن شراء ما يريدانه من ملابس غير ضرورية وأية كماليات أخرى لا علاقة لها بباقى أفراد الأسرة . ولم نكف نحن عن شراء معاطف الشتاء لهما ـ على سبيل المثال ـ ولكننا لم نشتر لهما قمصان فريقهما المفضل . وإن كان أحد أطفالنا فى حاجة لبنطال جينز ، فإننا ندفع فقط ثمن البنطال العادى ، أما إن أراد الماركة العالمية فيدفع هو الفارق من مصروفه . وبالمثل ، فإن ذهبت الأسرة للسينما ، أدفع أنا ثمن تذكرة كل فرد . أما إذا ذهب الأطفال إلى السينما بمرافقة أصدقائهم ، فيدفعون هم ثمن تذاكرهم . وكنتيجة لهذا ، بدأ طفلانا فى تعلم أساسيات التعامل مع المال ـ وهى خطوة مهمة فى سبيل النضج .

١٧ يناير

تعتمد التربية السليمة والناجحة لأى طفل على ثلاثة أسس بسيطة . لكن لا يمكن تطبيق تلك الأسس والقواعد ـ والتى سنوردها بالذكر أسفله ـ على الطفل فى مرحلة الرضاعة أو الفطام . فأنت لا تستطيع التواصل مع طفلك قبل أن يبلغ عاماً ونصف العام أو قبل أو بعد ذلك بقليل . إن بداية تطبيق تلك القواعد سيبث فى نفس أى طفل الرعب بل وفى بعض الأحيان الغضب والثورة . والسبب فى ذلك بسيط للغاية : لقد اعتاد الطفل على عدم وجود أية قواعد . حسناً ، إن ذلك ليس صحيحاً . فأنت فقط قد جعلت طفلك يعتقد طوال ثمانية عشر شهراً أنه لا توجد أية قواعد . ومع ذلك فإن تلك القواعد الثلاث ليست فقط جديدة على الطفل ، ولكنها تتنافى أيضاً مع الطريقة التى ينظر بها إلى العالم من حوله . فتلك القواعد لا تتفق واعتزاز الطفل بذاته ، فهو يعتقد أنه من يمتلك زمام الأمور ، وأنه سيظل هكذا للأبد .

لذا سيصرخ الطفل احتجاجاً على تلك القواعد ، منكراً على الأبوين قدرتهما على إجباره على أى شىء ، ومدمراً العديد من الأشياء لإثبات وجهة نظره وتحديهما . وتلك المشاعر الثائرة تستمر مع الطفل حتى يبلغ العامين . ولكن إذا لم يرضخ الأبوان لمطالب الطفل واستمرا على نهجهما فسوف يتقبل الطفل تلك القواعد ببلوغ الثالثة .

القاعدة الأولى (الوالد يخاطب الطفل) : " من الآن فصاعدا سوف تنتبه لى أكثر مما سوف أنتبه لك ، وذلك كقاعدة عامة " .

القاعدة الثانية : " سوف تنصاع لما سأقوله لك " .

القاعدة الثالثة : " سوف تتبع كل أوامرى بدون أن أرشوك أو أقسو عليك أو أهددك أو أجادل معك طويلاً لتفعل ذلك . فسوف تفعل كل ما آمرك به لأننى فقط أمرتك بذلك " .

يجب أن تكون تلك القواعد الثلاث جزءاً لا يتجزأ من علاقة أى والد بطفله . إنها أساس تهذيب أى طفل ويعتمد نجاحه فى كل مجالات الحياة عليها .

١٨ يناير

عقب الحرب العالمية الثانية ، بدأت مجموعات العائلات الأمريكية الكبرى ـ والتى كانت تحمل نفس السمات الديموغرافية ـ فى الانقسام إلى مجموعات عائلية صغيرة انتشرت فى كل أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية . وحيث إن الدعم الذى كان يقدمه أفراد تلك الأسر الأكبر سناً والأكثر خبرة للآباء حديثى العهد بالأبوة أخذ فى الانحسار ، فقد بدأ هؤلاء الآباء يلجأون للمتخصصين فى مختلف المجالات ـ أطباء النفس ، الاستشاريين ، الإخصائيين الاجتماعيين ، وغيرهم من مجموعات الدعم الأخرى ـ لمساعدتهم على تربية أطفالهم .

وقد كانت المشكلة ـ وطالما كانت ومازالت مشكلة ـ هى أن هؤلاء المتخصصين لم يسدوا تلك النصائح بناء على خبرة حياتية وإنما على كتب قاموا بقراءتها . فقد شكلت دراستهم الأكاديمية وجهات نظرهم حيال التربية ، وليس خبرة الحياة الواقعية . وكنتيجة لذلك ، أخذت آراؤهم عن التربية فى اتخاذ الطابع الفكرى وليس الفطرى ؛ ويعنى ذلك أن آراءهم تلك خيالية أكثر منها واقعية . لقد خلق هؤلاء المتخصصون لغة جديدة فى مجال تربية الأطفال تتسم بالرطانة والمعانى المجردة والنظريات التأملية ، كما أنها صعبة الفهم وغير دقيقة ومحيرة ، ولكل تلك الأسباب فإنها لم تبعث الطمأنينة فى نفس الآباء . إنها حقيقة لا تقبل الجدل أنه منذ أن احتلت نصائح هؤلاء المتخصصين موقع الصدارة فى مجال تربية الأطفال أصبح الآباء الأمريكيون ، وخاصة هؤلاء ، شأنك عزيزى القارئ ، الذين يعملون بهذه النصائح ـ أكثر إحساساً بالخوف والقلق وأقل حسماً وأكثر إحساساً بالذنب أكثر من أى جيل سابق من الآباء على مر التاريخ .

١٩ يناير

يجب أن يدرك الطفل فى سن مبكرة للغاية أنـه لا حـدود لسـلطة والديـه . إن حس الطفل الصغير بالأمـان يعتمـد اعتمـاداً كليـاً علـى إيمانـه بـأن والديـه يمتلكان المقدرة على توفير الحماية له ، والحفاظ عليه فـى ظـل أى ظـرف مـن الظروف . ويتطلب ذلك أن يكد الآباء لكـى يبعثـوا إلى أبنـائهم شـعوراً بقـوتهم الشخصية ـ " السلطة الأبوية " ! وهو إذا رغبت فى استعارته عنوان أول كتاب لى . لقد أدرك أطباء علم نفس النمو والارتقاء منذ فترة طويلة أن الأطفال يؤمنون ـ أو يرغبون فى الإيمان ـ بأن آباءهم معصومون من الخطـأ . ويطلـق علـى هـذا الاعتقاد " خرافة السلطة المطلقة " .

إن الطفل الصغير يعتقد أنه محور هذا العالم ، فتفكيره دومـاً متمركـز حـول نفسه . إنه يؤمن أن كل ما يوجد حوله يوجد من أجله وبسـببه . وفـى خـلال الثمانية عشر شهراً الأولى تقريباً من حياة الطفل يعـزز الآبـاء هـذا المفهـوم غـير الصحيح لدى الطفل . لكن فى بعض الأحيان خـلال عـام الطفـل الثـانى يبـدأ الآباء فى وضع القواعد ورفض مطالب بعينها . وهذا التحول فـى سـلوك الآبـاء يناقض مفهـوم الطفـل حـول تمركـز العـالم مـن حولـه . وبتلـك الطريقـة يهتـز إحساس الطفل بالأمان ويسعى جاهداً لإبقاء الأمـور علـى الوضـع الـذى كانـت عليه خلال الثمانية عشر شهراً السـابقة ، وقـد تتسـم محاولاتـه تلـك بـالعنف الشديد . ولعل هذا هو ما يعلل المعاناة الشديدة التى يلاقيها الآباء مـع الأطفـال فى هذه السن .

وإليك المفارقة : لكـى تنمـى داخـل طفلـك إحساسـاً بالأمـان والطمأنينـة ، يجب أن تجعله يشعر بعدم الأمان أولاً . وبإمكانك القيام بذلك عن طريق سـلبه ـ برفق ولكن بحزم ـ إحساسه بتمركز العـالم مـن حولـه وأنـه مـن يمتلـك زمـام الأمور . وإذا نجحت فى سلب الطفل ذلك الشعور بتمركز الذات وأحس طفلـك بذلك ، فسوف يبدأ فى احترامك احتراماً يفوق جميـع تصـوراتك . فهـو يـراك الآن ذا سلطة مطلقة . وهذا إن دل عن شىء فإنه يدل على حاجة الطفل لرؤية أبويه معصومين من الخطأ ولا يجهلان شيئاً .

وهذا الأمر يلقى على عـاتق الآبـاء مسـئولية كـبرى ، ألا وهـى محاولـة ألا يخيبوا ظن أبنائهم بهم . وأنا لا أقصد بذلك أن تجعل أطفالك خاضعين لـك ، ولكن أعنى أن تخلق لهم سلطة غير مهددة يستطيعون الاعتماد عليها .

٢٠ يناير

لا يمكن أن يوجد فى عالمنا هذا علاقة ديمقراطية بين الآباء والأبناء . ليس على الأقل مادام الأبناء يعيشون فى نفس المنزل مع آبائهم وفى حاجة مستمرة لحمايتهم العاطفية والاجتماعية والمالية . فحتى يغادر الطفل منزل أبويه ، يجب أن يكون هناك فقط بعض التدريبات على الديمقراطية والتى يجب أن يحسن الوالدان إدارتها ، وإلا فسوف يخرج الأبناء عن نطاق السيطرة .

ولو أردنا أن نعقد قياساً تمثيلياً بين العائلات والنظم السياسية ، فسوف يكون النظام الأمثل لإدارة أية أسرة ـ تلك التى يحقق فيها كل من الآباء والأطفال أقصى استفادة ـ هو النظام " الديكتاتورى النفعى " . قد تترك كلمة " ديكتاتورية " فى نفسك طابعاً سلبياً ، ولكن تذكر أننى أتبعتها بكلمة " نفعى " ، والتى تعنى أن الآباء يفرضون سلطتهم على أبنائهم بحنو وعطف . علاوة على ذلك ، فإن أصل كلمة ديكتاتورية بالإنجليزية وهو " dictatorship " هو " dictate " والذى يعنى " الإرشاد بحزم " . لذا فإننى لا أقصد بالديكتاتورية أن تكون مستبداً أو طاغية .

٢١ يناير

لا شىء يدمر أية خطة تهذيبية سليمة أسرع من كثرة استخدام عبارات " إذا ، فسوف " غير الضرورية بالمرة . على سبيل المثال : " إذا قمت بتنظيف غرفتك ، فسوف تحصل على نجمة . أما إذا لم تنظفها فسوف تحصل على مربع . وفى نهاية الأسبوع سوف نطرح عدد النجوم من عدد المربعات ، وعلى أساس ذلك نحدد لك قدر مصروفك . فإن كان عدد المربعات يفوق عدد النجوم فذلك يعنى أنك تدين لنا بالمال ، وأننا سوف نخصم قدر هذا المال من مصروف الأسبوع القادم . أما إن لم يكن بتقريرك أية مربعات فسوف تحصل على مكافأة . ولكن إن كان قدر ما تدينه لنا يفوق قدر المكافأة ، فسوف نخصم تلك المكافأة من مبلغ الدين " . أفهمت ما أقصد ؟ إن " أينشتاين " نفسه لا يستطيع الالتزام بمثل تلك الاتفاقية .

طريقة أخرى تحدث شرخاً أكيداً فى عملية التهذيب هى أن تقضم أكثر مما تستطيع أن تمضغ . دعنا نأخذ الطفل المدمر غير المطيع عديم المسئولية غير المتحمس العدوانى الذى لا يحترم الآخرين المتغطرس والصاخب - مثالاً على ذلك . فبدلاً من التعامل مع كل تلك السمات دفعة واحدة - الأمر المشابه للتصارع مع إخطبوط - فمن الأفضل أن يركز والدا ذلك الطفل كل جهودهما على كل سمة على حدة . فإن معالجة المشكلات واحدة بعد الأخرى سيجعلهما أقدر على المتابعة حتى الانتهاء من حل جميع المشكلات .

والخلاصة هى أن إحدى أفضل الطرق التهذيبية الناجحة هى التنظيم . وهذا يقودنا إلى حقيقة مهمة ألا وهى أن أفضل الآباء تهذيباً لأطفالهم هم أكثرهم نظاماً وتنظيماً .

٢٢ يناير

إليك نصيحة بما يمكنك أن تفعله حينما يمسك صغيرك الذى لم يبلغ عامين شيئاً قابلاً للكسر مثل بللورة ثمينة : إن الطفل سوف يسقط هذا الشىء ويكسره لا محالة إن ارتسم الذعر على وجه والده وقال له : " أعطنى هذا ! " وركض نحوه مسرعاً باسطاً ذراعيه وشارعاً يديه مثل المخالب . إن الذعر يولد الذعر ، لذا حاول أن تسيطر على مخاوفك وابق مكانك على أن تجلس على ركبتيك حتى تكون فى نفس مستوى طفلك ، ارسم ابتسامة على وجهك ومد يدك ناحية طفلك وقل : " يا إلهى ، يالجمال تلك البللورة ! هل من الممكن أن تضعها فى يدى حتى أراها ؟ " .

وإن كنت قد أتقنت تلك المهمة ، فسوف يبتسم الطفل بدوره ويناولك هذا الشىء برفق . يمكنك ألا تدع طفلك يكشف تلك الحيلة بأن تجلسه فوق ساقك وتتفحصا معاً ذلك الشىء لمدة دقيقة قبل أن تنهض وتقول : " سوف أضع تلك البللورة هنا حتى يستطيع كل منا النظر إليها . أليست جميلة حقاً ؟ " إن تلك الاستراتيجية البسيطة تشبع فضول الطفل وتوفر المال وتبنى علاقة بين الأب وطفله تتسم بالتعاون وليس الأنانية .

٢٣ يناير

الضرب : هو ضربة عنيفة وسريعة على مؤخرة الطفل باستخدام راحة يدك . والغرض منها ليس إيلام الطفل وإنما : (١) جذب انتباه الطفل سريعاً ، (٢) وضع حد لسلوك سيئ بسرعة ، (٣) إنقاذ موقف قبل أن يتلف الطفل شيئاً ما ، (٤) كل ما سبق . بمعنى آخر ، إن الضرب لا يتعدى كونه شكلاً موسمياً فعالاً من أشكال التواصل غير اللفظى .

خاصة فى المواقف التى يفقد فيها الطفل السيطرة على نفسه سريعاً ويتصرف بوقاحة شديدة مع أحد الأبوين ، يجب أن تنزل عليه تلك الضربة كالبرق ـ فتكون تماماً فى منتصف تلك العاصفة من سوء السلوك ! إن عنصر المفاجأة سوف يكون كفيلاً بإنهاء السلوك السيئ وسيضمن لك جذب انتباه طفلك بالكامل حتى تستطيع إبلاغه برسالة : " الآن اسمعنى جيداً ! " والتى ـ إن أبلغتها بمهارة ـ ستحدث الأثر المطلوب منها .

هل تستطيع أن تهذب طفلك دون أن تضطر لضربه ولو لمرة واحدة ؟ نعم ، ولكننى تأكدت من خلال تجاربى المهنية والشخصية أن الضرب يكون أفضل وسيلة تهذيبية فى بعض الأحيان مع أطفال بعينهم . إن هنالك أطفالاً تستطيع أن ترغمهم على العودة إلى المسار الصحيح سريعاً وبيسر إن أساءوا التصرف . ولكن هناك أطفالاً آخرين يتطلب الوصول إلى نفس الغاية معهم استخدام أساليب أشد قوة وحزماً مثل الضرب . وإننى فى هذا الشأن لا أبالغ ، ولكن كما يقولون ، فإن قوة الضربة تختلف باختلاف الأشخاص .

٢٤ يناير

منذ ثلاثين عاماً مضت نشبت ثورة فى الولايات المتحدة لا تقل من حيث التغييرات التى خلفتها عن الحرب الأهلية . وكانت المحصلة النهائية لتلك الثورة ـ والتى تزعمها متخصصو الصحة الذهنية المتلهفون لإثبات كونهم أكثر جدارة فى إسداء النصائح بخصوص تربية الأطفال من الجدة ـ أن اختلفت مبادئ التربية مائة وثمانين درجة وانقلبت حال الأسرة الأمريكية رأساً على عقب . فى العهد الماضى ، كان التركيز فى تربية الأطفال على تنمية شخصية الطفل من خلال تهيئة جو اجتماعى يسمح له بذلك ، أما تركيز الثوار من متخصصى علم النفس حسنى النية فكان تركيزهم منصباً على التنمية السيكولوجية للطفل . وكان نتيجة هذا التغيير أن أصبحت مشاعر الطفل بالغة الأهمية ، وأصبح الوالد الحق ليس من يستخدم طرقاً تهذيبية سليمة ولكن ذلك الذى يفهم مشاعر طفله ويتواصل معها .

حينما كانت مسائل الشخصية والسلوك الاجتماعى هى محور تركيز تربية الطفل ، كانت جميع الأمور واضحة وجلية أمام الآباء . فكانوا يستطيعون الفصل بين ما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام أم لا ، ومتى يستخدمون أساليب تهذيبية بعينها ومتى لا يستخدمونها ، ويعرفون إن كانت أساليبهم تلك قد أتت ثمارها أم لا . ولأن هذا التحول الذى أدى إلى التركيز على الجوانب السيكولوجية والمشاعر تضمَّن انتقالاً من أمور كانت جلية وواضحة للآباء إلى أخرى تفوق مستوى استيعابهم وفهمهم ، فقد أدى ذلك إلى فقدانهم الثقة بأنفسهم وبتصرفاتهم . لقد وجدنا أنفسنا أمام فرضية فحواها أن الأشخاص الوحيدين الذين يدركون إذا ما كان الطفل يسلك سلوكيات صحية أم لا وإذا كان الآباء يستخدمون أساليب تربوية سليمة أم لا هم متخصصو الصحة الذهنية . ولأن أساليب التربية السليمة لم تعد واضحة أمام الآباء ، فقد بدأ يساورهم شعور بالقلق والتخوف من عواقب أفعالهم ؛ لذا فقد أصبحوا يترددون فى اتخاذ أى إجراء على الإطلاق . وفى حين أن الأجيال السابقة من الآباء لم تكن تخشى سلوكيات أبنائهم ولا إبراز عواقبها ، فإن آباء اليوم يهابون بشدة تلك الأمور ، ويتملكهم الرعب حينما يواجهون أمراً غير مألوف حتى وإن كان هيناً ولكنهم يعتبرونه سيئاً .

٢٥ يناير

لا يوجد ما يسمى بالحلول السريعة للمشكلات التى تبرز أثناء تربية الأطفال . نعم ، إنك تستطيع الحصول على وجبة فى دقيقة عند " ماكدونالدز " ولكن لا يوجد شيء مماثل فى تربية الأطفال . إننى عادة ما أشعر أثناء حواراتى مع الآباء الذين يأتون لى طلباً لحلول للمشكلات التى يواجهونها مع أبنائهم أنهم يعتقدون أن بإمكان أطباء النفس القيام بأعمال بطولية لا تتقيد بزمن .

مثال على ذلك : يعرض علىّ الأب المشكلة فأقترح حلاً لها ، فيقول لى : " لقد جربنا تلك الطريقة بالفعل ولم تفلح " . وبعد ذلك حينما أتحرى عن الأمر أكتشف " أنها " لم تفلح فقط لعدم مثابرة الآباء . إنهم حقاً يؤمنون بأساليب التربية على طريقة " ماكدونالدز " .

٢٦ يناير

يختلف كل من الأب المتساهل وذلك المستبد عن بعضهما البعض كل الاختلاف . فلا يستطيع أى منهما على سبيل المثال التفكير بشكل سليم وعقلانى حينما يكونان بصدد تربية الأطفال . فالأول تسيطر عليه مشاعر القلق والذنب ، أما الثانى فيتملكه الغضب سريعاً .

٢٧ يناير

منذ الخمسينات من القرن العشرين أصبح التركيز فى الأسرة الأمريكية منصباً على الطفل وليس على البالغين . وفى حين أنه كان من المتعارف عليه قديماً ـ إلا فى حالة الرضع وصغار الأطفال ـ أن الأطفال هم من عليهم إبداء المزيد من الانتباه لآبائهم وليس العكس ، فقد أصبح مقياس الأبوة الحقيقية اليوم هو قدر الانتباه الذى يوليه الآباء لأبنائهم . وكنتيجة لذلك ، لم يعد الأطفال يتعلمون كيف يبدون انتباهاً للكبار سواء فى المنزل أو المدرسة .

وعلى الجانب الآخر يوجد الآباء الذين لا يلقون انتباهاً كافياً لأطفالهم . والنتيجة واحدة فى كلتا الحالتين : أطفال لم يتعلموا كيف يبدون انتباهاً كافياً للكبار .

فى الخمسينات من القرن العشرين ، كان من المتوقع من كل طفل فى الولايات المتحدة أداء مهام منزلية معينة على أساس يومى . أما طفل اليوم فيؤدى تلك المهام بشكل عشوائى هذا إن قام بها من الأساس . وكانت النتيجة أن أصبح عدد كبير من الأطفال يذهبون إلى المدرسة وهم غير معتادين على تقبل الانصياع لأوامر البالغين . ونحن نتوقع من مثل هؤلاء الأطفال عدم الالتزام بأى مهام يطلب منهم المعلمون أداءها .

ثم يأتى التلفاز ، الذى يؤكد عدد كبير من الباحثين الآن أنه يؤثر سلباً على قدرة الطفل على الانتباه . ولا تنس أن الطفل الأمريكى العادى يكون قد شاهد فى المتوسط نحو ٥,٠٠٠ ساعة من البرامج والمسلسلات وخلافه على شاشة التلفاز قبل أن يلتحق بالحضانة . وفى عام ١٩٥٥ لم يكن عدد تلك الساعات يتعدى الألف ساعة .

حاول أن تجمع تلك التغييرات الكبرى معاً وسوف يكون أمامك وباء عدم القدرة على الانتباه المتفشى حالياً .

٢٨ يناير

قد يتحول الثناء إلى عادة مكتسبة تتردد على الألسنة . فعندما يتلقى الطفل الكثير من الثناء ، ينمو بداخله اعتماد على الاستحسان الخارجى . والطفل فى هذه الحالة يكون أشبه بالإطار الذى يسرب الهواء ببطء ، فمن حين لآخر لابد أن يتم نفخه بالهواء وإلا فسيصبح فارغاً وعديم القيمة .

فى بعض الأحيان يثنى الآباء على الأطفال بسبب أشياء لا تستحق الثناء مثل استخدام دورة المياه بالطريقة الصحيحة . لكننا لسنا بحاجة - ولا يجب علينا - أن نثنى على الأطفال لأنهم ببساطة ينمون وينضجون . فتعليق بسيط على مثل تلك الأمور كاف حقاً . فعلى أية حال ، فإن النضج هو مكافأة فى حد ذاته . إن الأب الذى يمتدح الطفل على أمر كان مجرد النجاح فى القيام به يشبع غروره إنما يسلب طفله النشوة التى كانت ستغمره من جراء شعوره بالنضج .

وقد يعطى الثناء أيضاً عكس النتائج المرجوة منه ، خاصة فى حالة الطفل الذى لا يتمتع بثقة فى نفسه . فيصبح الثناء فى حالة هذا الطفل جزءاً لا يتجزأ من إدراكه لذاته . وإذا شعر الطفل أن الثناء الذى يتلقاه لا يتماشى والصورة التى يرى بها نفسه يتولد بداخله إحساس بالقلق (يسميه أطباء النفس التنافر الإدراكى) والذى يحاول الطفل بعد ذلك التخفيف من وطأته عن طريق إساءة السلوك .

بمعنى آخر ، يجب الحذر عند الثناء على الطفل . فيجب أن تستخدم ذلك الأسلوب بتحفظ وفطنة . وفوق كل شىء ، يجب أن تتعامل مع الثناء مثلما تتعامل مع العقاب ؛ فأنت تثنى على الفعل نفسه وليس على الطفل .

٢٩ يناير

إننى شخصياً ، أعتقد أن الأبوين اللذين يتوقعان من أبنائهما أن يحبوا بعضهم البعض ـ وهم مازالوا أطفالاً ـ يبالغان فى توقعاتهما . فكر فى الأمر : الأزواج والزوجات يختارون بعضهم بعضاً وكذلك يفعل الأصدقاء ، أما الإخوة فلا يختارون إخوتهم .

قد يجيبنى أحدكم قائلاً : " ولكن يا " جون " لا يختار الأطفال آباءهم والعكس صحيح ، ومع ذلك فإننا نتوقع أن يحب الآباء والأطفال بعضهم البعض " .

مع احترامى لهذا الرأى ، إلا أنه يوجد اختلاف كبير بين كلتا الحالتين . نعم إن الآباء والأبناء لا يختارون بعضهم البعض ولكن : (١) ينمو داخل الأبناء إحساس فطرى بالانتماء لآبائهم ، (٢) يشعر الآباء أنهم مسئولون عن أبنائهم وواجبهم هو توفير الحماية لهم . ولا ينسحب أى مما سبق على حال الإخوة . فبعض الإخوة يتأقلمون جيداً مع بعضهم البعض ، والبعض الآخر يحبون بعضهم للغاية ، ولكن هناك من الإخوة من لا يندمجون أو حتى يحبون بعضهم البعض . وفى معظم الحالات لا يكون للأبوين علاقة بهذا الأمر وإنما الأهواء الشخصية . إن الآباء الذين يتوقعون أن يقع أبناؤهم فى حب بعضهم البعض فوراً إنما يعدون أنفسهم للشعور بالإحباط وخيبة الأمل ، كما أنهم عادة ما يلومون أنفسهم إذا ما كانت توقعاتهم فى غير محلها . لذا فإننى أنصحك دوماً بأن تتوقع الأسوأ . فبتلك الطريقة ، ستندهش فقط قليلاً إن حدث ما لم تكن تتوقع .

٣٠ يناير

فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين قاد " خبراء " تربية الأطفال الجدد الآباء إلى الاعتقاد بأن الأطفال المهذبين هم مجرد آلات ، حيث عمل آباؤهم المستبدون على محو شخصياتهم وثقتهم بأنفسهم ، لكن هذا ليس صحيحاً . نعم أنا لا أنكر أن بعض الآباء يستخدمون أسلوب الترهيب لحمل أطفالهم على الطاعة ، ولكن مثل هؤلاء الأطفال يظلون مترقبين أية فرصة لإساءة السلوك حينما يكونون على يقين بأنهم سوف يفلتون بفعلتهم . إن الترهيب لا يمكن له أن يحمل الطفل على الطاعة ولكنه يعلمه فقط كيف يكون ماكراً . أما الأطفال المهذبون والمطيعون حقاً فهم هؤلاء ممن عرفوا المعنى الحقيقى للشعور بالأمان ومن يحترمون سلطة آبائهم ، وهم أسعد أطفال هذا العالم وأكثرهم انطلاقاً وإبداعاً . وهؤلاء " الخبراء " قاموا كذلك بإثارة جلبة وضجة حول ضرورة احترام الآباء لأبنائهم مؤكدين أن الاحترام ما هو إلا طريق ذو اتجاهين . وأنا هنا أتفق معهم فى الرأى تماماً . لكن لا تنخدع ! فإن الأبناء يظهرون احترامهم لآبائهم عن طريق طاعتهم . أما الآباء فيظهرون احترامهم لأبنائهم عن طريق توقع طاعتهم لهم .

٣١ يناير

لا شىء أكثر أهمية بالنسبة للمراهق من الحرية ـ حرية الذهاب للحفلات ، والتنزه داخل المراكز التجارية ، والسهر خارج المنزل لما بعد منتصف الليل ، والاستيقاظ متأخراً فى اليوم التالى . إن الحرية هى محور ارتكاز مرحلة المراهقة ، ويسعى إليها المراهقون كما يسعى البالغون وراء السلطة والنفوذ . وكلما حظى المراهقون بمزيد من الحرية شعروا بأنهم أكثر سيطرة على حياتهم .

والسؤال الذى عادة ما يطرحه الآباء : " ما قدر الحرية التى يجب أن نمنحها لأبنائنا المراهقين ؟ " ولكن ليست هناك إجابة بسيطة لهذا السؤال ، فلا نستطيع أن ننكر على المراهقين حقهم فى التمتع بمزيد من الحرية أكثر من تلك التى كان يتمتع بها الأطفال الصغار ، ولكن من عيوب هذه السن أن الطفل يرغب دوماً فى مزيد من الحرية من تلك التى يستطيع حقاً أن يتحمل نتائج عواقبها . وعلى الجانب الآخر ، فإن الآباء يحيدون عن الصواب كذلك حينما يتيحون لأبنائهم مزيداً من الحرية ببطء شديد .

فى مكان ما بين رغبة المراهق فى أن يكون حراً ورغبة الآباء فى بقاء أبنائهم تحت ناظريهم ، يوجد حل وسط سيرضى كلا الطرفين . وإيجاد ذلك الحل الوسط هو سر التفاوض الناجح فى تلك المرحلة التى قد تتسم بالعنف فى علاقتك بطفلك المراهق . إن عاقبة إتاحة الكثير من الحرية للمراهق قد تكون طفلاً يصعب السيطرة عليه أصيب بالتسمم من جراء تناوله جرعة زائدة من الاستقلالية ، أما نتيجة إتاحة القليل من الحرية فقد تُكون مراهقاً ثائراً بسبب ما عاناه من إحباط .

وسيكون من السهل معالجة تلك المشكلة إن عمد الآباء إلى التركيز على تعليم أبنائهم أن الحرية ـ مهما كان قدرها ـ لها ثمنها . فإن المهمة التى تنتظر آباء المراهقين هى التوضيح لأبنائهم وجود صلة مهمة بين قبول تحمل المسئولية والتمتع بميزة ما .

١ فبراير

سؤال : ماذا يجب أن نفعل حينما يرفض طفلنا البالغ من العمر سبع سنوات أن يدع الأطفال الآخرين يلعبون بألعابه ؟ إنه يبلى بلاء حسناً حينما يكون بمنزل أحد أصدقائه ، ولكن عندما يأتي أحد أصدقائه ليلعب معه فإنه يرفض بشدة أن يدعه يشاركه متعلقاته .

الإجابة : قبل أن يصل صديق الطفل إلى منزلكم ، اطلب من طفلك أن ينتقي من ثلاث إلى خمس ألعاب " عزيزة " عليه ولا يريد من الطفل الآخر أن يلعب بها ويضعها جانباً ، على أن توضح له أنه إن رغب فجأة في مشاركة صديقه في إحداها فإنه يستطيع ذلك . ولكنه يجب أن يدع الطفل الآخر يلعب بباقي الألعاب . إن معرفة الطفل بأنه يمتلك ذلك الحق قبل أن يأتي الطفل الآخر يقلل كثيراً من وطأة التهديد الذى يشعر به حينما يعتقد أن شخصاً آخر لابد أن يشاركه متعلقاته . أما إذا أصر الطفل على ألا يشاركه صديقه في ألعابه ، فاحمله وضعه في " صندوق العقوبة " (قد يكون مجرد كرسي في غرفة المعيشة) حتى يقبل أن يلعب صديقه بتلك اللعبة . وعلى أية حال ، لا تعد تلك بالمشكلة العسيرة كما أنها لا تستدعي القلق حيالها ، فكل ما في الأمر أن بعض الأطفال يكونون أكثر تشبثاً بأشيائهم من غيرهم ، وكل ما يحتاجونه هو مزيد من الإرشاد والتوجيه من آبائهم بشأن تعلم كيفية المشاركة .

٢ فبراير

عندما يقول لك الصغير : " إنى أكرهك ! " فتأكد من أنه يعنيها . نعم إن الطفل لم يفكر ملياً فيما تعنيه تلك العبارة ولكنه يعنيها على الرغم من ذلك . لذا فمن المهم هنا أن يفهم الآباء عدة نقاط .

أولاً ، إن الأطفال لا يستطيعون التلطيف من حدة مشاعرهم . فإن اتخذ الوالد قراراً لا يعجب الطفل فإن هذا الطفل لن يعبر عن شعوره قائلاً إنه " متضايق " أو " محبط " ، ولكنه سيغضب وكأنها نهاية العالم . فسوف ينتحب على نحو يرثى له كأنه طعن طعنة ستودى بحياته ، أو سيظل يضرب الأرض بقدميه ويصرخ قائلاً إنه " يكرهك " ، أو سيقوم بكلا الأمرين . وفى الحالة الأخيرة فإنه يقصد ما يقوله حقاً ، على الأقل فى لحظة تفوهه بتلك العبارة .

ثانياً ، إن تلك اللحظات من بغض الطفل الحقيقى لأحد والديه لا تستمر طويلاً ، لأنه فى غضون ساعتين ـ يومين على الأكثر ـ سوف يذهب هذا الطفل إلى والده طالباً شيئاً آخر . ولكى يزيد الطفل من فرصته لنظر والديه لمطلبه بعين الاعتبار ، فإنه يدعى أنه يحبهما مجدداً . إن الأبوة هى مجرد لعبة تشبه لعبة الأفعوانية بالملاهى .

ثالثاً ، فى كل مرة يصرخ الطفل قائلاً إنك لست عادلاً أو أنه يكرهك ، فعليك أن تدرك أنك قد اتخذت القرار السليم ويجب أن تستمر على هذا المنوال . أيعنى هذا أنك حقير ؟ بالنسبة للطفل يصبح أبوه " حقيراً " حينما يكتشف الطفل أن والده يعنى حقاً ما قاله .

وأخيراً ، فإنك لا يجب أن تأخذ أياً من هذا على محمل الجد . إن عبارة " إنى أكرهك ! " وكل مشتقاتها ما هى إلا انعكاس للغباء الفطرى الذى يعانيه الأطفال . ومثل تلك العبارات الانفعالية لا تستحق بأية حال من الأحوال أن تجعلك تشعر بالقلق أو الذنب أو الغضب .

ويعد أنسب وأصدق وأكثر الردود احتراماً وتعبيراً عن السلطة على تفوه الطفل بعبارة " إنى أكرهك " هو " أعلم ذلك ، ولو كنت مكانك لكنت كرهت نفسى أيضاً " .

٣ فبراير

لا يجب أن ينسيك العمل على تلبية احتياجات أطفالك تلبيـة احتياجاتـك الخاصة أنت أيضـاً . فبأيـة حـال مـن الأحـوال ، فأنـت لا تسـتطيع الاعتنـاء بشخص آخر ما لم تكن تعتنى بنفسك . لذا فـإن الآبـاء حـديثى العهـد بـالأبوة والذين يشعرون بضرورة تكريس أنفسهم لخدمة أطفالهم الرضـع فقـط وتجاهـل مطالبهم عادة ما ينتهى بهم الأمر وهم شاعرون بالإحباط والاسـتياء . فـإن كـان هنالك شىء واحد لا يحتاجه الطفل ، فهـو أبـوان شـاعران بـأن التربيـة عمـل شاق وكريه .

ففى مكان مـا بـين التصـاقك بالطفـل دائمـاً أو تجاهلـه تمامـاً توجـد نقطـة متوازنة تستطيع خلالها النجاح فـى تلبيـة كـل مـن احتياجاتـك واحتياجـات طفلك . أنا لا أنكر أن الرضع ذوى المتطلبات الكثيرة والمثيرة للفوضـى يتطلبـون مزيداً من الاهتمام والتواجد الجسدى أكثر مـن الأطفـال فـى أى مرحلـة عمريـة أخرى ، وفى أغلب الأحوال ، من الأفضـل أن تسـتجيب للرضـيع بمجـرد أن يشرع فى البكاء ، ولكن إن ظل الطفل يبكى حتى بعد أن استجبت لـه ، فـلا ضرر أن تضعه قلـيلاً حتـى تقـوم بشـىء آخـر لا تسـتطيع القيـام بـه إن كنـت تحمله .

بمعنى آخر ، إن كان يناسبك أن " تلتصق بالطفـل دائمـاً " ، فقـم بـذلك . أما إن لم يكن ذلك ملائماً لك ، فضع رضيعك فى مكان ما بالقرب منك وباشـر ما لديك من مهام . وإذا غادرت الغرفة التى يوجد بها الرضيع فـلا تكـف عـن التحدث إليه أو على الأقل النداء عليه كل عشر ثوان تقريباً . إن صوتك قـد لا يجعله يتوقف عن البكاء ، ولكنه على الأقل سيجعله يشعر بوجودك فى مكـان ما بالقرب منه . فضلاً عن ذلـك ، توجـد وسـيلة واحـدة سـيعرف الطفـل مـن خلالها أنك لن تهجره أبداً ، وهى أن تضعه فى بعض الأحيـان فـى أى مكـان آمن وتذهب لمباشرة مهامك المنزلية ثم تعود إليه مجدداً .

٤ فبراير

إن الأمور التهذيبية التى تمثل مشكلات بالنسبة للآباء تعد عائقاً فى طريق التواصل والتعبير عن المشاعر بين الآباء والأبناء . لكن إيجاد حلول لمثل تلك المشكلات سوف يزيح جميع العوائق . فمن المستحيل أن ينجح الأبوان فى التواصل مع طفلهم ـ ويحبون بعضهم بعضاً ـ إلا إذا وثق الطفل ثقة كاملة فى والديه وشعر أنهما يستطيعان توفير الحماية له . وكما يقولون ، فلابد أن يكون الحصان دوماً أمام العربة . وفى هذه الحالة ، فإن الحصان هنا هو سلطتك كوالد والعربة هى العلاقة المتفتحة التى يغلفها الحب والتى تربط بينك وبين طفلك .

ونفس تلك القاعدة تنطبق على علاقة المعلم بتلاميذه . فالمعلمة الجيدة هى التى تدرك أنها يجب أن تفرض سلطتها أولاً قبل أن تتولى مهام التدريس . لذا ففى أول يوم دراسى ، وقبل أن تقوم المعلمة بأى شىء آخر ، يجب أن تضع أولاً الحصان أمام العربة وذلك بأن تلقى على طلابها القواعد التى يجب اتباعها معها . ولإدراكها أن بعضاً من طلابها سينتظرون منها تنفيذ تهديداتها ، فإنها تشرح كذلك ما سيحدث تماماً حينما يكسر أحد الطلاب إحدى قواعدها ، وبعد ذلك فإنها تنفذ تهديدها إن حدث وخالف أحد الطلاب قاعدة ما . فبقيامها بذلك ، تثبت لتلاميذها أنها تتمتع بالسلطة ، وهم لن يستاءوا منها من أجل هذا ، بل على العكس ، فإنهم سيثقون بها ويحترمونها لأجل هذا .

وعلى المدى الطويل يصبح الأطفال المهذبون هم أكثر الأطفال سعادة ، ويصبح أسعد الآباء هم من ينجحون فى حمل أطفالهم على الطاعة . فقط تذكر أن كلاً من الوالد والابن لا يستطيع أن يحيا بدون الآخر .

٥ فبراير

عادة ما يخشى الآباء غير الحاسمين ارتكاب الأخطاء . فهم يعتقدون أن القرارات الخاطئة من شأنها أن تلحق بأطفالهم أضراراً بالغة ، لذا فإنهم يعزفون عن اتخاذ أية قرارات حاسمة ـ الأمر الذى يعد من أكبر الأخطاء التى يمكن أن يرتكبها الآباء . ولكن ارتكاب الآباء خطأ كل يوم أفضل من عدم تمتعهم بالحسم . إن القرارات السيئة يمكن الرجوع عنها بسهولة إما باستخدام عبارات " آه ، حسناً " أو ـ عند الضرورة القصوى ـ تغييرها . وفى أى من الحالتين ، لن يُحدث الرجوع عن القرار أى ضرر يذكر . ولكن على الجانب الآخر ، فإن تبنى أسلوب خاطئ فى اتخاذ القرارات من شأنه أن يؤدى إلى نتائج هدامة .

إن دعائم إحساس الطفل بالأمان هى حب أبويه له وسلطتهما . وسلطة الأبوين تصبح جلية للطفل حينما يتمتعان بالحسم . وعدم حسم الآباء يجعل الأطفال يشعرون بعدم الأمان . وهذا الشعور بعدم الأمان يتجسد بعد ذلك فى صورة مشكلات سلوكية . أترى ما يحدث ؟ كلما حاولت أن تتجنب ارتكاب أخطاء قد تتمخض عنها مشكلات ، نتج عن ذلك المزيد من المشكلات .

٦ فبراير

يقاطع هذا الجيل من الأطفال الأمريكيين حوارات الكبار بهذا الشكل المستفز لكثرة سماحنا لهم بالاشتراك فى أنشطة البالغين (وأيضاً لكثرة اشتراك البالغين فى أنشطة الأطفال) ، ولأن آباءهم لا يملكون الشجاعة الكافية ليقولوا لهم : " مادمت لا تستطيع أن تنصت فى أثناء تحدثنا فمن الأفضل أن تغادر غرفتك " وذلك خوفاً من أن يصيبوا أطفالهم بالإحباط ، ولأن آباءهم يأبون القيام بأى شىء دون أن يأخذوا أطفالهم معهم ، إلا حين يذهبون إلى العمل أو دورة المياه ، وربما يأخذوهم معهم حتى إلى تلك الأماكن .

لا يمر يوم واحد تقريباً دون أن أرى دليلاً على قلة احترام الأطفال لآبائهم . وهذا أمر مأساوى حقاً لأن الطفل الذى لا يحترم من هم أكبر منه لا ينتبه إليهم . والطفل الذى لا ينتبه لا يتعلم . لهذا السبب دائماً تأتى إجابتى عن استفسار الآباء عن كيفية تنمية ذكاء أطفالهم بقولى : " دعك من تنمية ذكاء طفلك ، إن أردت أن يصبح طفلك أحد أنبه التلاميذ حاول أن تعمل على تعزيز احترامه للكبار ، على أن تبدأ بنفسك " .

٧ فبراير

يعد الأطفال قبل سن العامين كائنات غير متحضرة ، لذا فقد تجدهم يقومون بأمور غريبة مثل ضرب رؤوسهم فى أشياء صلبة (كأرضية المنزل) عندما يغضبون . لا بأس في ذلك ؛ فهذا لا يعد دليلاً على فشلك كوالد ، أو إصابة طفلك بالانفصام ، أو تلف دماغي (ولن يؤدى ضربه لرأسه لإصابته بأى مما سبق) . علاوة على ذلك ، فمن السهل حل تلك المشكلة إن احتفظ الأبوان بهدوء أعصابهما .

أولاً ، ابحث عن قطاع مستو فى أى حائط بالمنزل على أن يكون فى مكان جانبى ولكن يسهل الوصول إليه . وباستخدام قلم تلوين قابل للمسح ، ارسم دائرة قطرها قدمان على الحائط بحيث يكون مركز الدائرة فى نفس ارتفاع جبهة الطفل . تأكد من أنه لا توجد أية مسامير أو بروزات داخل الدائرة . اجلب المشاغب الصغير لمكان الدائرة وأوضح له أن هذا هو المكان المخصص لضرب الرأس . فأينما رغب أن يضرب رأسه فلابد له أن يأتى إلى هذه الرقعة لأنها أنسب مكان فى العالم أجمع للقيام بمثل هذا الأمر .

وإن كان طفلك من هواة ضرب الأرض بقدميه أيضاً ، فارسم دائرة على الأرض ـ أسفل دائرة ضرب الرأس مباشرة ـ وأخبر طفلك أن هذا هو المكان المخصص لضرب الأرض بقدميه . والآن أصبح بإمكانه أن يضرب رأسه فى الحائط ويضرب الأرض بقدميه فى آن واحد ؛ الأمر الذى لن يعمل على إضاعة وقته . واشرح لطفلك كيف أن تلك الدائرة هى أنسب مكان لضرب رأسه بأن تجثو على ركبتيك وتضرب رأسك فى الحائط عدة مرات . أخبر طفلك بمدى شعورك بالراحة عندما فعلت ذلك وشجعه على أن يجرب بنفسه .

نعم أنا أعلم أن ذلك قد يبدو ضرباً من الجنون ، ولكن ألم تسمع عن المثل القائل " لا يفل الحديد إلا الحديد " ؟ . إن معتوهك الصغير سينظر إليك وكأنك فقدت عقلك ، وفى المرة التالية التى سيثور خلالها سوف يبدأ فى ضرب رأسه فى أى مكان يخطر على باله . وعندما يحدث ذلك ، احمله واذهب به إلى الدائرة التى رسمتها ، وقل له : " اضرب رأسك هنا فى المكان المخصص لذلك ! " وتوجه بعيداً .

إن قمت بذلك في كل مرة يضرب فيها الطفل رأسه ، فسوف تختفي هذه العادة في غضون أسبوع . إن مثل تلك العادة لا تستمر مع الطفل إلا إذا أثار والداه جلبة بشأنها . وفي خلال شهر سوف يصبح ضرب الطفل لرأسه مجرد ماض وانتهى . وربما يبدأ الطفل فيما بعد في عض نفسه ، في هذه الحالة ارسم دائرة على ذراعه و .....

٨ فبراير

ذات مرة قال لى أحد الأشخاص إنه لم يسمع قط عن نبى قام بضرب ابنه . قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكن هل يعنى ذلك شيئاً ؟ إن عدم قيام أحد الأنبياء بشىء ما لا يعنى أن هذا الشىء غير صحيح أو ملائم .

فى العصور القديمة ، كانت العصا رمزاً للسلطة حينما تكون فى يد ملك أو مرشد أو حتى راعى غنم . لذا ، فإننى أعتقد دوماً أن الله قد ألقى على عاتقنا مسئولية كبرى ألا وهى تهذيب أطفالنا على النحو الصحيح وإرشادهم مستخدمين فى ذلك الأساليب الملائمة . وأكرر إننى لا أستطيع أن أتخيل أحد الأنبياء يجذب طفلاً بالقوة ويضربه .

وبناء على ذلك ، فإننى أظن أنه لن توجد لديك مشكلة فى ضرب طفلك عندما يستحق الأمر .

٩ فبراير

فى دراسة شهيرة أجريت خصيصاً لإثبات مدى التأثير المدمر لاحتجاز الأطفال على ثقتهم بأنفسهم ، استجدى القائمون على الدراسة الأطفال الذين تم حجزهم من قبل للتعبير عن مشاعرهم حيال هذا الأمر . أتستطيع أن تخمن ما قالوا ؟! لقد كانت إجاباتهم من قبيل : " لقد كان الأمر محرجاً للغاية " ، و " أنا لا أرغب فى التحدث عن هذا الأمر " ، و " لم يعجبنى ما حدث " . الخلاصة : لقد اهتزت ثقة هؤلاء الأطفال بأنفسهم ، لذا فقد خلص القائمون على الدراسة إلى أنه لا يجب احتجاز الأطفال بأية حال من الأحوال . وقد استخدمت تحريفات " منطقية " أو " علمية " مشابهة لتعليل ضرورة خفض الدرجات أو لتطبيق بدع تعليمية مثل " التعليم التعاونى " ، والذى لا يعطى خلاله المعلمون الدرجات حسب الأداء الفردى للطلاب ولكن حسب القدرة على حل المشكلات فى مجموعة ، حيث إن المجموعة ككل هى التى تحصل على الدرجة . ما هذا الهراء ؟ وكيف يعلم المعلمون فى تلك الحالة التلاميذ الأفضل والأنبه ؟ أعتقد أنهم نظرياً ـ على الأقل ـ لن يتمكنوا من التعرف عليهم . أرأيت ، إن هذا هو بيت القصيد . فبتلك الطريقة لن يصبح أى تلميذ أفضل من الآخر وبالتالى لن تتأثر ثقة الأطفال بأنفسهم نتيجة مقارنات لا داعى لها . وقد يسأل أحدكم : أليس من الممكن أن يكون نتاج هذا العمل الجماعى تلميذاً نابهاً ومتحمساً يتولى هو مسئولية معظم مهام المجموعة إن لم يكن جميعها ؟ إن إجابة هذا السؤال واضحة : سينتهى الأمر بأن يقوم طفل واحد بالمهام المكلف بها أربعة أطفال . ولكن لن تهتز ثقة أى طفل بنفسه ، وهذا هو المطلوب . وباستخدام تلك الطريقة فى التدريس وطرق أخرى مختلفة تحولت المدارس الحكومية من أماكن للتدريس لأماكن للتدليل هدفها الرئيسى ـ والذى كنا نعرف أنه التعليم ـ علاج نفسيات الأطفال . أعتقد أنه يمكننى أن أصرح بأن المدارس الحكومية اليوم أصبحت تضع " تعزيز الثقة بالنفس " هدفاً رئيسياً لها وليس تعليم الأطفال مختلف المهارات الرئيسية .

١٠ فبراير

نعم ، إنه من الضرورى أن يحترم الكبار الأطفال ، ولكن ليس فى الإمكان أن تنشأ علاقة ديمقراطية بين الأطفال والبالغين . لذا ، فإن احترام الأطفال لا يعنى بأية حال من الأحوال معاملتهم الند بالند ، وإنما يعنى تقبل الأطفال كما هم ومساعدتهم على بلوغ ما يستطيعون بلوغه ، مع توقع الكثير منهم .

ويعنى تقبل الأطفال كما هم تقبل سلوكياتهم السيئة ـ وذلك لا يعنى الموافقة عليها وإنما تقبلها . يحتاج أى طفل نحو ثمانية عشر عاماً لكى يصبح إنساناً متحضراً ، وفى خلال تلك السنوات كل ما يقوم به الطفل هو المحاولة والخطأ ، مع ارتكاب الكثير من الأخطاء . وعندما يرتكب الطفل أى خطأ لابد أن يكون والداه مستعدين لتصحيحه . ولكى يصحح الآباء تلك الأخطاء على نحو فعال لابد أن يتواصلوا بفاعلية مع أطفالهم ويتمتعوا برباطة الجأش . والوالد لا يستطيع البقاء رابط الجأش فى وجه أخطاء طفله إلا إذا تقبل (واحترام) حقيقة أن طفله هو مجرد طفل .

إن التحلى بالصبر فى أثناء تربية الأطفال لا يعنى فقط إحاطتهم بالحب والرعاية ولكن أيضاً تهذيبهم بالطرق الملائمة . وهذان هما وجها عملة الأبوة الحقيقية ، فإن إحاطة الطفل بالحب دون تهذيبه ما هو إلا مجرد تدليل ، وعلى الجانب الآخر فإن تهذيب الطفل دون إحاطته بالحب هو مجرد تعذيب . إن النجاح فى الوصول إلى وسيلة متوازنة لتربية الطفل هو التحدى الحقيقى الذى يواجه جميع الآباء .

أما أن تتوقع الكثير من طفلك فيعنى أن تعقد عليه آمالاً كبيرة . وقد يحدث بالطبع أن تعقد على طفلك آمالاً غير منطقية ، ولكن الحالة الأكثر شيوعاً وإلحاقاً بالضرر هى أن تكون توقعاتك من طفلك أقل من إمكاناته الحقيقية . فى عالمنا هذا ما من أحد ينظر إلى الوسطية بعين الاعتبار ، لذا فأنت لا تحترم طفلك حينما تتقبل كونه متوسطاً فى أى مجال ، بل يجب أن تتوقع من طفلك النجاح فى المدرسة والتحلى بأخلاق كريمة ومعاملة الأطفال الآخرين معاملة عادلة وتأدية مهامه المنزلية (بدون مقابل) .

وإذا حرصنا على تحرى المنطق ، فإنه كلما كانت المعايير التى نرسيها أمـام أطفالنا سامية نجحنا فى رفع مكانة هؤلاء الأطفال . وهـذا هـو عزيـزى القـارئ كل ما يعنيه احترام الأطفال .

١١ فبراير

الزواج هو حجر أساس أية أسرة ومحور ارتكازها ، وهو يسبق مجيء الأطفال ، ويعتمد عليه جميع أفراد الأسرة . لذا فإن جعلت الأولوية دوماً لأطفالك وجعلتهم محور مخططاتك فى هذه الحياة ، فربما لن يتحمل نسيج علاقتك بزوجك كل التمزقات والاهتراءات التى من الطبيعى أن يتعرض لها فى خلال سنوات الرعاية والتربية . إن الزواج هو قلب ونواة أية أسرة ، فمن خلاله يزداد عدد أفراد العائلة ويتحدد شكل الأسرة وهو الذى يجمع شملها أيضاً . نعم إنه يتعدى هوية الشخصين اللذين تزوجا ، بيد أن الزواج الصحى لا يحافظ فقط على هذه الهويات ولكنه أيضاً يعمل على تعزيزها .

إن الآباء لن ينجحوا فى تلبية احتياجات أطفالهم إلا إذا نجحوا أولاً فى تلبية احتياجات زيجاتهم ، فالأطفال الذين يلمسون نجاح علاقة والديهم ويشعرون باستقرارها هم أكثر الأطفال شعوراً بالأمان . إن آباء مثل هؤلاء الأطفال يمثلون لهم القدوة الحسنة فى كيفية المشاركة والرفض بأساليب لا تجرح كرامة أى أحد ، وكيفية العناية بالآخرين . إنهم يتعلمون أن علاقة والديهما ببعضهما البعض لا تتضمنهم ـ ومع ذلك فإنهم يشعرون أنهم يكملونها . إن الأطفال يتعرفون على هويتهم من خلال تحديد هويات آبائهم أولاً ـ ما يتسمون به وما لا يتسمون . فهم يكتشفون مكانتهم فى هذه الحياة من خلال التعرف أولاً على الحيز الذى لا يستطيعون التواجد خلاله . إن هذا الإحساس الواضح بـ " الانفصالية " هو الذى يعزز نمو استقلال الأطفال ويدفعهم نحو تحقيق أحلامهم وآمالهم .

١٢ فبراير

إن الآباء الذين ينجحون فى تولى مسئوليات التربية على أكمل وجه فى خلال الثمانية عشر شهراً الأولى تقريباً من عمر أطفالهم إنما يغرسون بداخل أطفالهم إحساساً بأنهم الأشخاص الذين كان هذا العالم بانتظارهم . ولكن يجب ألا ينسى الآباء أنها مسئوليتهم أيضاً أن يقوموا بعكس كل ما قاموا به فى الثمانية عشر شهراً الأولى فى خلال الثمانية عشر عاماً التالية . ولكن المشكلة هى أن الطفل يظل متشبثاً بكل ما أوتى من قوة بالاعتقاد الذى ساعده أبواه على اكتسابه وهو أن هذا العالم لابد أن يرضخ أمام كل مطالبه . فهو لا يتراجع عن اعتقاده بأنه يمتلك " الحق " فى أن تسير الأمور حسب هواه ورغبته ، وأن أبويه ومعلميه يكونون قد جانبوا الصواب حينما ينكرون عليه هذا الحق .

إن الأبوين لا يستطيعان متابعة تنشئة طفلهما اجتماعياً إلا حينما يجردانه من إيمانه بمركزية ذاته . فى الحقيقة ، إن الاعتقاد بمركزية الذات لا يحول فقط دون استطاعة الآباء تنشئة أطفالهم اجتماعياً ولكنه يعوق كذلك نموهم الروحى . وبناءً عليه يجب أن ينتقل الطفل فى مرحلة مبكرة من حياته من اعتقاده بمركزيته إلى اعتقاده بمركزية الآخرين بداية بوالديه . وفى أفضل الظروف ، تبدأ هذه الرحلة فى السنة الثانية من عمر الطفل وتتأسس جذورها (ولكنها لا تكتمل) فى نهاية العام الثالث .

والخطوة الأولى من تلك العملية تتضمن نزول الطفل من فوق عرش " أنا " الزائف واعتلاء والديه لهذا العرش والذى أصبح اسمه الآن " أنت " .

ومعنى ذلك أنه أصبح على الطفل الآن أن يوجه مزيداً من الانتباه لوالديه أكثر من ذلك الانتباه الذى يدفعه أبواه له . إن الغرض من تلك القاعدة ليس رفع مكانة الأبوين وإنما تعزيز نمو الطفل الانفعالى والاجتماعى والروحى كذلك . والطفل لن يستطيع أن يستوعب بأية حال من الأحوال أن مكانة الأبوين يجب أن تعلو وترتفع أولاً لكى ترتفع مكانته فى النهاية ، وسوف يظل متشبثاً بمركزية ذاته ـ فقط إن سمحت له بذلك . لذا لا يجب أن يتصف

الآباء بالسلبية تجاه هذا الأمر ، بل يجب أن يعملوا على محو هذا الاعتقاد من مخيلة الأطفال بكل ما أوتوا من قوة وحملهم على السير فـى المسـار الصـحيح .
والطفل ـ لما يتمتع به من غباء وضيق أفق وقصر نظر ـ لن يستطيع القيـام بهـذا الأمر وحده .

١٣ فبراير

إن رغبة الطفل الصغير فى ممارسة رياضة أو نشاط ما لا تعدو كونها مجرد فضول ، لذا لا يجب إجبار الطفل على ممارسة - أو الاستمرار فى ممارسة - أحد الأنشطة أو الرياضات فقط لأن أبويه يرغبان فى ذلك ، ويجب أن يكون للطفل مطلق الحرية فى أن يترك هذا النشاط وقتما يحب . وعذر الطفل فى هذه الحالة لا يجب أن يكون أكثر من " أنا لا أريده " .

إن الطفل الذى لا يتمتع بمثل هذه الحرية قد يتردد بعد ذلك فى الالتحاق بأى نشاط آخر عسى أن يجد نفسه محتجزاً داخل نشاط بدا جذاباً فى البداية ولكن اتضح فى النهاية أنه غير ذلك . على الجانب الآخر ، فإن الطفل الذى يتمتع بحرية ترك نشاط اختاره بنفسه يكون بمنأى عن خطر تكوين سلوك " الانسحاب " تجاه الحياة . بل على النقيض تماماً ، فإن توليفة النجاح - المبادرة ، الإنجاز ، الحماسة ، المثابرة - لا تبدأ فى النمو إلا حينما نسمح لها بأن تترسخ وتزدهر بداخل الطفل .

ويمكن للطفل أن يحقق بعض الفائدة عندما تتعاقد معه على الالتزام بشىء معين طوال فترة محددة بخصوص أنشطة بعينها وخاصة تلك التى ستكبدك بعض المال . على سبيل المثال ، يمكن أن يشترط الآباء على طفلهم قضاء عامين فى تعلم كيفية العزف على إحدى الآلات الموسيقية التى أبدى الطفل اهتماماً بها قبل أن يشتروها له بالفعل . وفى مثل هذه الحالات ، يتعلم الطفل درساً صغيراً حيال الالتزام والمسئولية .

١٤ فبراير

إن الحقيقة بمنتهى البساطة هى أن الطفل قادر على ارتكاب أى سلوك سيئ . وطفلك ليس مستثنى من هذه القاعدة . أما الجانب المشرق من هذا الأمر فهو أن طفلك لا يقترف تلك الحماقات بسبب خطأ ارتكبته أنت ، ولكنها مازالت مسئوليتك أن تصحح له أخطاءه أينما وقعت . فشتان بين تولى مسئولية تهذيب طفلك وتحمل وزر أخطائه ، فالخطأ هو خطأ الطفل وحده ، أما تولى المسئولية الحقيقية فيعنى القيام بشىء ما يجعل الطفل يبدو أقل حماقة عما بدا فى المرة السابقة .

ويمكنك أن تبدأ فى تولى تلك المسئولية عزيزى القارئ بألا تنكر مطلقاً أنه بإمكان طفلك ارتكاب مختلف الحماقات . وعندما يخبرك أحد الأشخاص عن إحدى الحماقات التى ارتكبها طفلك فقط أجبه قائلاً : " شكراً لك ! ثق أننى سأرى ما بإمكانى فعله ! " وانصرف متوجهاً إلى عملك .

الخلاصة ، لا تحاول أن تكون أحمق مثل طفلك .

١٥ فبراير

بين سن العامين والستة أعوام يكون الطفل الأمريكى العادى الذى لم يلتحق بالمدرسة بعد قد شاهد نحو خمسة آلاف ساعة من الإرسال التليفزيونى . وإذا فرضنا أن يوم الطفل يتكون من أربع عشرة ساعة فإن ذلك يعنى أن أطفال مرحلة ما قبل المدرسة يمضون نحو ربع وقتهم جالسين أمام شاشة التلفاز .

ولكى تستطيع أن تدرك خطورة ذلك الأمر ، لابد أن تعرف أن تلك المرحلة السنية بين سن العامين والستة أعوام تدخل فى نطاق أهم سنوات عمر الطفل . فهى تدخل فى نطاق فترة استكشاف الطفل للعالم من حوله وتنميته للمهارات التى سوف يحتاجها لكى يصبح مبدعاً وكفئاً .

إن كل إنسان تقريباً يولد وهو مبرمج بالفعل لاكتساب كافة المهارات التى يمكن تخيلها ـ سواء كانت فكرية ، أو فنية ، أو موسيقية ، أو رياضية ، أو خاصة بالعلاقات بين الأشخاص ، أو روحية ، وهكذا . وفى خلال سنوات تقويم الطفل يتم تنشيط هذه البرامج بتهيئة بيئات وتوفير تجارب " تضغط على الأزرار الجينية الصحيحة " لدى الطفل .

وبغض النظر عما يشاهده الطفل ، فإن مشاهدة التلفاز بوجه عام لا تنشط بأية حال من الأحوال سمات مثل : الإقدام ، والفضول ، وسعة الحيلة ، والإبداع ، والحماسة ، والمنطقية ، ومهارات حل المشكلات ، ومهارات التواصل ، والمهارات الاجتماعية ، والمهارات الحركية الدقيقة ، والعادية ، والتناسق بين العين واليد ، وقدرات التتابع البصرى لدى الطفل . إن " الوميض " المستمر الصادر عن التلفاز يعنى أن الطفل لا ينظر إلى أى شىء بعينه لمدة تزيد على بضع ثوان ، لذا فإن مشاهدة التلفاز تحول دون تنمية الطفل المقدرة الطويلة على التركيز . وأخيراً ـ وليس آخراً ـ حيث إن الأحداث التى يشاهدها الطفل على الشاشة الصغيرة لا تتبع تسلسلاً زمنياً بعينه ، فإن التلفاز لا ينمى التفكير المنطقى التتابعى لدى الطفل والضرورى لفهم علاقات السبب والنتيجة . وباختصار ، إن الطفل الذى يشاهد التلفاز لا يحقق أية استفادة ، بل إن كل ساعة يهدرها أمامه هى بمثابة تضييع فرصة ذهبية لتنمية قدرة أساسية .

١٦ فبراير

إن الآباء الذين يتتبعون ما يقوم به أطفالهم المراهقون ويخضعون كل تحركاتهم للرقابة السليمة ، ينجحون دوماً في استشعار أى خطر قبل أن يحدث . نعم ، إنهم قد لا يعلمون تفاصيل حياة أطفالهم ولكنهم مع ذلك يعلمون ما يكفى . وهناك اختبار لاستكشاف الخطر ، ويمكنك إجراؤه بسؤال نفسك : " كم مرة يساورنى شك بخصوص ما يفعله طفلى أو بشأن ما يدعى أنه يفعله ؟ " وإذا كانت إجابتك أنها مرة كل شهر أو أكثر ، فمن الأفضل أن تراقب طفلك عن كثب . ومن إشارات الخطر : (١) تغييرات ملحوظة فى سلوك الطفل أو أصدقائه أو نظرته للمدرسة ، (٢) السرية بخصوص أماكن تواجده ، (٣) الكذب فى أمور لا تستحق ، (٤) رفض المشاركة فى الأنشطة العائلية ، (٥) فترات طويلة من عزل النفس داخل المنزل .

إذا ساورك الشك بوجود مشكلة ، فعليك أن تشارك ـ لا أن تتهم فقط بل تشارك ـ طفلك ملاحظاتك وشعورك وتحاول أن تفتح معه حواراً بخصوص هذه المشكلة . وكقاعدة عامة ، كلما زاد دفاع الطفل عن نفسه عند مشاركة أبويه مخاوفهما معه ، كان ذلك يعنى أن الوالدين قد نجحا فى الاقتراب من المشكلة الحقيقية .

سؤال : إن ابنتى " ساندرا " البالغة من العمر سبعة عشر عاماً شديدة الخجل . حتى عندما كانت طفلة رضيعة كانت شديدة الحساسية تجاه المواقف والأشخاص الجدد . وقد أبدت معلمتها مخاوفها من حيائها هذا قائلة إن ذلك ربما يكون ناتجاً عن ثقتها المنخفضة فى نفسها . ثم ألمحت أن " ساندرا " ربما تشعر أننا لا نحبها بنفس قدر حبنا لأطفالنا الآخرين وأننى أنا وزوجى نعقد عليها آمالاً غير واقعية . نعم ، إننا لا نتقبل أية إساءة للسلوك من قبل أطفالنا ، ولكننى لم أتصور أبداً أن يتهمنى شخص ما بأننى دمرت نفسية أحد أطفالى .

جواب : أنا متيقن من حسن نية معلمة " ساندرا " ، ومع ذلك فإننى أشكك فى مصداقية معلوماتها . فإن أحد أكثر الأبحاث قوة الذى أجرى مؤخراً يوحى بأن الخجل هو سمة فطرية يولد بها الطفل . وقد وجد الباحثون فى جامعة " هارفارد" أن الأطفال الذين كانوا يتصفون بالجبن فى أثناء مرحلة الطفولة والفطام يعانون كذلك حياءً اجتماعياً فى سن السابعة . وقد خلصت تلك الدراسة إلى أن نحو ١٥ ٪ من الأطفال - أكثر هذه النسبة من الإناث - يعانون من الخجل . وقد اكتشف هؤلاء الباحثون كذلك أن معظم هؤلاء الأطفال يتخلصون من ذلك الخجل على مر السنوات .

وأفضل " علاج " للخجل هو أبوان يشجعان الطفل ويدعمانه ، ولا يعانيان هما أيضاً من الخجل . وأعتقد أنه لا داعى لتأكيدى على أن الانتقاد المستمر للطفل الخجول لن يعمل إلا على زيادة الأمور سوءاً ، شأنه فى ذلك شأن قلق الأبوين البالغ حيال عزلة الطفل .

وأفضل نصيحة أستطيع أن أسديها لك فى هذا الصدد هو أن تقومى بتشجيع ابنتك على تجربة أشياء جديدة ولكن دون أن ترغميها على ذلك . ففى النهاية سوف تخرج طفلتك من قوقعتها حينما تكون مستعدة وليس قبل ذلك . علاوة على ذلك ، فلابد لمعلمة " ساندرا " أن تتوقف عن القلق حيال صحة الطفلة الذهنية وتركز بدلاً من ذلك على إيجاد طرق إيجابية تخرج بها الطفلة من عزلتها .

١٨ فبراير

إنها مسئولية كل والد أن يعلم أطفاله تلك الحقيقة الحياتية الأساسية غير القابلة للتغيير : فلا يمكن أن تحصل على شريحة خبز مزبدة من كلتا الناحيتين ، في الحقيقة ستأتي أيضاً أوقات لن تجد فيها زبداً على أية ناحية من الخبز ، بل ستواجه أوقاتاً لا تجد فيها حتى الخبز .

وتلك الحقيقة لا دخل لها بمستوى معيشتك . فسواء كان دخلك السنوى ٤٠ مليون دولار أو ٤٠ ألفاً ، فإنها مسئوليتك التى لا تستطيع التملص منها تجاه طفلك (وتجاه مجتمعك كذلك) ، أن تعلمه أنه لا يمكن أن يحصل على الزبد على كلا جانبى الخبز ، إلخ . بمعنى آخر ، كلما كان مستوى معيشتك مرتفعاً ، زادت أهمية عدم مشاركة نفس هذا المستوى المعيشى مع طفلك . فبدلاً من أن تشارك أطفالك النجاح المادى الذى وصلت إليه ، علمهم المهارات والقيم التى سوف يكونون بحاجة إليها كى يحققوا النجاح هم أيضاً . وأنا أطلق على هذا " مبدأ الحرمان الحميد " ، فاحرم طفلك الآن حتى يكون مسلحاً لاحقاً بكافة إمكانات النجاح !

١٩ فبراير

إن الوالد الـذى يتـدخل علـى نحـو مبـالغ فيـه فـى حيـاة طفلـه أو طفلتـه (وتكون للأسف طفلته فى أغلب الأحوال) إنما يخشى أن يرتكب طفله خطـأ ويحاول بشتى الطرق أن يبـادر للحيولـة دون وقـوع ذلـك الخطـأ . وفـى أثنـاء تحليق الوالد حول الطفل فقد يتولى ـ عن غير قصد ـ مسئولية قراراته الأكاديمية (أو الاجتماعية أو الاستجمامية أو غير المنهجية) أو مستوى أدائـه ، وبالتـالى فهو يبالغ فى التوجيه والسيطرة والتحكم . إن الوالد بهذه الطريقـة يبـالغ فـى حماية طفله ـ فهو يحاول أن يحمى طفله من الفشل ويحمى نفسه من الاعتقـاد الذى قد ينطبع فى ذهن الآخرين بأن فشل طفله ما هو إلا انعكاس لفشله هـو . وفى أثناء عملية التحليق أيضاً ، يعزز الوالد فـى داخـل الطفـل سمـة الاعتمـاد على الآخرين ويضعف من قوة تحمله للإحباط ، ويعـوق نمـو الإقـدام ، وسـعة الحيلة بداخله . يا لـه مـن ثمـن قـاس يتكبـده الطفـل فقـط لأن والـده أراد أن " يقدم يد المساعدة " !

٢٠ فبراير

عندما أطرح هذا السؤال على جمهور مكون من خمسمائة شخص : " من منكم لديه طفل كثير المجادلة ؟ " فإن نحو ٣٥٠ شخصاً يرفعون أيديهم .

وعند هذه النقطة ، أقول : " إن لدىّ أنباء جيدة أو ربما سيئة ، حسب ما تنظر إليها : **ليس لدى أى منكم طفل كثير المجادلة** . فى الحقيقة لا يوجد مثل هذا الطفل ، ولن يستطيع أى منكم الفوز فى أى حوار جدلى مع طفله مادمتم تعتقدون أن طفلكم جدالى بطبعه " .

إن إنهاء أى حوار جدلى يتطلب منك إلى حد ما اتخاذ نفس الخطوة الأولى التى يتخذها الأشخاص فى برامج الاثنتى عشرة خطوة . فلابد أن تقول لنفسك : " أنا المسئول الأول والأخير عن ظهور مثل هذه المجادلات وليس طفلى . إنه فقط يستغل الفرصة التى أعطيها إياه ليستمر فى جدالى " . قد تبدو هذه العبارة مثبطة للعزم ، ولكنها تعنى " أنك مادمت المسئول عن ظهور تلك المجادلات فى المقام الأول فإن باستطاعتك الحول دون حدوثها أو إيقافها فى أى وقت تريد " .

وعند هذا الحد عادة ما أسمع همهمات صادرة من بعض الأشخاص تعبر عن عدم التصديق ، لذا فإننى أطرح هذا السؤال : " من منكم كان أبواه يرفضان رفضاً مطلقاً الجدال معه ؟ " .

فيرفع نحو نصف عدد الحضور أيديهم . فأقول : " أرأيتم ؟ لقد كان لآبائكم مطلق السيطرة على تلك المجادلات ويستطيعون منعكم فى أى وقت من المجادلة معهم ، فهم لم يكونوا يسمحون بحدوث مثل ذلك الأمر ! وباستطاعتكم أن تقتدوا بهم وتفعلوا مثلهم فى أى وقت ! " فبإمكانك أن تتوقف عن إعطاء طفلك الفرصة ليتجادل معك . ففى المرة القادمة التى لا يوافق طفلك فيها على أحد القرارات التى أصدرتها أو لا يستسيغ تفسيرك لسبب اتخاذك قراراً ما ، قل له : " حسناً ، لا بأس ، كان يساورنى نفس هذا الشعور إن كنت فى مثل سنك " . وفى تلك اللحظة الحاسمة استدر مع هز كتفيك هزة بسيطة وغادر مبتعداً !

" لِمَ لا تحققون الفوز دوماً فى صراع القوى هذا ؟! إن هذا لن يضمن لكم فقط انصياع طفلكم فى اللحظة الآنية ، ولكن على طول الطريق . الآن أنا أتحداكم لتثبتوا لى جميعاً أننى محق ! " .

٢١ فبراير

دائما ما ينصح أطباء النفس باستخدام أسلوب " الوقت المستقطع " كأسلوب تهذيبى شديد الفاعلية حقق نجاحاً ملحوظاً خلال الخمسة والعشرين عاماً المنصرمة . وهم لا يكفون عن تقديم أدلة دامغة ليثبتوا أن أسلوب الوقت المستقطع يكون أكثر فاعلية مع الأطفال حسنى السلوك حيث إنه لا يحقق نفس النتائج الفعالة مع الأطفال ذوى السلوكيات السيئة للغاية .

لكن أحد عيوب هذا الأسلوب هو أنه غير قابل للتطبيق فى جميع الأوقات . فمن الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ أن تستخدم أسلوب الوقت المستقطع إن أساء الطفل السلوك خارج المنزل أو فى حالة خروجك من المنزل فى عجلة للحاق بموعد مهم . والأطفال الذين يكثرون من إساءة السلوك سرعان ما يكتشفون نقاط ضعف هذا الأسلوب .

علاوة على ذلك ، فإن الوقت المستقطع لا يكون عقاباً كافياً إن صدر عن الطفل سلوك مشين حقاً . فماذا لو تجاهل طفل بالغ من العمر خمس سنوات ويتسم بحسن السلوك أحد أوامر والديه ؟ فى هذه الحالة لا بأس من أن يخضع هذا الطفل لعقوبة الوقت المستقطع . ولكن دعنا نفترض أن نفس هذا الطفل قام بضرب أحد أفراد الأسرة . فى هذه الحالة لابد أن يتخذ الأبوان إجراءً أكثر حزماً ، إجراءً يقتلع مثل هذا السلوك السيئ من جذوره . فأنا أعتقد أنه من السخيف حقاً أن تطلب من الطفل أن يجلس على مقعد لمدة بضع ثوان بعد أن قام بضرب أحد أفراد الأسرة .

ويؤكد العديد من أطباء النفس اليوم أن أساليب التهذيب التى كانت تستخدمها الأجيال السابقة من الآباء كانت تتسم بالقسوة إن لم تكن وحشية . ولكننى على الجانب الآخر أتمسك بالرأى القائل إن الأجيال السابقة من الأطفال كانت أكثر تهذيباً من جيل اليوم وذلك لأن آباءهم استخدموا معهم أساليب تهذيبية أكثر فاعلية مثل حبسهم فى غرفهم طوال أيام كاملة أو حتى الضرب .

٢٢ فبراير

حسب تقديرى وتقدير العديد من المعلمين الآخرين لا يمكن أن نصنف برنامج " عالم سمسم " كبرنامج " تعليمى " . ففى المقام الأول لا يوجد دليل دامغ يؤكد أن مثل هذه النوعية من البرامج تعزز مستويات الأداء الأكاديمى لدى مشاهديها الصغار . هذا وقد كشفت إحدى الدراسات الموضوعية أن الأطفال الذين اعتادوا على مشاهدة " عالم سمسم " قبل التحاقهم بالمدرسة كان مستواهم الدراسي أقل من هؤلاء الذين لم يشاهدوا هذا البرنامج كثيراً أو لم يشاهدوه مطلقاً .

ثانياً ، إن عقد مقارنة بين الفصل الدراسى وعالم سمسم سوف تكون أشبه بمقارنة ثمرة تفاح بثمرة بطاطس . فالأطفال الذين يشاهدون مثل هذه البرامج يأتون إلى المدرسة وهم يعتقدون أن معلميهم سيكونون مسلين مثل " الطائر الكبير " . لكن لكى يكون التعليم مجدياً ويؤتى ثماره حقاً فلابد أن يبذل الأطفال جهداً مضنياً . نعم إن تلك البرامج التى يطلقون عليها تعليمية قد تكون مسلية ولكنها أيضاً أحد الأسباب التى تجعل معلمى اليوم يشكون أن الأطفال يأتون إلى المدرسة وهم متوقعون أن المدرسين سيعملون على تسليتهم ، وبعد ذلك يعلنون عن شعورهم بالملل عندما لا يقوم معلموهم بتحويل فصولهم إلى حلقات سيرك .

إن كنت بحاجة للمزيد من الأدلة على صحة كلامى ، فقط اسأل نفسك هذا السؤال : أولاً ، هل تعلمت القراءة فى الصف الدراسى الأول أو الثانى ؟ وهل تستمتع حالياً بالقراءة ؟ إن حقيقة قراءتك لهذا الكتاب تؤكد أن إجابتك هى " نعم " . ثانياً ، هل شاهدت " عالم سمسم " حينما كنت طفلاً ؟ إن كان لديك بالفعل أطفال الآن ، فالإجابة فى أغلب الظن هى " لا " .

الخلاصة : أنت لست بحاجة لمشاهدة " عالم سمسم " لكى تتعلم القراءة وتستمتع بها . اقتنعت الآن ؟

٢٣ فبراير

لا يجب على المعلمين أن يفرضوا على تلاميذهم واجبات منزلية لا يستطيعون أداءها ـ في معظم الأوقات ـ وحدهم . إنني أريد أن أذكركم أن أحد أهداف التعليم الأساسية هو مساعدة الأطفال على الاعتماد على أنفسهم . عندما كنت بالمدرسة ، كان المعلمون يشددون على عدم تدخل الآباء للمساعدة في الواجبات أو أية مشروعات أخرى . وإن اتضح للمعلم أن الطفل تلقى أية مساعدة أبوية في حل الواجبات كان يقلل على الفور من درجاته . أما اليوم فقد أصبحنا نسلم جميعاً أن الأبوين من المفترض أن يقدما يد المساعدة ، كما أن المعلمين عادة ما يعطون أعلى الدرجات للطالب الذى ساعده والداه على حل الواجب ، وكلما زادت مساعدة الآباء للطفل ارتفع احتمال حصول الطفل على درجات أعلى . وهذا يعنى أن الأطفال الذين يقومون بأداء واجباتهم بأنفسهم يعاقبون لأنهم حاولوا أن يكونوا مستقلين وواسعى الحيلة ومنجزين .

أنا أكره أن أردد هذه العبارة ولكنني لا أستطيع منع نفسى : إن هذا ليس عدلاً !

٢٤ فبراير

إنها حقيقة بسيطة : كلما وجَّه الآباء انتباهاً لأبنائهم وقاموا بالعديد من الأمور من أجلهم ، ازداد انتحاب هؤلاء الأطفال . وبالمثل فحينما يتعلم الأطفال تولى شئونهم بأنفسهم وكيف يكونون أفراداً مسئولين داخل أسرهم ، فإنهم لا يكتسبون عادة النحيب . إن الآباء في البلدان الأخرى لا يشكون أبداً من تلك المشكلة ويتعجبون دوماً من مدى تملك عادة النحيب من الطفل الأمريكى . إننى أمضى جميع إجازاتى تقريباً في إحدى جزر " الباهاما " الصغيرة التى لا يتعدى عدد سكانها ٦٥ شخصاً . ولم يسبق لى مطلقاً أن رأيت أى طفل ينتحب على هذه الجزيرة . ولم أسمع أياً منهم يشكو أحد البالغين لبالغ آخر . ولم أسمع كذلك أياً منهم ينخرط فى نوبة من الغضب . فإن لم يكن هؤلاء الأطفال بالمدرسة ، تجدهم يلعبون ، ولا تجد أياً منهم يحوم حول أبيه مطالباً إياه أن يخبره كيف يشغل وقته . ولم أرهم قط يلعبون بما يطلق عليه الطفل الأمريكى " دمية " ؛ إنهم يخترعون ألعاباً خاصة بهم باستخدام مخيلتهم ـ فيتخيلون العصىّ جياداً وأوراق الشجر نباتات والأحجار غذاء . وهذا ـ يا أصدقائى الأعزاء ـ هو سلوك الأطفال الطبيعيين . وقد كان هذا هو سلوك الطفل الأمريكى فى يوم من الأيام فى الماضى وذلك حسب ما يحكى كبار السن الآن .

٢٥ فبراير

سؤال : ترغب ابنتى البالغة من العمر خمسة عشر عاماً ـ والتى طالما كانت تلميذة نجيبة ـ فى أن تعمل بوظيفة ذات دوام جزئى . وأنا لا أعلم إن كانت تلك فكرة سديدة أم لا ، فبم تنصحنى أن أفعل ؟

إجابة : أعتقد أنك لابد أن تتركيها تبدأ فى كسب قوتها . فلابد لك أن تعززى رغبة ابنتك واستعدادها لأن تتقيد بالتزامات خارج المنزل والمدرسة ، وخاصة تلك التى ستتيح لها وقتاً أقل تمضيه مع أصدقائها . وأفضل ما سيحدث لطفلتك أنها ستكتشف أنها غير مستعدة بعد للعمل . لكن بغض النظر عما سيحدث ، فسوف تمثل تلك الوظيفة لابنتك فرصة رائعة للتعلم والتجربة .

ولو لم تكن ابنتك بالفعل طالبة نجيبة ، لكنت نصحتك بألا تسمحى لها بالعمل إلا بعد ما تعمل على تحسين درجاتها . وبعد ظهور بعض التحسن فى درجاتها يمكنك أن تسمحى لها بالعمل لعدد معين من الساعات فى الأسبوع . وبزيادة التحسن فى درجاتها ، تسمحن لها بزيادة عدد ساعات العمل لحد معين . فى تلك الحالة كانت رغبتها فى العمل ستضع بين يديك فرصة ذهبية كان لابد لك من اقتناصها ـ فرصة لتحويل رغبتها فى القيام بشىء (امتهان وظيفة) إلى رغبة فى القيام بشىء آخر (الحصول على درجات أعلى) . وعلى المدى الطويل يحقق انتهاز مثل هذه الفرص فائدة للطفل أكثر من تلك التى يحققها للوالد . وقد يتطلب الأمر مدة طويلة حتى يستطيع الطفل أن يدرك ذلك .

٢٦ فبراير

عندما بلغت ابنتى " إيمى " سن الثالثة ، اتخذت قراراً بتحويل وقت النوم إلى لعبة أطلقنا عليها اسم " لنرى إلى أى مدى تستطيعين أن تثيرى جنون والديك " . فبعد خمس دقائق من وضعها بالفراش كانت تخرج من غرفتها لتسأل " متى سيحين موعد عيد ميلادى ؟ " أو تقول أى شىء ظريف آخر . وكنا نجيب عن سؤالها ثم نقودها إلى غرفتها واضعين إياها فى الفراش ونتركها وننتظر . وبعد خمس دقائق تقريباً نجد " إيمى " واقفة أمامنا وبمنتهى البراءة تطرح سؤالاً آخر .

وبعد عدة أشهر من هذه المعاناة وإدراكنا أن مختلف طرق الاستجداء والترهيب والتهديد لن تجدى فى إبقاء الطفلة فى فراشها ، قررنا أننا لابد أن نحاول أن نفوقها ذكاءً (ليس عن طريق خداعها حيث إن الأطفال فى هذه السن يفوقون آباءهم ذكاءً) . ففى إحدى الليالى وفى أثناء وضعها فى الفراش انحنيت نحوها وهمست فى أذنها قائلاً : " عندما نغادر غرفتك ، يمكنك أن تخدعينا بأن تغلقى باب الغرفة فى هدوء وتضيئيها وتلعبى بألعابك . وإن لم تصدرى أية أصوات فلن نستطيع سماعك وسنظن أنك قد خلدت للفراش وبالتالى لن نغضب منك . وحينها تستطيعين أن تلعبى كما شئت إلى أن يغلبك النعاس ! " .

فما إن قلت لها ذلك حتى اتسعت عيناها وشعرت بالغبطة . فواصلت حديثى قائلاً : " ولكن إن أصدرت ضجيجاً أو فتحت باب الغرفة ، فسوف نأتى إلى غرفتك ونضعك فى الفراش ونطفئ الأنوار . لذا دعينى أرى إن كنت ستنجحين فى خداعنا الليلة ، وإلى أى مدى تستطيعين البقاء هادئة " .

ولن تصدقوا ما حدث ! فمنذ تلك الليلة كانت " إيمى " تستمتع بـ " خداعنا " . فكل ليلة بينما نحن نضعها فى الفراش نذكرها بالطريقة التى تستطيع أن تخدعنا بها ثم نترك الغرفة ونستمتع بهذا الوقت الذى لا نتحمل فيه مسئوليات الأبوة .

٢٧ فبراير

فى كل مرة أكتب عن مزايا ضرب الأطفال تصلنى العديد من الانتقادات اللاذعة ، والتى تكون فى الغالب من أساتذة آخرين . فهؤلاء النقاد منزعجون للغاية لأننى لا أشاركهم وجهة نظرهم السيكولوجية السليمة والتى تفيد أن الأطفال الذين يتعرضون للضرب : (١) يكرهون أنفسهم لأنهم يستشعرون مدى بشاعتهم ، (٢) يحلون مشكلاتهم بضرب الآخرين ، (٣) عندما ينجبون سوف يقومون بضرب أطفالهم ، (٤) سوف يصبحون مجرمين عتاة الإجرام حينما يكبرون ، (٥) كل ما سبق . ولكننى أحمل أخباراً أكثر تفاؤلاً : إن مثل تلك العواقب المدمرة تكون نتيجة الضرب المبرح للأطفال الذى يكون بمناسبة وبغير مناسبة وليس الضرب من حين لآخر دون إيلام الطفل . ولدىّ المزيد من الأخبار السعيدة وهى : يمكنك أن تحقق أفضل النتائج من وراء ضرب طفلك . إن مشكلة الضرب هى أن الآباء عادة ما يتملكهم الشعور بالذنب بعدما يقومون بضرب أحد أطفالهم .

٢٨ فبراير

مازلت أتذكر السيدة " جريمسلى " معلمة الإنشاء التى كانت تدرس لى فى الصف العاشر الدراسى ونزعتها لتحرى الصدق فى التعليم . فذات يوم بينما كانت السيدة " جريمسلى " تصحح بعض الأوراق إذ بها تنظر إلىّ فجأة وتستدعينى لأذهب إلى مكتبها . وما إن ذهبت إليها حتى أخذت ترمقنى بأبشع النظرات وقذفت فى وجهى خطبة مسهبة عنيفة بخصوص آخر فرض مدرسى سلمته لها .

فقالت بنبرة حادة لا شك أنها دوت خارج الفصل وفى الردهة : " تلك هى أسوأ ورقة سلمتنى إياها أيها الطالب " روزموند " . ومختصر القول إننى لن أحتفظ بمثل ذلك الفرض . وبالإضافة إلى أنك ستكتبه مجدداً ، فسوف تسلمنى خمس ورقات وليس ثلاثاً فقط ، ولتكن على دراية بأن أفضل درجة سوف تحصل عليها هى " ضعيف " . لذا فمن الأفضل أن تعتصر عقلك وتعطينى أفضل ما لديك ، هل فهمت ؟ ولا تقم مطلقاً ، وأنا أعنى مطلقاً بـ .. " .

فى هذه اللحظة كل ما كنت أسمعه هو همهمات وضحكات التلاميذ من ورائى . وقد شعرت أن وجهى أصبح قرمزى اللون وكانت معدتى تؤلمنى للغاية . وبعد أن تعطفت السيدة " جريمسلى " وانتهت من تعنيفى عدت إلى مقعدى وأنا أشعر أن كل العيون مثبتة علىّ وتسخر من الإهانة التى تعرضت لها ، فلقد شعرت حقاً بالمهانة الشديدة حيال نفسى فى تلك اللحظة .

ولم أحاول أن أستفز السيدة " جريمسلى " مرة أخرى . فى الحقيقة ، لقد كنت أبذل قصارى جهدى فى فصلها لأعوض ما حدث فى ذلك اليوم . وعندما كبرت عرفت أننى قد أهنت ذكاءها فى هذا اليوم وأنها لم تكن لتدعنى أفلت بفعلتى تلك . يالها من سيدة مميزة !

إننى أدين للسيدة " جريمسلى " لأنها ألقت فى وجهى الحقيقة المرة فى ذلك اليوم وجعلتنى أشعر بكل هذا الاستياء من نفسى . لقد كانت هذه المعلمة ـ هى والمعلمون الآخرون من جيلها ـ تدرك أن أفضل الحقائق هى التى تتضمن بعض الألم ، ومثل هؤلاء المعلمين لم يكونوا قد سمعوا شيئاً عن الثقة بالنفس ، أليس كذلك ؟

عند توجيه الآباء لأبنائهم ، لابد لهم أن يستخدموا أسلوباً آمراً ومختصراً ومادياً . فتلك العناصر الثلاثة هي مكونات التواصل الفعال .

استخدم أسلوباً آمراً : تحدث مباشرة إلى الطفل واسبق توجيهاتك بمثل هذه العبارات " أريد منك أن ... " أو " لقد حان وقت ... " أو " أنت بحاجة إلى ... " . بمعنى آخر ، استخدم الأسلوب المباشر . فإن أردت من طفلك القيام بشيء معين ، فاطلب منه ذلك بنبرة يقينية لا يشوبها التردد . فكلما ظهر التردد في صوتك ، زاد احتمال عدم انصياع طفلك لأوامرك .

استخدم أسلوباً مختصراً : لا تتفوه بخمسين كلمة في حين أن خمساً ستفي بالغرض ، فيمكنك أن تقول فقط : " لا أريد منك القيام بذلك مجدداً " . إننا جميعاً نتذكر المحاضرات التي كان آباؤنا يلقونها على مسامعنا ونحن أطفال ، وكم كنا نكره هذا الأمر . ونحن نعلم جيداً من خلال هذه التجربة أنه بمجرد أن يشرع المحاضر في إلقاء خطبته ينقطع السلك الرابط بين أذن الطفل وعقله .

استخدم أسلوباً مادياً : فلا تحاول انتقاء عبارات بلاغية وإنما استخدم عبارات تحدد بها السلوكيات التي تتوقعها من طفلك في مقابل السلوكيات التي لا تريدها . فعلى سبيل المثال تعد هذه العبارة " أريد منك أن تحسن السلوك في دار العبادة اليوم " غامضة ، بينما تتسم تلك العبارة " بينما نحن في دار العبادة اليوم أريد منك أن تجلس بجانبي في هدوء " بأنها مادية وواضحة .

الأسلوب الآمر المختصر المادي يساوي الانصياع .

١ مارس

عندما كنت مراهقاً كنت أقوم بفروضى المدرسية على نغمات " إلفيس بريسلى " و " بودى هولى " و " ديون " و " البلمونتس " ثم لاحقاً فريق " البيتلز " و " رولينج ستونز " . وقد كان والداى يعتقدان أن الموسيقى تشوش على التركيز . ولكننى كنت أعتقد أن اعتراض والدىّ كان على نوع الموسيقى التى أسمعها وليس لأنها تشتت انتباهى . فكانا مثلاً لا يعترضان على سماعى لـ " موتسارت " ، فقد كان على الرغم من كل شىء عبقرياً . وعلى الجانب الآخر فقد كانا يعتقدان أن " إلفيس " ما هو إلا شخص مختل وأن كثرة سماع أغانيه قد تجعلنى معاقاً ذهنياً . ولم يعلما كم تمنيت لو أننى أصاب بعدوى عدم القدرة على التعلم من " إلفيس " .

فى الحقيقة ، أعتقد أننى كنت أحصل على درجات أفضل بسبب سماعى لموسيقى " الروك آند رول " . فقد أصبحت أكتب مقالات مسجوعة باللغة الإنجليزية وبدت الرياضيات لى وكأنها ألحان متجانسة . لقد ضربت الموسيقى على الوتر الصحيح من أوتار عقلى ، فأطلقت قدراتى الخيالية وعززت مهاراتى فى الانتقال من المعانى الجامدة إلى المجردة . وتذكر أن عقل الطفل لا يتسم بالمركزية مثل عقل البالغ . وهذا يعنى أنه ليس من الصعب بالنسبة للمراهق أن يستمع إلى موسيقى " الروك آند رول " بجزء من عقله ويؤدى فروضه بالجزء الآخر ويمضغ العلكة فى نفس الوقت .

٢ مارس

فى أية علاقة صحية تضم شخصين مستقلين ولكن تربطهما التزامات معينة ، لابد من حدوث بعض الخلاف فى الرأى . فوجود اختلافات فى المنشأ والتكوين البيولوجى يجعل كلاً منكما يرى الأمور ويستجيب لها على نحو مختلف . لذا ، وبدون شك ، ستصادف أوقاتاً تختلف فيها أنت وزوجتك قليلاً حول أساليب التربية السليمة .

ولكن الخلاف فى الرأى يحمل فى طياته العديد من المزايا . أولاً ، يصدر عن الأفراد المختلفين أكثر من وجهة نظر واحدة حول الموقف الواحد . فالخلافات تطرح خيارات ، والتى من شأنها أن تخلق بعض المرونة تجاه أسلوب كل منكما فى تربية الأطفال . ثانياً ، إن خلافاتكما تخلق ديناميكية تجعل علاقتكما أكثر إثارة وتسمح لكما بالنضوج كشخصين مستقلين وكزوجين . ثالثاً ، بافتراض أنكما نجحتما فى إيجاد أساليب خلاقة لتسوية خلافاتكما ، فإن هذا لن يجعل أطفالكما فقط يتعلمون كيفية تسوية الخلافات ولكنهم سيدركون أيضاً أن هناك أكثر من طريقة لحل المشكلة الواحدة .

ولكن قد ينقلب الخلاف سريعاً ليصبح عثرة فى طريق نمو الأطفال إذا كرست له أكثر مما ينبغى من طاقة . فكلما زاد التركيز الذى تكرسه لموضوع الخلاف نفسه ، بدوت أنت وزوجتك أمام أطفالكما أكثر انفصالاً وزادت خلافاتكما سوءاً . وفى ظل هذه الظروف قد يغيب عن ذهنكما حقيقة مهمة وهى أنكما عادة ما تتفقان فى الرأى أكثر مما تختلفان .

على سبيل المثال ، على الرغم من أنكما قد تختلفان على الطريقة التى تجعلان بها طفلكما يخلد إلى الفراش ليلاً ، إلا أنكما قد تتفقان على أمور أخرى مثل الساعة التى يخلد فيها للفراش ، وكيف أنه من المهم أن تمضيا وقتاً معاً فى المساء بدون صحبة أطفالكما ، وأنكما لن تدعا أطفالكما يشاركونكما الفراش ، وأنكما لن تشاركوهم فراشهم ، وهكذا . إن إيجاد أرض مشتركة بينك وبين زوجتك يجعل من الأسهل لكما أن تجدا حلولاً مقبولة .

إن مناقشة خلافاتكما على مسمع من الأطفال أو حتى أمامهم لن يضر فى شىء مادام نقاشكما بنَّاءً وخلاقاً . فيجب أن يدرك الأطفال أن هناك فارقاً بين النزاع والعداء .

٣ مارس

إن إحدى النتائج الطبيعية لقدرتك على الاستحواذ على انتباه طفلك هى احترام طفلك لك وسعيه الدائم وراء النيل من حكمتك وإرشاداتك ، الأمر الذى من شأنه أن يخلصكما من أية مشكلات فى التواصل . ومن النتائج الأخرى الطبيعية لقدرتك على الاستحواذ على انتباه طفلك هى أن طفلك سوف يقدر للغاية أهمية استحسانك لما يقوم به . فهو سيرغب فى انتهاج سلوكيات ترضيك (بل وتفتخر بها !) ، وسيبذل قصارى جهده للتفوق فى المدرسة ، وسيقبل بتحمل أكبر قدر من المسئولية فى حياته .

إن هناك فرقاً شاسعاً بين الطفل الذى يرتكب خطأ (كل الأطفال يرتكبون أخطاء) وبين الطفل الذى يختار إساءة السلوك عن عمد . فالطفل الذى يلقى بالاً لأبويه ويسعى وراء استحسانهما يدرك سريعاً أنه ارتكب خطأ (فيشعر بالندم) ويحاول تصحيحه (يكفر عنه) . أما فى حالة الطفل الذى لم يدرك أنه ارتكب خطأ ، فيكفى أن توضح له خطأه وتؤكد له أن السلوكيات المماثلة لن تلقى أى استحسان منك .

إن الآباء كثيراً ما يعاقبون أبناءهم على أخطاء كان يمكن تصحيحها برد فعل بسيط - مثل نظرة أو كلمة أو تعبير بسيط عن الاستياء - دون إثارة أية جلبة . ومع ذلك فهناك أوقات تستدعى إثارة جلبة بشأن سلوك الطفل حتى لا تختفى عاقبة ما حدث من ذاكرته ، ولكن إن عرفت كيف تتصرف على النحو السليم فلن تتكرر مثل تلك السلوكيات كثيراً .

٤ مارس

لا جدال أن جميع الأطفال لابد أن يخشوا الكبار والبالغين . ولكن إحدى المشكلات الكبرى التى يعانى منها مجتمعنا اليوم ـ كما يؤكد المعلمون والقضاة ورجال البوليس وأصحاب المحال التجارية والمتقاعدون ـ هى أن العديد من الأطفال أصبحوا لا يخشون الكبار . و " الخشية " فى هذا السياق لا تعدو كونها أحد معانى الاحترام غير الناضج . ففى الواقع ، ليس باستطاعة الأطفال معرفة معنى الاحترام الحقيقى ، فالأطفال أنانيون للغاية ومتمركزون حول أنفسهم . لكن بالتدريج تتخذ مركزية الذات تلك شكلاً آخر ألا وهو احترام السلطة . فى الوقت ذاته ينبغى على عناصر السلطة ـ وهم الآباء والمعلمون والمدربون ـ استخدام أساليب الترهيب مع الأطفال حتى يزرعوا بداخلهم المهارات الاجتماعية والأكاديمية اللازمة لكى يصبحوا بعد ذلك مواطنين مسئولين . إن الطفل الذى لا يخشى الشخص البالغ لا يجد سبباً للانتباه إليه والانصياع له . يعد الترهيب إذن وسيلة لتحقيق غاية مهمة وإيجابية ، فالبالغون لا يستخدمون هذا الأسلوب إلا لصالح الطفل .

وبالطبع الفارق كبير بين ترهيب الطفل وبث الرعب فى نفسه ، فبعض البالغين يفرضون سلطتهم عن طريق جعل أطفالهم يهابونهم شخصياً . إن هؤلاء البالغين لا يعرفون كيف يفرضون سلطتهم . وكنتيجة لهذا يضطرون لطلب الطاعة من أطفالهم باستخدام طرق عنيفة . ومن تلك الطرق التهديد ، سواء الصريح أو الضمنى . أما الآباء الذين ينجحون فى فرض سلطتهم فليسوا بحاجة لاستخدام التهديد لحمل أطفالهم على الطاعة . فهم يحملون أطفالهم على الانصياع لسبب بسيط ألا وهو أنهم يمتلكون حقاً شرعياً فى ذلك . ولا يجد أطفال هؤلاء الآباء سبباً فى الخوف منهم شخصياً ، ومع ذلك فإنهم يخشونهم .

٥ مارس

يبدأ العديد من الأطفال فى مص أصابعهم حتى قبل ولادتهم . طريقة عبقرية لتضييع الوقت ، أليس كذلك ؟ وهم يستمرون فى ممارسة هذه العادة بعد ولادتهم فقط لأنها تذكرهم بالسكينة والأمان اللذين كانوا يستشعرونهما فى رحم الأم . وطالما أنه لا ضرر من مص الطفل لإصبعه ، فلا أنصح الآباء بمحاولة إيقاف تلك العادة . فى الحقيقة ، إن محاولات وضع حد لهذه العادة قد تسبب مشكلات لم تكن موجودة من قبل . ومع ذلك فقد نجح بعض الآباء - باستخدام طرق رقيقة وتتطلب صبراً - فى إقناع أطفالهم الرضع باستبدال أصابعهم بالمسكتات . وهذا يجعل من السهل بعد ذلك استئصال تلك العادة من جذورها . وفى أغلب الأحوال يتوقف الأطفال من تلقاء أنفسهم عن ممارسة تلك العادة فى سنواتهم الدراسية الأولى . لكن عليك أن تعلم أن بعض الأطفال الأذكياء يظلون يمصون أصابعهم - سراً بالطبع - حتى يصلوا لسن المراهقة . باختصار ، إن مص الأصابع ليس بالأمر الذى يجب أن يساورك القلق بشأنه . وبالمناسبة فإن ذهبت لأحد إخصائى الأسنان فسوف يخبرك أنه لا علاقة بين مص الطفل لإصبعه وحاجته لتقويم أسنانه فيما بعد .

٦ مارس

إننا لن نعرف طريقاً لحل المشكلات التى تشل حركة المدارس بوجه عام إلى أن يدرك كل رجل وامرأة أن " نقص التهذيب " هو أصل أى مشكلة ، وأن المشكلة ليست فى الموجهين أنفسهم ، أو المعلمين ، أو فى إدارات المدارس ، وإنما فى الآباء .

نعم ، إننى أوجه حديثى إلى كل من يتعمدون إسدال الستار أمام أعينهم حتى لا يروا تلك الحقيقة : إن أصل مشكلات التهذيب فى المدارس ينبع من المنازل . إن الخطأ هو خطأ الآباء الذين يرسلون أطفالهم للمدارس فى حين ينقصهم التهذيب الضرورى لتلقى التعليم ، الآباء الذين يفرطون فى تدليل أطفالهم ويقللون من أهمية أخطائهم ، الآباء الذين لا يصححون أخطاء أطفالهم بالمرة ، الآباء الذين يتركون جهاز التلفاز قائماً ليلاً ونهاراً ولا يقرأون أى شىء بخلاف الجريدة الصباحية ، الآباء الذين لا يدعمون جهود المعلمين التهذيبية بأقصى ما أوتوا من قوة ، الآباء الذين يتوقعون من المدرسة أن تقوم بالأمور التى لا يجدون وقتاً للقيام بها أو فقط يتجاهلونها بدافع الكسل ، وهى تعلم الأطفال القيم الثلاث الأساسية ألا وهى الاحترام وتحمل المسئولية وسعة الحيلة .

ولن تجد مشكلات المدارس طريقاً للحل أيضاً حتى يدرك الجميع أن المال لا دخل له مطلقاً بهذه المشكلات . وخير مثال على ذلك المدارس الحكومية ، فهى تهدر الكثير من المال ـ أكثر من المدارس الخاصة دون فائدة . وعندما تفرض تلك المدارس الحكومية سياسة مالية صارمة على نفسها (أو تفرضها عليها أية جهة أخرى) ويفرض الآباء على أبنائهم أساليب تهذيبية صارمة . فى تلك الحالة ستسترد المدارس الحكومية ازدهارها .

٧ مارس

على الرغم من أنه من الممكن أن تعلم طفلك البالغ من العمر ثلاث سنوات المهارات الأكاديمية الأساسية ، إلا أنه لا يوجد ما يجعلك تعتقد أن مثل تلك المهارات لها فوائد طويلة المدى . في الحقيقة ، تؤكد الدراسات أن كل ما يتعلمه الطفل في مرحلة مبكرة من حياته يختفي مع التحاقه بالصف الثالث الدراسي . وتوحي أبحاث أخرى أن تعلم القراءة في سن مبكرة من شأنه أن يؤدى إلى إصابة الطفل لاحقاً بإعاقات التعلم وعدم الرغبة في القراءة . إن معظم الأطفال يكونون متأهبين لتعلم القراءة بدخولهم الصف الأول الابتدائي . وحتى ذلك الحين فإني أنصح الآباء بإلحاق أطفالهم بدور الحضانة التي تركز على تعليم المهارات الاجتماعية والحركية والإبداعية . وعلى أية حال فإن أفضل ما يمكنك أن تسديه لطفلك في هذه المرحلة هو أن تخصص وقتاً للقراءة لطفلك والقراءة لنفسك .

٨ مارس

لا بـأس مـن أن يقـترح الأبـوان علـى ابنهمـا المراهـق الاشـتراك فـى أحـد الأنشطة ، كالالتحاق بإحدى مجموعات مراكز الشباب والرياضة ، مـادام هـذا الاشتراك مؤقتاً وليس دائماً . ولكن من الأفضل دوماً أن تكتفـى بتشـجيع ابنـك فقط على الاشتراك بمثل هذه الأنشطة دون أن تجـبره علـى ذلـك . ومـع ذلـك فبإمكان الآباء بل وينبغى عليهم توجيه أطفـالهم حـين يسـتدعى الأمـر ذلـك . ففى كثير من الأحوال ، يكون تردد المراهق للاشتراك فى أحـد الأنشـطة نابعـاً من عدم كفاية المعلومات التى بحوزته أو خوفـه مـن ألا يكـون " لائقـاً " . لـذا فإن لاحظ الآباء وجود فجوات تستدعى سدها فلابد لهم أن يتخـذوا الخطـوات اللازمة للقيام بذلك . أما إن كان الآباء هم مصدر الإلحاح والضغط ، فقد تكـون نتيجة ذلك أن يزيد المراهقون من حفـر تلـك الفجـوات بأنفسـهم . ولـدرء ذلـك الاحتمال ، فإننى أنصح الآباء بالتوجـه إلى المـراهقين الآخـرين المشـتركين فـى النشاط المعنى بالفعل ، وسؤالهم حولـه قبـل تشـجيع أطفـالهم علـى الاشـتراك فيه .

منذ أربعين عاماً تقريباً ، بدأ من يُطلق عليهم المتخصصون " الداعمون " فى تشجيع الآباء على النظر إلى تربية الأطفال كما لو أنها تحد فكرى أكثر من كونها مجرد مسألة تعتمد نسبياً على الفطرة السليمة . فلو افترضنا مثلاً أن الفكر هو أساس التربية الناجحة للطفل لكان أفضل الآباء هم أذكاهم . ووفقاً لملاحظاتى فإن ذلك ليس صحيحاً .

إن الدعوة إلى تحرى أسلوب فكرى فى تربية الطفل سببت اعتقاداً بمشقة وصعوبة التربية بوجه عام ، وأصبحنا نسمع العديد من الآباء يشكون قائلين : " إن التربية هى حقاً أكثر الأمور التى قمنا بها فى حياتنا مشقة " . ما رأيك فى هذا : إن الجيل الحالى هو أول جيل من الآباء الذين يرددون مثل هذه الشكوى . الخلاصة ، لا توجد أية صعوبة فى تربية الأطفال لكن لابد أن يكون هنالك أمر ما يشوب طريقتنا نحن الآباء فى تربية الأطفال والذى يجعلها تبدو بهذه الصعوبة . وهذا " الشىء " ـ كما أسلم به ـ هو الاعتماد المبالغ فيه على الفكر والتجاهل المماثل للفطرة السليمة .

فإن كان الفكر هو محور تربيتك لأطفالك ، فستشرع فى تحليل جميع سلوكياتك وسلوكيات طفلك بأسلوب مغال فيه ، فسوف تبدأ فى التشكيك فى نفسك وفى قراراتك مما سيجعل القلق يستبد بك بلا محالة . وبهذه الطريقة سوف تفشل فى إقناع طفلك بأنك تعرف جيداً أين تقف وأين تريد منه أن يقف ، مما سيضطره إلى اختبار سلطتك ومدى صلابتك . وكنتيجة لهذا ، فسوف توتر علاقتك بطفلك وستهتز صورتك أمامه مما يهدد شعور الطفل بالأمان وبالتالى الثقة بالنفس .

إن الطرق الفطرية فى تربية الأبناء لا تعنى الطرق الغبية وإنما هى ببساطة طرق غير فكرية . فالفطرة تنبع من القلب وليس الرأس . وعندما يستخدم الأب عقله كثيراً يصاب قلبه بالحيرة . لكن عندما يغلب استخدام القلب يفكر الرأس على النحو السليم .

قررت أنا وزوجتى " ويلى " ـ بالإضافة إلى آلاف الآباء الآخرين من جيلنا ـ أن نتخلى عن مفهوم السلطة الديكتاتورية التى اجتاحت الأجيال السابقة لنا ونبدأ فى إنشاء أسرة ديمقراطية . ولم يمض وقت طويل حتى أصبح طفلنا " إريك " هو من يدير شئون حياتنا . فكنا لا نقوم بأى شىء دون أن نستشيره أولاً أو نحاول أن نتوقع ما سيكون رد فعله ، وقد كان يحيطنا علماً بأننا ارتكبنا " خطأ " ما بالانخراط فى نوبة غضب . فكان يرتمى على ظهره فوق الأرض ويبدأ فى الصراخ بأقصى ما أوتى من قوة مع بسط ذراعيه ورفع حدقتيه فى أعلى مقلتيه . ولا أعتقد أنه كان قد شاهد فيلم " مطاردة الأرواح الشريرة " وبطلته الشهيرة " ليندا بلير " .

وكنا نفسر صرخات " إريك " على أنها دليل على ارتكابنا خطأ آخر والذى كنا نصححه على الفور حتى يستعيد ابننا " سعادته " مجدداً . وطوال اليوم كنت أنا و " إريك " نمارس ما كنت أطلق عليه " رقصة الغضب " . فبمجرد أن يصرخ " إريك " كنت " أهب من مكانى لأسترضيه ثم يهدأ الطفل إلى أن يصرخ مجدداً . ومما لا شك فيه أنه كلما رقصنا حوله علت صرخاته ، لقد أصبحت الصورة واضحة فى ذهنك كما أعتقد . لقد كنا نعيش فى جحيم حقيقى . لكن ذات يوم استعدت أنا و " ويلى " قوانا العقلية . فلقد أدركنا أن الفوضى التى طغت على أسرتنا لم تكن بسبب فشلنا كآباء وإنما بسبب محاولتنا اتباع نصيحة . وسرعان ما شرعنا فى كسر جميع قواعد " التربية الحديثة " ، وبنفس السرعة أصبح " إريك " كذلك إنساناً متحضراً (إنك تعى بالطبع أن تحضر الأطفال هو تحضر نسبى) . ولكن للأسف فلم يمتلك الآباء الآخرون الجسارة الكافية ليحتذوا حذونا . فمن خلال سفرياتى المتعددة وحواراتى مع العديد من الآباء فى أماكن كثيرة ، تولد لدىّ انطباع مفاده أن معظم آباء اليوم ـ شأنهم شأنى أنا وزوجتى منذ ستة وعشرين عاماً مضت ـ يبذلون قصارى جهدهم ليجعلوا أطفالهم لا يصرخون . فهم لا يخشون فقط من نوبات غضب أطفالهم ولكنهم يخشون أطفالهم أنفسهم . إنهم قد يقومون بأى شىء ليحولوا دون وقوع نوبة غضب ، وإن وقعت فهم أيضاً يقومون بأى شىء لإيقافها . ومما لا شك فيه أن كل هذا يجعل من نوبات الغضب أمراً حتمياً يتعذر تجنبه .

١١ مارس

أعتقد أن إدراج الطفل الصغير للغاية فى إحدى دور الحضانة حينما يسمح القانون بذلك هو أمر قد يكون بلا مكسب أو خسارة . فالطفل المصاب بإعاقة تعليمية بسيطة والذى يبدأ عامه الأول بالحضانة لديه فرصة جيدة لتعويض فارق المستوى هذا بانتهاء العام الدراسى . وفى حالة عدم حدوث ذلك فمن الممكن أن يظل الطفل بالحضانة عاماً آخر . إن العديد من الآباء الذين يختارون تأجيل إلحاق طفلهم بالمدرسة يكون دافعهم فى ذلك رغبتهم فى تعزيز فرص الطفل لأن يصبح " الأول على فصله دوماً " حينما يلتحق بالمدرسة . إن هؤلاء الآباء لا يدركون أن هذا الأمر قد يكون له مردود سلبى خاصة بالنسبة للطفل الذى يكون مستعداً لبدء الدراسة فى سن الخامسة والذى يكون قد مل الحضانة فى العام التالى . علاوة على ذلك ، فإن أصبح تأجيل إلحاق الأطفال بالحضانة أثناء الفترة الصيفية هو النمط المتبع فسوف يظهر جيل أصغر سناً من الأطفال (مواليد بعد الأول من مارس) يتسمون بأنهم " غير ناضجين " بالمقارنة مع باقى رفاقهم بالحضانة . وإذا تمادينا فى تصور هذا ، فلن يدخل الأطفال الحضانة ـ فى خلال العشر سنوات التالية ـ قبل سن السابعة . والحل العملى لهذه المشكلة ـ من وجهة نظرى ـ هو أن نتوقف أولاً عن تدريس أجزاء من منهج الصف الدراسى الأول فى الحضانة ، ثانياً أن نلحق الأطفال ـ فيما عدا هؤلاء المصابين بتأخر بالغ فى النمو ـ بالحضانة عندما يبلغون السن القانونية ، ثالثاً أن نعلم أنه لا بأس من أن يبقى الطفل عاماً آخر بالحضانة إن استدعت الحاجة لذلك . ومن الجدير بالذكر أن العديد من المدارس الآن تقدم برامج انتقالية للأطفال الذين يحتاجون مساعدة إضافية قبل أن يلتحقوا بالصف الدراسى الأول . ومنى كل التحية والتقدير لمثل هذه البرامج التعليمية .

١٢ مارس

لا يوجد إنسان كامل ، فجميعنا لدينا نقائصنا . وعندما يجتمع شخصان غير كاملين معاً ليعيشا حياة غير كاملة فإن ما بهما من نقائص تبدأ فى التصادم معاً ـ مثل الجزيئات الذرية ـ مخلفة أشكالاً جديدة من النقائص .

ولهذا السبب يبدأ كل زوج أو زوجة تقريباً ـ أحياناً فى العام الأول من الزواج ـ باتهام الطرف الآخر بأنه ليس الشخص الذى تزوجه أو تزوجته : " لقد تغيرت ! " (والتغيير دائماً لا يكون للأفضل) . ويجلب هؤلاء الكائنات غير الكاملة إلى حياتهم غير الكاملة كائنات أخرى غير كاملة تزيد من حدة التوتر والتصادم بينهم ، الأمر الذى يخلف بدوره المزيد من النقائص .

وهذا أعزائى القراء لا يشير إلى وجود خلل لابد من استئصاله ولكنها فقط الحياة الواقعية ، والصراع الطبيعى الذى تتمركز حوله حياتنا .

١٣ مارس

منذ اليوم الأول من ميلاد الطفل يحدث بين هذا الرضيع ووالديه تبادل صوتي وحركي . ومغزى ذلك أنه يولد داخل الطفل ترابط عاطفي يجعله يثق بالبيئة من حوله ويساعده على الانفصال التدريجي عن أبويه إلى داخل العالم الخارجي . وبينما يستكشف هذا الطفل العالم ، يبدأ في اكتساب وتعزيز مختلف المهارات . وبإمكاني الجزم بأنه في معظم الحالات لا يوجد من هو أكثر انسجاماً مع الطفل وبالتالي أكثر مقدرة على متابعة عملية نموه من أبويه . ولا وجه للمقارنة على الإطلاق بين الجهود التي يبذلها القائمون على رعاية الأطفال والمدربون جيداً وجهود الآباء . فأنا أود أن أضيف أن الأشخاص الوحيدين الذين يستطيعون حقاً مساعدة الطفل على الانتقال المهم من تمركزه حول ذاته إلى إدراكه بتمركز والديه في خلال الثمانية عشر شهراً الأولى من حياته هم والدا الطفل .

لكن طوال العشرين عاماً المنصرمة ، أخذ مجتمع المتخصصين في طمس مثل هذه الحقائق . وأرجو ألا يضايق ما سأقوله أي فرد ـ على الرغم من صعوبة ذلك حالياً ـ فإن أطباء علم نفس النمو والارتقاء ومعلمي مراحل الطفولة المبكرة وغيرهم قد أصبحوا يتظاهرون وكأن الرعاية التي يتلقاها الطفل في المنزل أو دور الرعاية متطابقة تماماً ولا تختلف ، وأنه لو نجح الآباء في انتقاء مركز رعاية جيد فسيضمنون بذلك حصول طفلهم على الرعاية الكافية التي تضاهي رعايتهم هم للطفل طوال أكثر من أربعين ساعة في الأسبوع على مدار خمسين أسبوعاً في العام . يا له من هراء .

إليك الآن الحقيقة كاملة ولا شيء غير الحقيقة : إن رعاية أحد الوالدين لطفله في أولى سنوات حياته في منزلهما يختلف كل الاختلاف ـ سواء من حيث الجودة أو كم الساعات ـ عن رعاية الطفل حتى في أفضل دور الرعاية على أيدي متخصصين محترفين . إن كل بيئة من هؤلاء مختلفة تماماً عن الأخرى ، لذا فإن كل واحدة منهما تولد طفلاً مختلفاً تماماً . وبعد عرضي للحقائق السابقة التي أظن أنها غير قابلة للجدل فإني أريد أن أضيف أني مقتنع تماماً بأن احتياجات الطفل تتم تلبيتها على أكمل وجه في بيئة المنزل . وإن شعر أي شخص بالاستياء مما قلته لتوي فإني أجزم بأنه بحاجة لأن يشعر بالاستياء .

١٤ مارس

يهيئ معظم الآباء لأطفالهم مستوى معيشياً يختلف تماماً عن المستوى الذى يستطيعون أن يرقوا إليه كبالغين . لا تنس أيضاً أن معظم هؤلاء الأطفال يعيشون فى ذلك المستوى لا عن طريق العمل أو التضحية أو حتى بذل قصارى جهدهم وإنما عن طريق النحيب والتلاعب وكثرة المطالب . وفى خلال تلك العملية التى يلبى فيها الآباء جميع مطالب أبنائهم المادية يتعلم الأطفال أن هناك أشياءً يمكنهم الحصول عليها دون مقابل . ولا يمثل ذلك وهماً فقط بل أنه من أكثر المعتقدات التى قد يكتسبها المرء تدميراً للذات .

والأطفال الذين يكبرون وهم يؤمنون بخرافة " الحصول على شىء بدون مقابل " لا يدركون قط أن الأشياء المهمة فى الحياة تأتى من داخل الإنسان وليس من الخارج " . وهم كأشخاص بالغين يصابون بخلل عاطفى ويتسمون بعدم النضج ويتمركزون حول ذواتهم . وأقل ما سيحدث لهم أنهم سيخلطون بين الأخذ والعطاء الطبيعى للأشياء والمفهوم الأكثر عمقاً للمشاركة والثقة داخل العلاقات . وعندما يصبحون آباءً ، فإنهم غالباً ما ينقلون هذه العدوى لأطفالهم ، فيغدقون عليهم بالكثير من الأشياء . لذا فتعد المادية مرضاً وراثياً ؛ وإدماناً ينتقل من جيل لآخر . ولكن هذا الإدمان لا يعنى إدمان الأشياء بقدر ما يعنى إدمان الحصول عليها . ولعل هذا هو ما يفسر أن الإنسان المادى لا يشعر بالرضا أبداً ، فبمجرد أن يحصل على شىء ما ، تشتعل بداخله رغبة الحصول على شىء آخر . ولعل هذا ما يفسر أيضاً أن الأطفال الذين يحصلون على معظم ما يرغبونه نادراً ما يعتنون جيداً بمتعلقاتهم . فلماذا يفعلون ذلك ؟ فهم يدركون جيداً من خلال خبرات سابقة أن المزيد فى انتظارهم .

١٥ مارس

إن الأخلاق الحميدة والاحترام هما وجهان لعملة واحدة ، ولا يبدأ الأطفال فى احترام الآخرين إلا بعدما يحترمون آباءهم أولاً ، لذا فلابد أن يتعلم الأطفال كيف يتعاملون بطريقة مهذبة مع آبائهم . وهذا يعنى أنه لا ينبغى قط السماح للأطفال بمناداة آبائهم (أو أى كبار آخرين) بأسمائهم ، أو مقاطعة حوارات البالغين إلا عند الضرورة القصوى ، أو - بعد سن الثالثة - الانخراط فى نوبة من الغضب عندما لا تسير الأمور على هواهم . وأنا سوف أتمادى قليلاً وأنصح جميع الآباء بأن يعلموا أطفالهم الإجابة على جميع البالغين - بما فيهم أنفسهم - بعبارة " نعم سيدى " ، " نعم سيدتى " وما شابهما . وعندما يتحدث البالغون لابد أن ينصت الصغار ، وعندما يوجه البالغون إرشادات لابد أن يعمل الصغار على تنفيذها . يا له من أمر بسيط .

إذا كان آباء اليوم قد قاموا بتعليم أطفالهم نفس الأشياء التى تعلموها وهم صغار ، لأصبح العالم اليوم أفضل كثيراً ، لكن للأسف فإنهم لا يقومون بذلك . فعادة ما يخبرنى المعلمون أن طفل اليوم قد أصبح بوجه عام أقل احتراماً للآخرين وتهذيباً من طفل الجيل السابق . والمأساة الحقيقية هى أنه لو لم يتعلم الأطفال احترام الآخرين بدءاً من آبائهم ، فلن ينجحوا أبداً فى احترام أنفسهم . إن احترام الآخرين هو بمثابة الحصان الذى يجر عربة احترام الذات . وبدون احترام الآخرين لن يتخطى المرء أبداً مرحلة إنكار الذات . والخلاصة أننى لا أطلب من الآباء تعليم أطفالهم تملق الكبار وتمجيدهم ، وإنما مساعدتهم على الشعور بالرضا إزاء أنفسهم .

١٦ مارس

إن أية محاولة لاستخدام المنطق والأسلوب العقلانى مع الطفل سوف تبوء بالفشل ، **فالطفل يعجز عن فهم وجهة نظر الشخص البالغ** (من فضلك اقرأ تلك الجملة مجدداً وبصوت مرتفع) . **فالطفل سوف يفهم فقط وجهة نظر الشخص البالغ عندما يصبح بالغاً هو الآخر** (مرة أخرى اقرأ تلك الجملة مجدداً وبصوت مرتفع) . لذا فإن الطفل ينصاع لما تطلبه منه لا لأنك أقنعته برأيك ولكن لأنك فقط أمرته بذلك .

هل هذا يعنى أنه لا ينبغى عليك مطلقاً أن تشرح لطفلك السبب وراء اتخاذك لقراراتك ؟ لا ، ولكنه يعنى ألا تبذل جهداً فى إقناع الطفل بصحة قراراتك أو فاعليتها أو أنها فى صالحه أو أنها غير قابلة للجدل وما إلى ذلك . فأنت تعرض أمام الطفل حجتك وأنت تعرف تماماً أنه لن يوافق عليها . أنت فقط تقوم بذلك لتمد طفلك بخلفية أو مرجعية معينة والتى ستصبح فيما بعد عندما يصبح شخصاً بالغاً جزءاً لا يتجزأ من شخصيته . فى الوقت نفسه ، فعندما تدرك أنه ما من عقل ينضج قبل أوانه ، فلن تتوقع أن يتفق طفلك مع وجهة نظرك ، لذا فإن هذا الرفض إزاء قراراتك لن يصيبك بالإحباط . ولأنك لست محبطاً ، فإنك لا تنزعج عندما يعلن طفلك عن عدم موافقته على قراراتك . وبالتالى تحتفظ دوماً برباطة جأشك وتستطيع أن تجعل طفلك يرى أنك تعلم أين تقف وأين تريد منه أن يقف . وهو قد لا يعجبه ذلك فى الوقت الحالى . ولكن على المدى الطويل (وصدقنى حين أقول لك ذلك) فسوف يقدر لك صنيعك ويحترم كل ما فعلته من أجله .

١٧ مارس

يحتاج الأطفال لآباء يعلمون أين يقفون ، ويقفون فى مكانهم بثبات . لكن عندما يقف الآباء فى مكان ما لدقيقة ثم فى الدقيقة التالية لها فى مكان آخر وهكذا ، يصبح من المستحيل بالنسبة لأبنائهم أن يقتنعوا بمقدرتهم على توفير الحماية والدعم لهم . إن مثل هؤلاء الآباء لا يمكن الاعتماد عليهم ، والآباء الذين لا يمكن الاعتماد عليهم يبثون فى أطفالهم مشاعر عدم الطمأنينة . وهذه المشاعر تولد بداخل الطفل ما يسمى بسلوكيات " جس النبض " والتى لا تعدو كونها مجرد بحث يتخلله الكثير من القلق عن المكان الذى يقف فيه والداه . والطفل الذى يمارس سلوكيات جس النبض يطرح فى الحقيقة هذا السؤال : " أرجو أن تتوقفا يا والدىّ عن التحرك من مكان لآخر ، لأنه فى كل مرة تغيرن فيها مكانكما ، وفى كل مرة تتسمان فيها بعدم الحسم ، وفى كل مرة تقولان فيها شيئاً وتفعلان شيئاً آخر ، وفى كل مرة أستطيع فيها أن أتغلب عليكما ببعض النحيب والتوسل ، وفى كل مرة تستسلمان فيها لإحدى نوبات غضبى ـ أضطر للاستمرار فى اختبار سلطتكما " .

إن الآباء غير الثابتين على مبدأ واحد يورطون أبناءهم فى لعبة " الغميضة " ، وحقيقة أن هؤلاء الأطفال لا يملكون خياراً إلا ممارسة هذه اللعبة التى تستنزف قدراً ضخماً من طاقات نموهم ـ تلك الطاقات التى كانت ستكرس بدلاً من ذلك فى الأعمال الإبداعية أو استكشاف الذات أو فى أية أنشطة أخرى . إن جس النبض لا يولد أبداً النجاح ، لذا فليس من المحتمل أن تختبر مَنْ أمامك وتشعر فى نفس الحين بالرضا إزاء نفسك .

١٨ مارس

إن ميقاتى المطبخ ـ النوع المحمول ـ فى رأيى هو أداة لا غنى عنها لجميع الآباء . فمن الممكن استخدام ميقاتى المطبخ لتنظيم الأنشطة . وبإمكانه كذلك مساعدة الأطفال على استيعاب مفهوم الوقت ، وتأسيس قواعد روتينية محددة . إنه يجسد السلطة الأبوية ويساعد الجميع على تجنب صراعات القوى . وأخيراً ـ وليس آخراً ـ فإنه وسيلة جيدة تستطيع أن تتواصل بها مع طفلك حينما تفشل كل الوسائل الأخرى . بمعنى آخر ، يمكن أن يساعد الميقاتى الآباء على حمل أبنائهم على أداء كل هذه المهام التى تفشل الكلمات وحدها فى إقناعهم بأدائها ـ فتلك الكلمات فقط تدخل من أذن وتخرج من الأذن الأخرى ـ وخاصة الأطفال الذين لم يلتحقوا بالمدرسة بعد . وإليك سبعة استخدامات " تربوية " لميقاتى المطبخ :

١. استخدم الميقاتى للرد على سؤال " متى " . على سبيل المثال متى يستطيع الطفل أن يخرج . خذ معك الميقاتى فى الرحلات ليشكل وسيلة مسموعة ومرئية للإجابة عن سؤال " متى سنصل " . فبدلاً من أن تظل تكرر تلك العبارة " سنصل بعد قليل " شغل الميقاتى ودع الجرس يرد نيابة عنك .
٢. يعد الميقاتى وسيلة ممتازة لتحديد كم الوقت الذى تمضيه فى اللعب مع طفلك قبل أن تعاود أداء مهامك الكثيرة .
٣. هل ينشب بينك وبين طفلك كل صباح صراع كى تجعله يرتدى ملابسه ويذهب للمدرسة فى الموعد المحدد ؟ مارس معه لعبة " فز على الجرس ! " بحيث تستحثه على ارتداء ملابسه قبل أن يدق الجرس .
٤. سيجيب الميقاتى كذلك عن هذا السؤال " هل يمكننى أن أخرج من غرفتى الآن ؟ " والذى يبدأ الطفل فى طرحه فى خلال ثلاثين ثانية من إرساله لغرفته . شغل الميقاتى بمجرد دخوله غرفة وأخبره أن بإمكانه الخروج عندما يسمع صوت الجرس .
٥. استخدم الميقاتى لحث طفلك على إنجاز مهامه المنزلية .

٦. بإمكان الميقاتى الإجابة عن أسئلة " إلى متى " مثـل : " إلى متـى يمكننـى (البقـاء فـى حـوض الاسـتحمام ، القفـز فـوق فراشـك ، اللعـب داخـل الحمام ، إثارة جنونك) ؟ "
٧. وأفضل استخدام للميقاتى هو حينما يرغب الأب أو الأم (أو كلاهما) فـى قضاء وقت بمفردهما (أو معـاً) . ويسـمى هـذا الوقـت بالوقـت المسـتقطع الخاص بالآباء والذى يسهل الحصول عليه باستخدام الميقاتى .

وتذكر أن الطفل الذى يعتاد على مثل هذا النظام منذ الصغر لا يصبح مـدللاً أبداً .

١٩ مارس

إن عبارة " إن أطفالى هم أهم شىء فى حياتى " هى بمثابة تذكرة ذهاب بلا عودة إلى مكان يستبد فيه القلق بالآباء نحو أبنائهم الذين لا يكفون عن النحيب وإثارة الجلبة وعدم الانصياع لأوامر آبائهم الذين ينفد صبرهم فى النهاية ويصرخون وبعد ذلك يسقطون فى حفرة عميقة تسمى الشعور بالذنب . إنه مكان حيث يعود الأزواج لمنازلهم ليجدون زوجاتهم ـ سواء تعملن أم لا ـ تشتكين من أن الأمومة تستنزف كل طاقاتهن دون أن تترك لهن شيئاً كزوجات . إنه مكان حيث يتعرض الأشخاص للألم ولكنهم يخفون آلامهم تلك وراء عبارة " إن أطفالى هم أهم شىء فى حياتى " . وفى خلال الأربعين عاماً المنصرمة أخذ " الخبراء " يشجعون الآباء الأمريكيين على خلق مكانة بارزة لأطفالهم فى كنف أسرهم . وكانت النتيجة أن نحت الآباء تماثيل لأبنائهم وأصبحوا يكنون كل التقدير لقدراتهم وثقتهم بأنفسهم مهما كلفهم ذلك من تضحية شخصية . ثم وجدنا عبارات من قبيل " محورية الطفل داخل العائلة " و " الأسرة الديمقراطية " تتسلل داخل لغتنا ونتقبلها بصدر رحب دون أن ندرك أنه عندما يعتبر الأبوان طفلهما محور حياتهما أو أنه مساو لهما تصبح العلاقة بينهم محفوفة بالمخاطر . إن هناك مكاناً واحداً مناسباً للأطفال فى كنف أية أسرة ـ إنه المقعد الخلفى . فالمقعدان الأماميان محجوزان للأبوين ولهما فقط . ولكن للأسف فإننا لا نجد الكثير من آباء اليوم جالسين فى هذا المكان .

٢٠ مارس

عندما تسهم بوقتك أو مالك أو أى مورد شخصى آخر فيٍ مؤسسة سياسية أو دينية أو تعليمية أو خيرية فإنك تسلم بأمرين : أولاً أنك تشارك تلك المؤسسة قيمها ، ثانياً أنك ترغب فى القيام بشىء ملموس كى تدعم وتبقى على تلك القيم فى مجتمعك . والشىء نفسه ينسحب على إسهام الطفل بوقته وطاقته فى الأسرة . فالأطفال الذين يشاركون مشاركة فعالة فى أسرهم على أساس منتظم ينجحون فى استيعاب قيم آبائهم . علاوة عليٍ ذلك ، فإنهم على الأرجح سوف يتبنون تلك القيم فى حياتهم كبالغين تحقيقاً للنجاح والسعادة لأنفسهم ولأطفالهم .

٢١ مارس

هل أشجع الآباء على ضرب أبنائهم ؟ لا ، إننى فقط أوجه الآباء إلى أنه عند اختيارهم أسلوب الضرب لابد أن يقوموا به على الوجه الصحيح على أن يضعوا النقاط التالية فى الاعتبار :

- كلما زاد ضرب الوالد لطفله ، أصبح الضرب أقل فاعلية ، فالطفل يكتسب " مناعة " ضد الضرب المتكرر .
- الضرب يكون بوجه عام أكثر فاعلية مع الأطفال سريعى الاهتياج والأكثر نشاطاً ، فهناك أوقات يبدو أنه لا يجدى فيها شىء مع هؤلاء الأطفال سوى الضرب .
- اضرب الطفل بيدك فقط وعلى مؤخرته فقط ، فتستطيع استخدام يدك بطريقة عفوية وبشكل شخصى كما أنها تجعلك لا تتمادى فى ضرب طفلك .
- ضربة أو ضربتان كافيتان ، فتذكر أنك لا تجلد طفلك أو تترك فى جسده علامة حتى لا يكرر فعلته مجدداً .
- استخدم الضرب كملاذ أول ، فكلما تراكم إحباطك من طفلك تماديت أكثر فى تنفيث غضبك به .
- اضرب طفلك حينما تكون غاضباً ، ولكنك إذا استخدمت الضرب كملاذ أول فغضبك هذا لن يصل على الأرجح إلى حد الثورة .
- أتبع الضربة دوماً برسالة مباشرة وعقاب ما ، فتذكر عزيزى القارئ أن هدفك هو تهذيب طفلك وليس إيلامه .

٢٢ مارس

عادة ما يؤكد المعلمون أن الأطفال يكونون بحاجة حقاً للمساعدة مرتين فقط من كل عشر مرات ينشدون فيها مساعدة أحد البالغين . وفى اعتقادى أن من كل أربعة طلبات يطلبها الأطفال يوجد واحد فقط حقيقى ، والطلبات الثلاثة الأخرى تكون مجرد تعبير عن إحباط الطفل وشعوره بالملل .

لذا فعندما يأخذ الوالد أو المعلم على عاتقه مهمة تلبية جميع طلبات الطفل فى كل مرة (أو حتى فى معظم المرات) ، فإن هذا الوالد أو المعلم حسن النية العطوف بذلك لا يسدى الطفل أى معروف . فعندما تنتشل الطفل من إحباطه تقوض بذلك مقدرته على قبول الإحباط كجزء لا يتجزأ من عملية حل المشكلات ، وبالتالى فإنه لن يتعلم كيف يصمد أمامه . والشخص الذى يوجه يد المساعدة دوماً يعزز استخدام الطفل لعبارة " لا أستطيع ! " ويعمل بالتالى على تحطيم مفهوم الطفل عن ذاته . إن تلك المساعدة حسنة النية كانت ستصبح لا بأس بها لولا طبيعة الطفل ، فيجب أن تدعه ينمى مقدرته على الوقوف على قدميه وحده والوقوف فى وجه التحديات وهو يقول " أستطيع ! وأعلم أننى أستطيع " .

وأرجو ألا يسىء أحد فهمى ، فأنا لا أدعو الآباء للكسل ، ولكننى فقط أدعوهم للتوقف عن ترك مشاعرهم ونواياهم الطيبة تتحكم فى سلوكياتهم . أنا فقط أقترح أن تكونوا أكثر صرامة وعملية فى تعاملكم مع أطفالكم . فإننى أود أن أقول إن أفضل ما تستطيع قوله لطفل يقول لك " لا أستطيع ! " هو " بلى تستطيع ، ولكى أساعدك لإثبات ذلك ، لن أقوم بمعاونتك على الإطلاق " .

" وذلك لأننى أحبك " .

٢٣ مارس

فى أواخر الستينيات ، اخترع متخصصو التربية مصطلح " محورية الطفل داخل الأسرة " وادعوا مثالية هذا المفهوم ، فثقة الطفل بنفسه لا يمكن أن تزدهر ـ على حد قول المتخصصين ـ إلا حينما تكون احتياجات طفلك هى أولى أولوياتك . وقد أعطى هؤلاء المتخصصون ـ بالمناسبة ـ كل شىء يسعد الأطفال مسمى " حاجة " . وبالطبع ، استنتج الآباء من كل هذا أن واجبهم هو إسعاد أطفالهم دوماً . فماذا بإمكانهم أن يستنتجوا خلاف ذلك ؟

فى عام ١٧٧٦ ، أعلن " توماس جيفرسون " للأمريكيين استحالة إسعاد شخص ما . فقد كتب فى إعلان الاستقلال أن جميع البشر ـ والذين خلقهم الله سواسية ـ يتمتعون بثلاثة حقوق غير قابلة للجدل : الحياة والحرية والسعى وراء السعادة . وقد كان " جيفرسون " رجلاً حكيماً حقاً ؛ فقد أدرك أن المرء بإمكانه الحصول على حق السعى وراء تحقيق السعادة ، ولكنه لا يستطيع بأية حال من الأحوال الحصول على حق تحقيق السعادة . وإن قرأنا ما بين السطور التى كتبها " جيفرسون " فسنستطيع أن نخلص إلى أنه إذا حاول شخص ما إسعاد شخص آخر ، فإنه بذلك يقوض مقدرة ذلك الشخص من دون قصد على السعى بنجاح وراء تحقيق السعادة .

ولقد كان " جيفرسون " محقاً ، فأنت لا تستطيع أن " تضفى " الثقة بالنفس على حياة طفلك ، ولكنك تستطيع فقط أن تهيئ له فرصاً لاستكشافها . إن الطفل يكتسب صفة الثقة بالذات حينما يدرك أنه مهما واجه من مشاعر قلق داخلية ، أو إحباطات ، أو مخاوف ، أو حتى إخفاقات فإنه يستطيع النهوض مجدداً والتعامل مع جميع تحديات الحياة . والطريق لهذا الاستكشاف ليس ممهداً بآباء يركضون أمام الطفل ليتأكدوا من أنه لن يجابه سوى تجارب إيجابية طوال الطريق ، أو بآباء يركضون وراء الطفل لالتقاط مخلفاته ، ولكن بآباء يتمتعون بالشجاعة الكافية والفطرة السليمة كى يخلقوا قدراً معقولاً من الواقعية فى حياة طفلهم ، ومن أهم تلك الحقائق : (١) لن تستطيع دوماً الحصول على كل ما تريده ، (٢) يجب أن تعانى بعض الشىء حتى تتعلم أكثر دروس الحياة قيمة ، (٣) لن تجد من يلتقط مخلفاتك سواك أنت .

٢٤ مارس

إن الآباء الواثقين من أنفسهم يعكسون تلك الثقة على أطفالهم بأربع طرق :

١. **يوجهون أوامرهم إلى أطفالهم بشكل مباشر** . إن العديد من الآباء ، إن لم يكن معظمهم ، إما يوجهون أوامرهم لأطفالهم بشكل ملتو أو يقسون عليهم لحملهم على أدائها . فهم يتوسلون ، ويرشون ، ويتملقون ، ويستخدمون المنطق ، والحجج . وعندما لا تجدى أية طريقة من تلك الطرق يبدأون فى تهديد أطفالهم باستخدام العنف الجسمانى . أما الآباء الواثقون من أنفسهم ـ على الجانب الآخر ـ فيصلون نحو لب الموضوع مباشرة ، فمثل هؤلاء الآباء لن يطرحوا مثلاً هذا السؤال : " ماذا لو أسديت لوالدتك معروفاً وقمت بجمع ألعابك ؟ " ولكنهم سيقولون بدلاً من ذلك : " لقد حان الوقت لتقوم بجمع ألعابك " .
٢. **عندما لا يجدون بداً من استخدام القوة فإنهم يستخدمونها دون وحشية** . فالآباء الواثقون من أنفسهم يدركون أنه حتى " أفضل " الأبناء يسيئون السلوك ، لذا فإن سلوكيات أطفالهم السيئة لا تفقدهم توازنهم أبداً . إن حفاظك على توازنك فى وجه السلوكيات السيئة سوف يساعدك على اتخاذ القرار العادل والحاسم فى الوقت نفسه .
٣. **إنهم لا يتجادلون مع أطفالهم** . إن الوالد الواثق من نفسه يعرف جيداً أن الطفل يعجز عن فهم وجهة نظر الشخص البالغ ، مهما قدم من حجج واضحة . لذا فبدلاً من أن يحاول هذا الوالد إقناع طفله بمدى صحة وجهة نظره فإنه يقول شيئاً من قبيل " إن كنت فى مثل سنك لما أعجبنى هذا القرار أيضاً ، ولكننى أصدرته بالفعل وهو نهائى " ثم يمشى مبتعداً . وهذه العبارة لا تعدو كونها مجرد نسخة أخرى مكونة من خمس عشرة كلمة من عبارة " لأننى قلت ذلك " .
٤. **عندما يسىء أطفالهم السلوك ، يعمل هؤلاء الآباء على التأكد من أنهم ينالون عقابهم** . ولكنهم يحتفظون مع ذلك برباطة جأشهم وهدوئهم ، فهم يدركون أن الصبر وحده هو ما يجدى فى هذه الحالات . وهم يدركون أيضاً أن التكفير عن الذنب ليس سمة فطرية من سمات الإنسان ولكن لابد

أولاً من تعليمه للطفل ثم غرسه تدريجياً بداخله ثم استدعائه . علاوة على ذلك ، فليس من الممكن حث الطفل على التكفير عن أخطائه ولكن لابد من إجباره على ذلك (ليس هناك داع لأن يكون ذلك عن طريق استخدام طرق مؤلمة) باستخدام الضغط الكافى حتى يصبح جزءاً لا يتجزأ من كيان الطفل . ومع بعض الأطفال يكون استخدام بعض الضغط الخفيف مجدياً ، ولكن بعض الأطفال الآخرين لا يصلح معهم إلا استخدام ضغط من نوع آخر .

٢٥ مارس

لم تعـرف البسـيطة طفـلاً مطيعـاً مائـة بالمائـة ولا تعـرف الآن ولـن تعـرف مستقبلاً . لذا فلابد للآباء أن يتوقعوا حتى من أفضل الأبناء قدراً معيناً من عدم الطاعة ، لكن هذا لا يعنى أن الطفل يمكن أن يكون غير مطيـع علـى الـدوام . فما الذى يجعلك تترك طفلك لا يطيعك ؟ مـن الطبيعـى ألا يطيعـك طفلـك مـن حين لآخر ، ولكن ليس من الطبيعى بالمرة أن يعصيك على طول الخط . عـلاوة على ذلك ـ سواء اعترف الآباء بذلك أم لا ـ فإن عصـيان الطفـل السـافر لأبويـه غالباً ما لا تكون له علاقة بشخصية الطفل نفسه . وأنا أعـرف ذلـك لأن ابنـى " إريك " كان ذات يوم غـير مطيـع بـالمرة . وقـد ظللـت أخـادع نفسـى طـوال سنوات محاولاً أن أحملها علـى الاعتقـاد بـأن ثمـة مـا يعيـب الطفـل نفسـه . ولكننى عندما أدركت أخيراً أن مشكلات " إريـك " نتجـت فـى مجملـها عـن أخطاء ارتكبتها أنا (وبالطبع كانت الأخطاء التى ارتكبتها فى حـق " إريـك " تفوق كثيراً تلك التى ارتكبتها زوجتى " ويلـى ") ورأيـت ضـرورة تفنيـد تلـك الأخطاء مع نفسى قبل أن تظهر أية بارقـة أمـل للإصـلاح مـن حـال الطفـل ، بدأت الأمور تتحسن على الفور . ومن أبرز الأخطاء التى ارتكبتهـا كـان فشـلى فى " التواصل " . فكنت أتمنى دوماً أن يطيعنى ، فعلى الرغم من أننـى كنـت أفاجئه بتعليماتى ، إلا أننى ـ وهو الأمـر الأسـوأ علـى الإطـلاق ـ كنـت أنتظـر الطاعة . ولكننى فى كل مرة كنت أطلب من الطفل القيام بشىء ما كان كل مـا ألاقيه هو استجابة سلبية .

إننى لم ألجأ إلى أساليب السحر والشعوذة لكى أحمل طفلى على الطاعـة ، فإن بدأت تلحظ بعض الطاعة من طفلك غير المطيع ـ بعد أن تكون قد تواصلت معه بوضوح وبشكل مباشر وحاسم ـ فلن تجد طفلك فجأة وعلى حين غرة يردد عبارة : " كيف أستطيع أن أساعدك يا أبى ؟ " فالأمر يتطلب بعض الوقـت ، ولكن ليس بالوقت الطويل .

٢٦ مارس

هناك وقت تكون فيه أباً ووقت آخر ـ والذى لا يأتى إلا بعد فترة طويلة ـ تكون فيه صديقاً . فأنت لا تستطيع أن تضع العربة قبل الحصان ولا تستطيع كذلك وضعها بجانب الحصان . وفى هذه الحالة ، فإن الحصان هو سلطتك والعربة هى مصادقتك لطفلك فى إطار علاقتك به .

إن حاولت أن تكون أباً لطفلك وصديقاً له فى نفس الوقت فسوف تفشل فى كلتا المهمتين . فعندما ينقم الطفل على استخدامك لسلطتك ـ كما يحدث فى معظم الأوقات ـ سوف تخشى على صداقتكما أن يمسها سوء . وكنتيجة لذلك سوف تعجز عن اتخاذ موقف حاسم فى أية مشكلة . وبينما تجد أن طفلك لا يكف عن اكتشاف طرق يستغل بها محاولاتك لمصادقته فى صالحه ، سيقودك الإحباط إلى ارتكاب سلوكيات غير ودودة بالمرة . ولن يؤدى هذا فقط إلى توتر علاقتكما وإصابتك بالارتباك ، ولكنك سوف تشعر دوماً بالذنب . وفى ظل تلك الظروف إما سيكبر طفلك وهو مستاء منك أو وهو يتلاعب بك ـ ولا تشكل أى من الحالتين السابقتين أساساً سليماً لصداقة تدوم أبداً .

والخلاصة هي أنه كلما كنت أباً حقيقياً فقط لطفلك طوال الثمانية عشر عاماً الأولى تقريباً من حياة طفلك ، توطدت صداقتكما فيما بعد . فعليك أن تحدد أولوياتك .

٢٧ مارس

طالما ادعى السياسيون ـ دون وجود أدلة كافية تثبت صحة ادعاءاتهم تلك ـ أن المسدسات المخصصة للعب تجعل الأولاد الصغار الذين يلعبون بها يؤمنون أن قتل الأعداء فى الحرب هى أسمى مهمة يمكن أن يقوم بها الرجل ، وأن الأسلحة الحقيقية هى أدوات شرعية لحل كل أشكال النزاعات . وقد صدق الآباء هذا ، وكانت النتيجة أن انخفضت مبيعات لعب المسدسات بشكل ملحوظة فى خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية . لكن على الرغم من ذلك استطاع الأولاد الصغار صنع مسدساتهم الخاصة من فروع الأشجار والأنابيب .

ومنذ عدة سنوات مضت ، شن المناصرون لحقوق المرأة حملة هدفها إجراء عملية تصغير ثدى للعروسة باربى ، مدعين أن جسدها السخيف غير المتناسق يجعل الفتيات الصغيرات يتبنين أفكاراً غير واقعية بخصوص شكل الجسم الأنثوى ، الأمر الذى يهز ثقتهن بأنفسهن ويؤدى إلى إصابتهن باضطرابات تناول الطعام . لكن مرة أخرى لا يوجد ما يثبت صحة هذه الادعاءات ، إلا أن هناك من يصدقها . فعلى أية حال كل سيدة تقريباً تعانى من عدم الثقة بنفسها أو اضطرابات فى تناول الطعام ، قد سبق لها أن لعبت بالعروسة باربى وهى صغيرة . أنا لا أمزح !

٢٨ مارس

فـى منتصـف السـبعينيات أصـبحت الأفكـار الجديـدة الخاصـة بسياسـات العلاقة بين الوالد والطفل هى " السياسة الرسميـة " لإخصـائيى علـم الـنفس . فقد أصبح " اهتـزاز الثقـة بـالنفس " هـو التفسـير الرئيسـى لجميـع مشـكلات الأطفال تقريباً . والمعنـى الضـمنى لهـذا التشـخيص الزائـف هـو أن آبـاء اليـوم يستخدمون طرقـاً تربويـة رجعيـة وبحاجـة إلى " دروس " فـى التربيـة . ومـع القبول المتزايد للعامـة والمتخصصـين لهـذه الخرافـة أصـبحت أسـاليب التربيـة التقليدية ـ أو عتيقة الطراز كما يطلقون عليها ـ بمثابة أشـكال حقيقيـة للإسـاءة والإيذاء حتى وإن لم تنم عن أية كـدمات . وبمسـاعدة الإعـلام نجحـت رابطـة المتخصصين فى إقناع عدد لا بأس به من الآباء المعاصرين بـأن جميـع الأجيـال السابقة مـن الآبـاء كبحـوا زمـام أطفـالهم باسـتخدام أسـاليب تهذيبيـة مـدمرة لنفسياتهم . وخلاصة ذلـك أن آبـاء الأجيـال السـابقة هـم مجـرد طغـاة خلفـوا عائلات مختتلة وأسـاءوا معاملـة أطفـالهم . وقـد كانـت تلـك الحبكـة ضـرورية للتسويق الناجح لنصائح متخصصى تربية الأطفال . فمن سـيلجأ إلى متخصصـى علم النفس إن لم تكن نصائحهم فى تربية الأطفال أفضـل مـن نصـائح الجـدة ؟ إذن فما فعله أطباء النفس ومتخصصو الصحة الذهنية الآخرين هو أنهم ابتـدعوا فلسفة جديدة تماماً فـى تربيـة الأطفـال ثـم اسـتخدموا أوراق اعتمـادهم لتشـويه سمعـة فلسـفتهم التـى طالمـا ألهمـت أجيـالاً كاملـة مـن الآبـاء . يـا لـه مـن تضليل !

٢٩ مارس

إن مهمتك الأساسية كأب هى أن تميز بين ما يحتاجه طفلك حقاً وما يرغب فيه . وتشبه تلك العملية فصل القمح عن القش ، أو الضرورى عن غير الضرورى . وفى هذا الصدد من الجدير بالذكر أن نستشهد بالأقوال المأثورة (مثل : " هذا الذى يحجم عن استخدام العصا فإنه يبغض ولده ، أما الذى يحب ولده فيهذبه بقسوة ") التى عادة ما كانت تستخدم كلما " عصا " للإشارة إلى تلك الأداة البدائية التى كانت تستخدم فى " درس " الحبوب ، وبالتالى فصل الجزء المفيد من المحصول عن الجزء عديم الفائدة ، مع التأكد - انتبه عزيزى القارئ - أن الجزء المفيد لن يصاب بضرر فى خلال تلك العملية .

والأطفال لا يستطيعون " درس " أنفسهم . فالأطفال بمفردهم يعجزون عن التمييز بين الحاجة والرغبة . فبالنسبة للطفل فإن الشعور بأنه يحتاج شيئاً ما يماثل تماماً شعوره بأنه يرغب فى شيء ما . وفى الحقيقة يعرب الأطفال عن رغباتهم أكثر مما يعربون عن احتياجاتهم . انظر مثلاً إلى الطفل الذى يتصرف وكأن حصوله على آخر نسخة من ألعاب الكمبيوتر هو مسألة حياة أو موت بينما يحتاج إلى من يذكره باستمرار بأن يشرب ما يكفى من الماء فى الأيام الحارة . ولأن الحاجة والرغبة تبدوان كلمتين مترادفتين بالنسبة للأطفال الصغار - وبالتالى يصعب التمييز بينهما - فإن مهمة الكبار هى توضيح هذا الفارق ، فالبالغون - الآباء على وجه التحديد - يجب أن يرسموا " خطاً " بين الرغبة والحاجة فى كل جانب من جوانب حياة الطفل .

٣٠ مارس

جميع الآباء ملتزمون أمام أبنائهم بمنحهم كل ما يحتاجونه حقاً مع كم قليل للغاية مما يرغبونه . بمعنى آخر ، يجب أن ينصب اهتمام الآباء على القمح بينما لا يلتفتون كثيراً للقش .

كثيراً ما ألاحظ أن الآباء اليوم لا يشعرون بأهمية تقليل الزيادات ، فهم لا يستوعبون أن حاجة الطفل إلى شيء ما لا تعنى بالضرورة أنه من الأفضل توفير المزيد من هذا الشيء . فالأطفال على سبيل المثال يحتاجون إلى الطعام ، ولكن هذا لا يعنى أنه كلما استهلك الأطفال كميات كبيرة من الطعام تحسنت صحتهم . فى الحقيقة ، إن كثرة تناول الطعام ـ كما هى الحال مع الإكثار من أى شيء جيد ـ تسبب أضراراً بالغة . وبالمثل ، فإن الآباء يجب أن يكرسوا لكل طفل من أطفالهم على حدة قدراً معيناً من الاهتمام ، بيد أن الكثير من الاهتمام الأبوى يحول دون تعلم الأطفال كيفية حل المشكلات بأنفسهم وتحمل الإحباط والصمود فى وجه المحن والاعتماد على أنفسهم بوجه عام .

وعندما يتقيد الوالد بهذا الالتزام فإنه يمنح طفله هدية ما كان يستطيع أن يحصل عليها بطريقة أخرى ، وهى فرصة استكشاف أشياء بعينها بنفسه ـ كيف ينظم وقته ويملأ وقت فراغه ويحل مشكلاته الاجتماعية والأكاديمية وما إلى ذلك . وفى خلال عملية الاستكشاف تلك ، يتعلم الطفل المثابرة وسعة الحيلة ـ السمات الضرورية للنجاح فى أى مسعى . لكن عندما يمنح الآباء الطفل الكثير من أى شيء ، فإنه لا يضطر فقط إلى استكشاف أى شيء يحتاجه ، ولكن يصبح فى النهاية عاجزاً عن القيام بذلك . فأبواه ـ بارك الله فى قلبيهما الكبيرين ـ يقومان باستكشاف الكثير من أجله .

٣١ مارس

إن الهدف الأساسى لتربية الطفل هو مساعدته على الانفصال عن حياتك وتكوين حياة خاصة به . لقد قرأت هذه العبارة لتوك ولكن من الأفضل أن تقرأها مجدداً وببطء ، وإلا فسوف ترتكب نفس الخطأ الذى ارتكبه شخص أعرفه من " لينكولن " فى " نبراسكا " منذ عدة سنوات مضت .

فبعدما تحدثت مع مئات الآباء فى تلك المدينة التى تقع فى الغرب الأوسط من الولايات المتحدة ، اقترب منى رجل وقال : " لقد أعجبنى للغاية ذلك الجزء الخاص بإبعاد طفلك عنك ليكوِّن حياة خاصة به " .

فكان ردِّى : " أنا لم أقل هذا " .

قال مصراً : " بل قلت ! " .

" لا ، لقد قلت إن الهدف الأساسى من تربية الطفل هو مساعدته من أجل الانفصال عن حياتك ، وليس فصله عنها " .

فسأل : " وما الفرق ؟ " .

" الفارق كبير ، فإنها مهمة كل طفل أن ينفصل عن حياة أبويه ويكوِّن حياة خاصة به . ويشرع الطفل فى تنفيذ تلك المهمة بدءاً من العام الأول . فعندما يبدأ الطفل فى الزحف فإنه يزحف بعيداً عن أبويه وليس تجاههما . ولاحقاً عندما يتعلم المشى والركض فإنه يركض بعيداً عن أبويه وليس تجاههما ، وهكذا يسير الحال . وأنا أقول ببساطة إنها مهمتنا أن ندعم ذلك الهدف ونؤكد شرعيته ونعزز مقدرة الطفل على تنفيذه " .

ويسمى ذلك " الهدف " بالتحرر ، والتحرر هو عملية وليس حدثاً يحدث تلقائياً فى نهاية مرحلة المراهقة أو أوائل العشرينيات . ومهمة الآباء هى الوقوف خلف هذه العملية وتتبع مسيرتها . ولكن للأسف فإن الكثير من آباء اليوم يقفون أمام أطفالهم ليمهدوا لهم الطريق بإزالة العقبات والمحن والإحباطات والإخفاقات . فهم بفضل قلوبهم الكبيرة يحاولون فقط أن يجعلوا أطفالهم يعيشون طفولة سعيدة .

١ أبريل

إن المشكلات السلوكية لا تعد بالضرورة مؤشراً على وجود مشكلات انفعالية ، فجميع الأطفال عند مرحلة أو أخرى يعانون من مشكلات سلوكية . وعلى الجانب الآخر ، فإن عدداً قليلاً جداً من الأطفال يعانون من مشكلات انفعالية حقيقية . دعنا ننظر إلى الأمر بطريقة أخرى ، لأن الأطفال هم مجرد بشر - والبشر ينعمون بانفعالات أو يعانون منها (حسب وجهة نظرك) ويرضخون تحت وطأتها ، فهم يعانون من " مشكلات انفعالية " . ولكن كم قليل للغاية من تلك المشكلات - أو الانفعالات المصاحبة لها - هو ما يعتبر غير طبيعي ، فمعظمها يعد جزءاً طبيعياً من صراع البشر .

فإن وضعت ذلك في الاعتبار ، فسوف تصبح قادراً على السخرية من الأشياء التي يأخذها الآباء الآخرون على محمل الجد وتؤرقهم مثل تبول أطفالهم على أنفسهم ، أو إعلانهم بأنهم يكرهونهم ، أو تهديدهم بالهروب من المنزل ، أو التقيؤ فوق الطاولة أثناء العشاء لأنك أجبرتهم على تناول البروكلي ، أو تفريغ الهواء من جميع إطارات سيارتك كمزحة كذبة أبريل .

٢ أبريل

لقد فطن آباء الأمس إلى ضرورة مساهمة الأطفال فى الأعمال المنزلية ببلوغهم سن الرابعة . فكانوا يجعلون أطفالهم يقومون بأداء مهام منزلية بعينها على أساس يومى والتى كانت تستغرق جزءاً كبيراً من وقتهم .

وبالطبع كان الأطفال يقومون بمثل تلك المهام لأسباب فورية وعملية ، ولكن الأسباب الأهم وراء ذلك كانت أكثر عمقاً .

- **أولاً ، إن إسهام الطفل فى بعض المهام المنزلية يؤكد له أنه فرد مهم فى داخل العائلة . وكلما تقبل الطفل المزيد من المسئوليات ، علت مكانته فى نظر أبويه وإخوته .**
- **ثانياً ، يتعلم الطفل مبدأ الأخذ والعطاء ،** والذى يعد أساس أى تواصل اجتماعى ناجح . لذا فإن أداء الطفل لتلك المهام يمثل تجربته الأولى فى التكيف الاجتماعى .
- **ثالثاً ، تعزز المهام المنزلية قيمة العائلة فى نظر الطفل .** فقد كانت ذات يوم وسيلة لتعريف الطفل بقيم ومبادئ عائلته وربطه بها . وإن أردت دليلاً على صحة كلامى هذا ، فسوف تجده دائماً فى الأرياف . فالعادات والقيم العائلية عادة ما تتوارثها الأجيال فى الأسر التى تعيش فى الريف ، فأهم ما يميز الطفل الذى ترعرع بداخل الريف ـ بجانب رائحة السماد ـ عن طفل المدن هو المهام المنزلية التى يؤديها . لذا فمن الضرورى أن تطالب طفلك بأداء قدر كبير من المهام المنزلية على أساس يومى حتى تضع حجر الأساس لمبادئ أسرية تدوم أبداً .

٣ أبريل

لقد سمع آباء اليوم أنه كلما وجهوا المزيد من الاهتمام لأطفالهم وقاموا بالكثير من أجلهم وتدخلوا فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتهم ، كان ذلك دليلاً على أنهم آباء عظام ، ولكن هذا ليس صحيحاً .

ولأننى أعلم أن كلامى هذا قد أصاب الكثير منكم بالصدمة فإننى أود أن أشارككم بعض الحقائق . نعم لقد قلت الحقائق . إن أطباء النفس عادة ما يستشهدون بالنظريات التى تدعمها إحدى الدراسات أو غيرها ، ولكننى لن أفعل ذلك ! فسوف أقوم فقط بعرض الحقائق وسوف أنجح فى إقناعك ، وإننى متأكد من ذلك !

حقيقة : فى إطار علاقة الوالد بابنه ، يلعب الوالد دور المعلم ؛ فيكون هو المسئول الأول عن تلقين طفله التعليم الاجتماعى والروحى . وإن كنت تعتقد أن تلك لا تعد حقيقة واقعة ، فأنت حالة ميئوس منها ، ومن الأفضل أن تضع هذا الكتاب جانباً وتذهب للانضمام لجماعة المعجبين بالعهد الجديد .

حقيقة : لا يمكن أن يكون شرح المعلم فعالاً دون أن ينتبه إليه التلميذ . وإذا كانت تساورك أية شكوك بخصوص تلك الحقيقة ، فقط اسأل أحد المعلمين .

حقيقة : إن الطفل لن يوجه الكثير من الانتباه للوالد الذى يشعر أنه ملزم بتولية طفله قدراً مماثلاً من الانتباه والقيام بالكثير من الأمور من أجله . من فضلك اقرأ تلك العبارة مجدداً بصوت عال وببطء وسوف أنتظرك .

٤ أبريل

سواء اعترف الآباء بذلك أم لا ، فإنهم جميعاً ديكتاتوريون . وأصل كلمة ديكتاتور بالإنجليزية " Dictator " هي" Dictate " والتي يعرفها قاموس " American Heritage " الطبعة الثالثة كالتالي : " الإخضاع لتنفيذ الأوامر باستخدام السلطة .. أو يتحكم ، أو يأمر " . أليس هذا هو ما يقوم به الآباء ؟ فضلاً عن ذلك ، أليس ذلك هو ما يفترض أن يقوم به الآباء ؟ فعلى أية حال إن لم يستخدم الآباء السلطة لحمل أطفالهم على الانصياع لأوامرهم ، فسوف يتجاهل الأطفال هذه الأوامر . فإن لم يتأهب الآباء لإعادة فرض السيطرة على أطفالهم بمجرد أن يفلت زمامهم ، فلن يستطيعوا كبح جماح هؤلاء الأطفال بعد ذلك . وللأسف فلأنه لم يعد من الصواب " نفسياً " أن تكون ديكتاتوراً مع طفلك ، فقد أفلت زمام الكثير من أطفال اليوم وأصبحوا بحاجة ماسة لآباء ديكتاتوريين يفرضون سيطرتهم عليهم .

نعم إنه من الشائع أن يسيء الديكتاتور استخدام سلطته ، ولكن هذا لا يعني أن الديكتاتورية في حد ذاتها سيئة . فيكتظ التاريخ بأمثلة كان من الضروري فيها أن يسود الحكم الديكتاتوري حتى يعم الاستقرار في ثقافات بعينها في أزمنة بعينها . فالديكتاتورية ما هي إلا نظام سياسي يتولى فيه شخص واحد مسئولية اتخاذ القرارات بالنيابة عن مجموعة من الأشخاص الذين يعتمدون عليه في اتخاذ القرارات الصائبة . وتلك هي وظيفة الآباء أيضاً ، أليس كذلك ؟ ولكن يجب على الآباء التأهب لمنح أبنائهم المزيد من الحرية وطرح الكثير من الخيارات عندما يكبرون - حتى أنهم يجب أن يمنحوهم حرية ارتكاب الأخطاء . ولكن يجب أن يكون الأمر عائداً للآباء فقط في منح هذه الحرية . فلا يجب على الآباء قط - مادام أبناؤهم لا يزالون تحت رعايتهم - أن يسلموهم مطلق السيطرة على حياتهم . فأنت تهب طفلك فقط المزيد من الاستقلال حينما ينضج قليلاً ، ولكنك المتحكم الوحيد في قدر ذلك الاستقلال ووقت منحه . فمن حق الآباء منح الطفل إحدى المزايا ومن حقهم

كذلك سحبها منه . وفى هذا الإطار ، يتعلم الأطفال قيمة الاستقلال ، ليس كشيء يحصلون عليه دون حساب ولكن كشيء يجتهدون للحصول عليه ، وبالتالى شيء يستحق أن يستغل جيداً . ولا تنس أنك أنت صاحب القول الفصل ؛ لا لشيء إلا صالح أطفالك .

٥ أبريل

يقول أحد أبرز مؤيدى طرق التربية الحديثة والذى شاركنى ذات مرة إحدى المناظرات فى " ديترويت " : " لا يحب الأطفال أن يملى عليهم أحد ما يفعلونه لذا فلابد أن نمنحهم خيارات حتى يتعلموا كيف يتخذون قرارات صائبة ! " .

فى المقام الأول ، لا يوجد من يحب أن يملى عليه أحد ما يفعله . ومع ذلك ، فإنها إحدى علامات النضوج أن نقبل الانصياع لأصحاب السلطة الشرعية . وأول سلطة يقابلها الأطفال فى حياتهم هى سلطة آبائهم . فإن لم يتعلموا قبول سلطة آبائهم ، فأين وكيف - أنا أطرح هذا السؤال - يمكنهم أن يتعلموا قبول سلطة أى شخص آخر ؟

ثانياً ، إن حقيقة أن الطفل لا يحب شيئاً قام به أحد البالغين لا تعد دليلاً على أن هذا القرار أو الفعل خاطئ . فالأطفال عادة ما ينقمون بشدة على القرارات التى تبدو للجميع أنها فى صالحهم ويرحبون بالقرارات التى لا تكون كذلك . لذا فإن التلميح بضرورة إسعاد الآباء لأبنائهم على الدوام لهو تلميح مدمر ومخرب حقاً . فما يجب أن يحدث هو أن يسعى الأبناء لنيل رضا آبائهم على الدوام .

ثالثا ، سوف ينجح الأطفال - فى الوقت المناسب - فى اتخاذ القرارات الصائبة إن سبق واتخذ الآباء بالنيابة عنهم قرارات صائبة . فالأطفال يحترمون آباءهم حين يرونهم يتولون زمام الأمور جيداً . وهذا الاحترام سوف يمكنهم من تبنى قيم آبائهم تدريجياً ، وهذا الإرث من القيم المترسخة - وليس أن ينعم الطفل بحرية الاختيار - هو الذى يؤهل الطفل لاتخاذ قرارات صائبة حين يكبر .

رابعاً ، إن مهمة الآباء هى رعاية أطفالهم حتى يكبروا . وهذا يتطلب أن يساعد الآباء أطفالهم خلال تلك المرحلة على ترسيخ القيم والمفاهيم والمهارات التى سوف يحتاجونها بعد ذلك للنجاح فى حياتهم كبالغين . وفى هذا الصدد أريد أن أشير إلى أنه ما من محل عمل يسمح لموظفيه بحرية اختيار المهام التى يقومون بها . وأود أن أشير كذلك إلى أنه ما من قانون يمنح المواطن حرية الامتثال له حينما يكون راغباً بذلك فقط . فلا بأس من أن يكون لطفلك حرية

اختيار ارتداءِ معطف أو سترة فى الصباح ، ولكن أن تمنح طفلك حريـة مطلقـة للاختيار على الـدوام لهـو أمـر يـنم علـى انعـدام المسـئولية ويسـتحق الشـجب والتوبيخ .

٦ أبريل

هناك أربعة عوامل أساسية للنجاح الأبوى فى أثناء بداية مرحلة المراهقة :
العامل الأول هو التفهم . يجب أن يدرك الآباء أن احتياجات الطفل تتغير بشكل جذرى فى أوائل مرحلة المراهقة . اجتماعياً ، يصبح أصدقاء الطفل ذوى أهمية خاصة بالنسبة له ، فيحرص على نيل استحسانهم ويستمد منهم مبادئه . كما يبدأ المراهق الصغير - فى السراء والضراء - فى الانسحاب التدريجى عن أسرته والتمسك أكثر بقيم جيله .
العامل الثانى هو مزيج بين قوة التحمل والتكيف . عليك تحمل تلك الفترة لأنها لن تدوم طويلاً ، ثم عليك أن تتكيف معها لأن التغييرات التى تحدث أثناء مرحلة النمو الحرجة هذه تتطلب منك تغييرات جذرية مماثلة فى طرق استجابتك لطفلك . فعادة ما تكون حاجة الطفل الشديدة للمزيد من الحرية هى ما تدفع الآباء إلى ارتكاب الأخطاء والتمسك بطريقة تربوية غير ذات جدوى .
العامل الثالث هو التواصل . يجب أن يكون الآباء على استعداد دائم للإنصات لطفل هذه السن حتى وإن لم يكن لكلامه أى معنى ، وذلك بأن ينصتوا لمخاوفه وتصريحاته بشعوره بعدم الأمان وآماله وأفكاره ومعتقداته ، وأن ينصتوا لشكاواه العديدة - من أصدقائه وأخطائهم وكيف تبدو ملابسهم سيئة وكيف يبدو شعرهم أشعث ، ومن آبائهم وقراراتهم السيئة - وتقبل نحيبه وتذمره بصدر رحب دون انتقاده .
العامل الرابع هو إبداء الاهتمام . لا يوجد ترياق لمخاطر ضغط الأقران أفضل من أبوين يبديان الاهتمام . خصص وقتاً لطرح الأسئلة والإنصات والمشاركة ، فهذا الوقت هو أفضل استثمار يمكنك أن تقوم به من أجل مستقبل مشرق لطفلك .

٧ أبريل

كيف يتسنى لأطفال اليوم مع كل تلك الأشياء والأنشطة التى يوفرها لهم آباؤهم أن يشعروا بمثل هذا الملل المتواصل ؟ فى الحقيقة ، إن هذا السؤال يجيب نفسه ، فأطفال اليوم يشعرون بكل هذا الملل لأن آباءهم يوفرون لهم الكثير من الأشياء والأنشطة .

إن الكثير من اللعَب تقوض مقدرة الطفل على اتخاذ قرارات إبداعية ، فالطفل يعجز عن معرفة ما يقوم به بعد ذلك لأن ركام الألعاب أمامه يمده بالكثير من الاختيارات . لذا فهو ينسحب من أمام هذه الفوضى قائلاً : " لا أجد ما أفعله " .

وتوجد علاقة وطيدة كذلك بين شعور الطفل بالملل ونوعية الألعاب التى يبتاعها له والداه ، فمعظم ألعاب اليوم ذات نمط واحد ـ عربة أو مركبة وما إلى ذلك . وتلك الطبيعة النمطية لمعظم ألعاب اليوم تحد من مقدرة الطفل على التخيل والإبداع وتجعله أكثر عرضة للشعور بالملل .

والنتيجة هى أننا بنوايانا الطيبة نجحنا فى الحيلولة دون نهم أطفالنا من نبع قدراتهم الإبداعية السحرية . إن معظم أطفال اليوم لا يمتلكون المقدرة على الإبداع والابتكار ، لماذا ؟ لأنهم لم يضطروا أبداً لاستخدامها . فقد قدمنا لهم الكثير ومنحناهم الكثير . لكن من خلال الابتكار ، يستغل الأطفال قدراتهم الخيالية والإبداعية وذكاءهم وما يتمتعون به من سعة حيلة وينمون اعتمادهم على أنفسهم . وفى خضم تلك العملية يستكشفون ويخترعون ، والاستكشاف والاختراع هما أساس أى علم . ولا يعد الابتكار جوهر اللعب الإبداعى الحقيقى فقط ـ والذى يعد جوهر مرحلة الطفولة ـ ولكنه أيضاً السر وراء تقدم الجنس البشرى ، فعلى مر التاريخ كان فن الابتكار وثيق الصلة دوماً بأى اختراع مهم وكل استكشاف شهير ، فالابتكار إذن هو أساس كوننا بشراً .

٨ أبريل

إن أحد أكثر الأشياء التى تثير غضبى هى شكوى الآباء من درجات أطفالهم . إنها حقيقة يا أعزائى القراء أننا أصبحنا نولى موضوع الدرجات هذا أهمية أكثر مما يستحق . بمعنى آخر ، إن طفلك على الأرجح قد تلقى بالفعل من الدرجات أكثر مما يستحقها . وفى تلك الحالة أنت لا تذهب إلى المدرسة وتطالب بتقليل درجات طفلك ، أليس كذلك ؟ بلى ؟ إذن لا تغضب ثانية عند حصول طفلك على درجة منخفضة وتتهم معلمه بأنه ليس منصفاً ، فإن كان الإنصاف هو ما تسعى وراءه حقاً ، لكنت ذهبت إلى مدرسة طفلك كل أسبوع تقريباً وقلت لمعلمته إن الدرجات الجيدة التى تعطيها إياه على الدوام تجعله يعتنق مفاهيم غير واقعية عن عالمنا الحقيقى .

٩ أبريل

يعتقد البعض أن الضرب يلحق الضرر بالطفل ، ولكننى لا أعتقد ذلك . نعم إن بعض الآباء يضربون بطريقة قد تلحق الضرر بالطفل ، لكن بإمكان الآباء تطبيق أية طريقة من طريق التهذيب - حتى التحدث إلى الطفل - بشكل مدمر .

ويعتقد البعض الآخر أن الضرب هو أكثر طرق التهذيب كافة فاعلية . وأنا لا أتفق مع هذا الرأى أيضاً ، فالضرب فى حد ذاته لا يشجع الطفل على انتهاج السلوكيات الحميدة . فالضرب الذى يصحبه فترة من العقاب أو التعنيف الحاد (أو كليهما) يكون أكثر فاعلية من مجرد الضرب وحده .

إن الضرب هو بمثابة تذكير للطفل بالسلطة الأبوية ودليل على عدم الاستحسان . ولكنه لا يعد بأية حال من الأحوال بديلاً عن طرق التهذيب الأخرى الأكثر فاعلية مثل الطرق اللفظية وغيرها .

١٠ أبريل

ينبغى على الزوجات رعاية الأطفال وعلى الأزواج جنى الأموال ، ومع ذلك فإن الزوجات يمكنهن بل ويجب عليهن أن يظللن زوجات حتى بعد أن يصبحن أمهات . وبالمثل فإن الأزواج يمكنهم بل ويجب عليهم أن يظلوا أزواجاً بغض النظر عن متطلبات وظائفهم . فالأمومة والأبوة وكسب الرزق ـ كلها تعد أدواراً ثانوية ، فدورا الزوج والزوجة هما الدوران الأساسيان فى داخل أية أسرة . إن كنت تجد صعوبة فى تقبل هذه الحقيقة فذلك لأن دورى الأمومة وكسب الرزق يشغلان كل الوقت ويطغيان على أى شيء آخر ، حتى أننا أصبحنا نستسلم لهما دون تفكير فى العواقب .

والجانب المظلم لهذا الأمر أنه قد أصبحت العديد من الأسر تعانى من المشكلات لأن الأزواج والزوجات قد أغفلوا أدوارهم الرئيسية . أما الجانب المشرق فهو أن حل هذه المشكلة أسهل من التعايش معها . كل ما عليك فعله هو أن تبدأ فى تخصيص بعض الوقت لحياتك الزوجية ، أكثر من الوقت الذى تمنحه لأطفالك .

١١ أبريل

يجب أن يدرك الآباء أن هناك فارقاً كبيراً بين الصراع بين الإخوة والتنافس بينهم ، فالخلافات بين الأشقاء شأنها شأن الخلافات الزوجية تعد أمراً حتمياً لا مفر منه ، كما أنها تشتمل على شخصين أيضاً . أما التنافس بين الإخوة فهو يشتمل على طرف ثالث : الوالد ، الذى يشعر أنها مسئوليته أن يقف " حكماً " حينما يتشاجر أطفاله كى يساعدهم على تعلم كيفية إنهاء الخلاف بطريقة عادلة والتصالح معاً مجدداً . ولكن برغم نوايا الآباء الطيبة ، فإن تلك " المساعدة " لا تؤدى فى النهاية إلا إلى تنافس الأبناء على ما أطلق عليه اسم " مكافأة الضحية " . والطفل الفائز هو ذلك الذى يعتبره الوالد ضحية النزاع - ذلك الذى أساء أخوه معاملته . وكنتيجة لهذا ، يتعلم الأطفال أن إحدى طرق نيل تعاطف الآباء هى تمثيل دور الضحية ، ففى مقابل كل ضحية ، يوجد معتدٍ . وفى هذه الحالة يصب الوالد غضبه على هذا الطفل لاعتدائه على أخيه . ولا يجد هذا الطفل طريقة لتنفيث امتعاضه مما حدث إلا الانتقام من الطفل الذى يمثل دور الضحية . وهكذا نجد أنفسنا داخل دائرة مغلقة وتنشأ كراهية بين الأشقاء تؤدى إلى خلق جو مشحون داخل الأسرة . لذا فإننى أنصحك أن تتبع فى أغلب الأحوال سياسة عدم التدخل حينما يتشاجر أبناؤك . أما إن كان تدخلك ضرورياً حتى يستتب الأمن من جديد داخل الأسرة فعليك أن تحمل كلا الطفلين مسئولية ما حدث من بلبلة . عَنِّف كليهما وانتزع منهما الشيء محل النزاع واطلب منهما ملازمة غرفتيهما (أو أى مكان محايد آخر) لبرهة من الوقت ، ولا تحاول مطلقاً أن تمنح أحدهما " مكافأة الضحية " ، فلا تحاول أن تعرف من الضحية ومن المعتدى ولا تصعد الصراع .

١٢ أبريل

لقد اتبعت أنا وزوجتى " ويلى " مع أطفالنا سياسة " لا تطرح أسئلة ولن تسمع أكاذيب " . فإن كنت ـ مثلاً ـ متأكداً من أن طفلى الأكبر قد أحدث ثقباً فى الحائط ، فإننى أقول له : " إريك ، لقد حكمنا عليك بالعقاب لأنك أحدثت ثقباً فى الحائط " .

بمعنى آخر ، بدلاً من أن أطرح سؤالاً غبياً : " هل أحدثت ثقباً فى الحائط ؟ " فإننى أدلى ببيان يعبر عن سلطتى . وعادة ما يتضمن هذا البيان عاقبة ما فعله الطفل . إن تلك العبارات تكون حاسمة للغاية ، كما أنها لا تضطرك إلى ممارسة لعبة القط والفأر مع طفلك .

إن طبيعة أسئلة " هل فعلت ذلك ؟ " السلبية تستحث الطفل على الإنكار . وبمجرد أن تبدأ المطاردة يكون الطفل هو المتحكم الأول والأخير فى الفترة التى ستستمر خلالها هذه المطاردة . وفى النهاية سوف تضطر لاستخدام القوة لوضع حد لما يحدث .

ومما لا شك فيه أن شكوكك قد تكون فى غير محلها إن لم تطرح أسئلة ، ولكنها فى أغلب الأحوال ستكون فى محلها . فبصفتى والداً ، كانت تكهناتى الأولى بشأن من فعل كذا صحيحة بنسبة ٩٥ ٪ . أما النسبة الباقية التى كنت مخطئاً فيها فقد سببت ضرراً لأطفالى أقل كثيراً من الضرر الذى كان سيسببه لهم منحهم الفرصة تلو الأخرى للجدال معى فى أشياء أنا شبه متأكد من أنهم قاموا بها .

١٣ أبريل

فى ثقافات أخرى أو فى أزمنة سابقة كان الأطفال ينامون بجوار آبائهم لأنهم مضطرون أو كانوا مضطرين لذلك . فلم يكن من العملى - بل إنه كان من الخطر - لأسلافنا الذين عاشوا فى فترة ما قبل التاريخ ألا يرضوا إلا بكهف بغرفتين . وليس من المنطقى كذلك بالنسبة للبدو وكثيرى الترحال أن يحرصوا على افتراش خيمتين إحداهما للزوجين والأخرى للأطفال فى كل مرة يذهبون إلى مكان جديد ، أو أن يضيع سكان الإسكيمو وقتاً وجهداً فى بناء كوخين . ففى أى مكان أو زمان شارك الآباء أبناءهم نفس الغرفة ، فقد كان ذلك فى أغلب الأحوال بسبب ظروف اضطرارية وليس لرغبتهم فى ذلك . علاوة على ذلك ، فإن نشأة الطفل فى قبائل أو ثقافات بدائية لا تعنى بالضرورة أنه قد تربى بأساليب صحية أو أكثر فطرية . دعونى أضرب لكم مثلاً : فى كثير من الحالات يشارك الأطفال آباءهم نفس مكان النوم إن لم يكن نفس الفراش . هل فهمت ما أرمى إليه ؟

١٤ أبريل

تشبه الأسرة إلى حد ما النظام الشمسى الذى يتكون فى مجمله ـ بطريقة ما ـ من " خلية " لبنية . ففى مركز هذا النظام الشمسى يوجد مصدر للطاقة يغذى النظام ويوفر له الاستقرار . وحول ذلك المركز تسبح مجموعة من الكواكب فى مراحل مختلفة من " النضج " .

وبالمثل ، فإن أية أسرة فى حاجة إلى مصدر طاقة قوى يقبع فى منتصفها يوفر لها التغذية والاستقرار . والأشخاص الوحيدون المؤهلون لاحتلال هذا الموضع المسئول هم الآباء ، فوظيفتهم هى قيادة الأسرة وتنظيمها والحفاظ عليها وتغذيتها .

أما الأطفال فيلعبون دور " الكواكب " ، فعندما يكونون صغاراً للغاية فإنهم يسبحون على مقربة من النجم الرئيسى لأنهم يكونون فى حاجة إلى الكثير من الرعاية والإرشاد . لكن حينما يكبرون يتسع قطر المدارات التى يدورون فيها حتى ينفصلون تماماً عن " جاذبية " آبائهم فى أواخر مرحلة المراهقة وبداية العشرينات ويكوِّنون أنظمة مستقلة خاصة بهم . إن مهمة أطفالنا النهائية هى الانفصال عنا ومهمتنا هى مساعدتهم على ذلك . لكن السماح للطفل بأن يقبع فى بؤرة الاهتمام يقوض قدرته على الوصول إلى درجات أعلى من الاستقلال . فإن جعلت طفلك محور اهتمام جميع أفراد الأسرة فسوف يعجز عن ترك هذا المكان .

١٥ أبريل

أخبرتنى إحدى الأمهات وعلامات الأسى ترتسم على وجهها أن ابنتها البالغة من العمر ثمانى سنوات قد انخرطت مؤخراً فى نوبة من الغضب لأن أحد الأمور لم يسر وفق هواها ، وقد تمادت فى الصراخ لدرجة أنه بدا أنه ما من شىء يمكنه إيقافها . ولقد أراد والدها أن يتبع معها أسلوباً صارماً ، فرغب أن يرسلها إلى غرفتها ويسحب منها امتيازاً أو اثنين حتى تدرك أن سلوكها هذا غير مقبول بالمرة . ولكن أرادت والدتها أن تتبع معها أسلوباً أكثر ليناً ؛ فأرادت أن تمسك بها وتجلسها فوق ساقيها وتحاول تهدئتها . إنها لم ترغب فى الاستسلام لمطالب ابنتها ، ولكنها رأت أن حبس الطفلة فى غرفتها وعقابها ليسا ضروريين . وقد ظن الأب أن سلوك الأم هذا سيكون بمثابة " مكافأة " للابنة على ثورتها ، ولكن ما أرادته الأم هو الذى كان .

سألتنى الأم : " ماذا كان بإمكاننا أن نفعل ؟ " وهى مستاءة لأنها ظنت أنها ارتكبت خطأ .

وقد أخبرتها أن الأسلوب الذى اتبعته لم يكن خاطئاً وكذلك الأسلوب الذى أراد أن يتبعه زوجها . ولكن كانت المشكلة الحقيقية تكمن فى النزاع الذى نشب بينهما بخصوص أسلوب التهذيب المناسب ، والذى يبدو أنه يتكرر كثيراً . كلما تقدمتُ فى العمر ، أزداد اقتناعاً بأن مثل هذه النزاعات تعكس اختلافات شخصية لن يعمل الوقت على إذابتها . لذا ، فإنه ليس من المنطقى أن نتوقع من أحد الطرفين قبول وجهة نظر الطرف الآخر . علاوة على ذلك ، ففى معظم الحالات (وبالطبع توجد استثناءات لهذه القاعدة) لا تحقق إحدى الطريقتين نتائج أكثر فاعلية من تلك التى حققتها الطريقة الأخرى . بمعنى آخر ، لا تتسم أى منهما بأنها مثالية ولكن لا بأس من أن تجرب الطريقتين . والأهم من كل ذلك أن يسعى الآباء دوماً لتسوية خلافاتهما ، ويمكنهما أن يستعينا فى ذلك بإحدى قواعد لعبة كرة السلة : الاتفاق مسبقاً عمن سيكون له القول الفصل فى المرة القادمة التى يحدث فيها اختلاف بخصوص أسلوب التهذيب المناسب ، وتناوب الأدوار بعد ذلك بدءاً من هذه المرة . وبذلك يجنى الطفل فوائد كلتا الطريقتين التهذيبيتين .

١٦ أبريل

بعض أصدقائى يعملون ولديهم فى الوقت نفسه طفلان فى مرحلتين مختلفتين من مراحل التعليم . وبعد المدرسة يذهب الأطفال إلى مركز رعاية حيث يبقون هناك حتى بعد الخامسة بقليل إلى أن يذهب آباؤهم إليهم ليأخذوهم إلى المنزل .

منذ سنوات كثيرة مضت ، قام أصدقائى هؤلاء بتطبيق قاعدة غريبة بعض الشىء : لمدة ثلاثين دقيقة من وصول الجميع للمنزل يصدر قرار يمنع دخول الأطفال غرفة المكتب ، أو المطبخ ، أو أية غرفة أخرى يتواجد فيها آباؤهما ، فبإمكانهم فقط اللعب فى غرفهم أو فى الخارج إن سمحت الظروف بذلك . ويستغل الآباء هذا الوقت فى الاسترخاء والحديث فى أثناء إعداد وجبة العشاء .

قبل تطبيق قاعدة الثلاثين دقيقة هذه كان أصدقائى يشعرون بأنهم ملزمون بتكريس أنفسهم بالكامل لأطفالهم طوال الليل . وكلما ألقوا لهم المزيد من الانتباه ازداد أطفالهم وقاحة ومشاكسة . وفى النهاية ـ بعدما استغرق هذا الوضع بعض الوقت ـ أدرك أصدقائى أن زمام الأمور أصبح فى أيدى أطفالهم . ففى أثناء سعيهم وراء تربية مثالية ، خلقوا وحوشاً صغيرة .

لكن بعد أن أدركوا أن علاقتهم بأزواجهم أهم من علاقتهم بأطفالهم ، قرروا أن يعيدوا وضع زيجاتهم فى مركز أسرهم مجدداً . وكانت قاعدة الثلاثين دقيقة أحد الإجراءات العديدة التى اتخذوها فى إطار سياسة جديدة بدأوا فى تطبيقها .

واليوم أستطيع أن أؤكد أن هؤلاء الأطفال قد أصبحوا مستقلين ، وآمنين ، ومنفتحين ، وسعداء ، وناضجين ، ومرحين ، ومهذبين ... هل أستمر فى سرد حسناتهم ؟ لقد داواهم آباؤهم من إدمانهم لتلقى الانتباه بتركيزهم على حياتهم الزوجية ، وبقيامهم بذلك نجحوا فى تحديد مجموعة كاملة من القواعد التى يسهل تطبيقها فى العديد ـ إن لم يكن معظم ـ الأسر التى يعمل كلا الأبوين فيها .

١٧ أبريل

فى كل مرة تقريباً أؤكد أن وسائل التربيـة التقليديـة مازالـت فعالـة وتـؤتى ثمارها كما كانت سـابقاً ، أجـد أحـد الأشـخاص يقـول لى متحـدياً : " ولكـن الزمن قد تغير " . وهو يقصد بالطبع أن العالم الآن ليس هو نفـس العـالم الـذى عاش فيه آباؤنا وأجدادنا ؛ لذا فإنـه مـن غـير المنطقـى أن أفـترض أنـه يمكـن تربية أطفالنا بنجاح مستخدمين أساليبهم وتقنياتهم .

والحقيقة هى أن الزمن فى تغير دائم ، ولكـن جيلنـا هـو الجيـل الأول مـن الآباء الذى يستحدث كل هذه التغييرات الجذرية فى طرق تربية الأطفـال . إن أجدادى من مواليد نهاية القرن التاسع عشر ، وبالرغم من أن التغـييرات التـى شهدها العالم فى الثلاثين عاماً الأولى من حياتهم كانت جذرية ودرامية مقارنـة بتلك التى شهدها العالم فى خلال الثلاثين عاماً الأولى من حياتى ، فقد ربـاهم آباؤهم بالطرق التقليدية وقاموا هم بتربية أبنائهم بنفس الطرق . وبالمثـل ، فقـد شهد العالم فى الثلاثين عاماً الأولى من حياة والدىَّ تغييرات كاسحة ـ فقد ولـد أبى عام ١٩١٩ وأمى عام ١٩٢٤ ـ ومع ذلك فقـد استخدما فـى تربيتـى نفـس الأساليب التى تربيا هما بها . فحتى وقتنا الحالى لم تكن الأجيال فقط تتـوارث طرق تربية الأطفـال ولكـن كـان يوجـد أيضـاً اتفـاق جمـاعى علـى صـحة هـذه الطرق . فكان الجميع تقريباً متفقاً على فاعلية تلك الطرق ويعرف أفضل الطرق لتطبيقها . نعم كانت توجد بعض الخلافات ولكنها كانـت طفيفـة . أمـا اليـوم فقد اختفى ذلك الاتفاق العام ولم يعد هناك مرجعية تاريخية نستطيع أن نؤكـد من خلالها توارث الأجيال لطرق التربية ، وذلك فقط لأن " الزمن قد تغـير " . لقد حدث كل هذا لأننا صدقنا أن وسائل تربية الأطفال التقليدية كانـت فاشـلة وأن متخصصى الصحة الذهنية يعرفـون مـا لا تعرفـه الجـدة . وهكـذا أغمضـنا أعيننا بأنفسنا وانحرفنا عن المسار الصحيح ، ونتيجة لهذا عمـت الفوضـى فـى كل نواحى المجتمع . إن إحيـاء قـيم وتقاليـد نجحـت ذات يـوم فـى شـد أزر الأسر السابقة لابد أن يصبح أولوية قوميـة . وإن لم نسـرع فـى القيـام بـذلك ، ستعم الفوضى عما قريب نتيجة كل تلك التغييرات التى نحدثها .

١٨ أبريل

ببلوغ الطفل سن الثالثة يتوصل إلى أحد استنتاجين بديهيين بخصوص أحد والديه أو كليهما :

الاستنتاج الأول : " إن والدىَّ هنا بجانبى لكى ألقى لهما انتباهاً عندما يتحدثان " .

الاستنتاج الثانى : " إن والدىَّ هنا بجانبى فقط لكى يلقيا إلىَّ انتباهاً " .

والطفل إما يتوصل للاستنتاج الأول أو الثانى ؛ فهو لا يستطيع التوصل لكليهما ، كما أنه لا يعتنق أحدهما لبرهة ثم ينتقل للآخر بعد قليل . ودعنى أؤكد لك أنه لو توصل طفلك للاستنتاج الثانى ، فسوف يكون تهذيبك له بمثابة قتال أو معركة .

إن التهذيب هو العملية التى من خلالها يجعل الآباء من أطفالهم تابعين لهم . والتابع هو من يتبع تعليمات ولى أمره ، والذى يمثل إحدى السلطات الشرعية بالنسبة له . والحقيقة هى أنك لا يمكن أن تتوقع من طفلك أن يكون تابعاً لك إن لم تنجح فى إقناعه أولاً بأنك توجد بجانبه لكى يلقى هو انتباهاً لك وليس العكس .

علاوة على ذلك ، فإن الاستنتاج الذى يصل إليه الطفل ليس له أية علاقة بشخصية الطفل نفسه . بمعنى آخر ، إن كون الطفل ينتبه إليك أم لا هو أمر راجع إليك وحدك بنسبة ١٠٠٪ .

١٩ أبريل

إن لم يكن الأطفال يفقدون السيطرة على أنفسهم ما كانوا سيصبحون أبداً في حاجة إلى آباء . وهناك أوقات يمكن فيها تجاهل فقدان الطفل السيطرة على نفسه ـ عندما لا يلبث برج المكعبات أن ينهار فى كل مرة يبنيه فيها ـ وهناك أوقات يمكن التعامل فيها مع فقدان الطفل السيطرة على نفسه بهدوء وصبر حتى إن كان من الصعب تجاهله ـ مثل إرساله لغرفته حتى تخمد حالة الهيستريا التى انخرط فيها . ولكن على الرغم من ذلك فهناك سلوكيات لا يمكن تجاهلها ، والتى إن لم يتم اقتلاعها من جذورها فإنها سوف تزداد سوءاً . فالمرء لا يمكن أن يتحلى بالصبر فى وجه عدم الاحترام أو الوقاحة أو نوبات الغضب أو السلوك المخرب ، فالطفل يجب أن يدرك أن مثل هذه السلوكيات لن تمر بأية حال من الأحوال دون عقاب ، وذلك ليس لأنها تهدد سلطة الوالد ولكن لأنها تهدد مقدرة الطفل على النجاح فى حياته بعد ذلك . وعلى أية حال ، فبغض النظر عن نوع الصعاب التى تواجه المرء فى حياته ـ اجتماعية ، زوجية ، مهنية ، روحية ، سياسية ، اقتصادية ـ فإن النجاح الحقيقى لا يتحقق إلا لهؤلاء الذين يحترمون السلطات ، ويحترمون كذلك إخوانهم فى الإنسانية ، ويدركون متى وكيف ينصاعون ومتى وكيف يأتمرون ، وكيف يسيطرون على أنفسهم .

٢٠ أبريل

لقد أصبح هناك مجموعة من الناس متيمين حقاً بالمفاهيم الرومانتيكية المثالية الخاصة بتربية الأطفال ، فأصبحوا يؤمنون أن الأطفال سيكبرون ليصبحوا مواطنين صالحين فقط إن تركوهم يقومون بما يحلو لهم . إن مثل هؤلاء الآباء يفتقرون إلى الحزم اللازم لإخضاع أطفالهم لسلطتهم . إنهم متهاونون ومتساهلون وضعاف الشخصية . وعلى الجانب الآخر ، هناك الآباء الحازمون أكثر مما ينبغى ، والذين يستخدمون أسلوب التسلط أكثر من الإرشاد مع أطفالهم . إنهم يشبعون غرورهم ويشعرون بالرضا إزاء أنفسهم عندما يخضعون أطفالهم لهم ويجبرونهم على احترامهم . وعندما يعجز أطفالهم عن إشباع غرورهم ، يتملك منهم الغضب ويثورون . وللأسف ، فلأنهم لا يدركون الغاية النهائية من تربية الأطفال فإن تسلطهم هذا يصبح سطحياً . ولأنهم لا يعرفون كيف يستحوذون على انتباه أطفالهم ، ينتهى بهم الأمر وهم يغتصبونه منهم . وينصاع أطفالهم لهم فقط لتجنب العقاب ، لا لأنهم يرغبون فى نيل استحسانهم . ويعد هذا الأمر مأساة حقيقية ؛ فالطفل الذى لا يعُلمه أبواه كيف يسعى لنيل استحسانهما ورضائهما ، لا يسعى لابتغاء مرضاة الله حينما يكبر . وأنا لا أعنى أن هذا الطفل لن يستطيع قط أن يكون مواطناً صالحاً ولكنه سيبذل جهداً كبيراً حتى ينجح فى ذلك .

٢١ أبريل

سؤال : إن ابني البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يتجاهلني ويخاطبني بوقاحة ويرفض الانصياع لأوامري حتى أنه يرفض تطبيق العقوبة التي أوقعها عليه ، فأنا أدفعه دفعاً حتى أجعله يدخل غرفته وأظل ممسكة بمقبض الباب حتى لا يخرج . أما زوجي ـ والذي يطيعه ابني " دانيال " بشدة ـ فيسافر كثيراً طوال الأسبوع . ولقد أصبحت أبغض طريقة " انتظر حتى يعود والدك للمنزل " ليس فقط لأن طفلي لا يكترث لها كثيراً ولكن لأني لا أريده أن يخشى والده فقط ولا يخشاني . فماذا أفعل ؟

إجابة : أنصحك بأن تستمرى فى تهديد طفلك بوالده . فى المقام الأول ، يبدو أنك بحاجة لدعمه كى تحلى هذه المشكلة ، ومن الواضح كذلك أنه لا مانع لديه فى منحك هذا الدعم . علاوة على ذلك ، فإنه فى مصلحة " دانيال " أن يعلم أن والديه على وفاق تام بشأن أسلوب تهذيبه ، فخبرتى كوالد لطفل شديد العناد أكدت لى أن الأطفال الذكور بحاجة إلى متابعة والد يتمتع بشخصية قوية وخاصة أثناء مرحلة المراهقة .

والخطة التى سوف أقدمها لك بسيطة وأستطيع أن أؤكد لك من خلال خبرتى أنك بقليل من المثابرة سوف تنجحين فى حل هذه المشكلة فى وقت قياسى ، هذه الخطة هى : فى أى وقت (١) يخاطبك فيه " دانيال " بوقاحة أو (٢) يتجاهلك أو (٣) يرفض الانصياع لأحد أوامرك أو (٤) يقوم بأى شىء يزعجك ، أخبريه أنه يمتلك أحد خيارين : إما أن يذهب إلى غرفته لمدة ساعة أو يرفض ذلك . وفى الحالة الأخيرة ـ أو إن ذهب إلى غرفته ولكنه لم يبق بها لمدة ساعة كاملة ـ فإنك لن تحاولي على الإطلاق إرغامه على تنفيذ هذه العقوبة ؛ كل ما فى الأمر أنك ستخبرين والده بما حدث عندما يعود من سفره هذا الأسبوع ، وسوف يوقع عليه والده بدوره عقاباً أشد وطأة (مثال : عدم الخروج من المنزل) .

ويعتمد نجاح هذه الخطة على هدوئك ومثابرتك . باختصار ، لا يجب أن تهددى أو تحذرى أو تثورى . وبذلك سوف يعتقد طفلك أنك أم " حقيرة " حقاً ، وهى الصفة التى عادة ما يصم بها الأبناء آباءهم عندما يعتقدون أنهم يعنون ما يقولونه .

٢٢ أبريل

ما من شك أن أصدقاء المراهق يؤثرون فيه بشدة ، فهو يقلدهم فى كل شىء بدءاً من الطريقة التى يرتدون بها ملابسهم إلى الطريقة التى يحملون بها كتبهم وغير ذلك . وإن كان هذا التأثير إيجابياً فبإمكان الآباء الشعور بالاطمئنان . ولكن ماذا لو أن هذا التأثير ليس إيجابياً ؟ ماذا يستطيع أن يفعل الآباء فى ذلك الحين ؟

إنه من الصعب للغاية أن تعرف الوقت المناسب للتدخل فى حياة طفلك الاجتماعية وذلك لوجود العديد من المتغيرات غير الملموسة ، فهناك الحقائق المادية وهناك تكهناتك وتحيزاتك ورغبتك فى حماية طفلك ، هذا بالإضافة إلى أنانيتك . هل يبدو الأمر مربكاً ؟ نعم إنه كذلك .

إليك تلك القواعد الأربع التى سوف تضعك على المسار الصحيح :

أولاً : اسمح لطفلك المراهق بارتكاب الأخطاء . ولا تنس أنه لا يمكن أن ينضج الأطفال دون أن تغفر لهم خطاياهم .

إن المراهقة هى المرحلة التى يبدأ فيها الأطفال الانفتاح على المجتمع . ولابد أن نتقبل أنهم قد يقومون بخيارات اجتماعية لا تحوز على رضانا . وفى بعض الحالات ، قد يكون حتى من الأفضل أن تترك طفلك يتخذ قرارات اجتماعية تعلم جيداً أنها لن تكون فى صالحه . فأنا أومن بشدة بالقول الشائع الذى يؤكد أن أكثر دروس الحياة قيمة هى التى نتعلمها بعد معاناة .

ثانياً ، اطلب من طفلك تحمل مسئولية تصرفاته ، ولا تحاول حتى أن تلمح أمام طفلك بأن المرء من الممكن أن يخطئ لأن أحدهم قد أثر فيه سلباً . والأطفال لن يتحملوا مسئولية تصرفاتهم إلا إذا ألقى آباؤهم على عاتقهم تلك المسئولية بغض النظر عما دفعهم إلى ارتكاب هذا الخطأ .

ثالثاً ، لا تجبر طفلك أو تخدعه حتى يختار أصدقاءً بعينهم . فدائماً ما ينتهى ذلك الأمر نهاية مأساوية (وإن أردت التأكد من هذا فقط اقرأ مسرحية " روميو وجوليت " للكاتب " ويليام شكسبير ") . فهذا من شأنه أن يجعل طفلك يثور ويتمسك أكثر بالأصدقاء الذين اختارهم لنفسه .

وأخيراً ، لا توقع عقاباً على طفلك إلا حينما تكـون مضـطراً لـذلك حفاظـاً على سلامته وصالحه العام . وعليك دوماً أن تتحلـى بالصـبر ، فهنـاك العديـد من المشكلات التى يعمل الوقت فقط على إذابتها .

٢٣ أبريل

دعنا نفترض أن طفلك تلميذ الصف الثانى الابتدائى قد أجرى استفتاءً داخل فصله اكتشف على إثره أنه الوحيد الذى يخلد إلى الفراش فى مثل هذا الوقت المبكر ـ فى الثامنة والنصف ـ فيعود إلى المنزل ويسألك عن سبب ضرورة خلوده للفراش فى مثل هذا الوقت المبكر للغاية . فإن كنت مثل معظم الآباء فسوف تحاول أن تقنعه بفكرة : إن الخلود إلى الفراش فى الثامنة والنصف سيحقق له الكثير من الفوائد . وكما يعرف رجال المبيعات ، فلكى تبيع شيئاً ما لأحد الأشخاص فلابد أن تسرد له فوائد هذا الشىء لكى يقتنع بشرائه ، فإن اتبعت ذلك فسوف تقول لطفلك : " حسناً ، أعلم أنك تعتقد أن هذا الموعد مبكر للغاية ، ولكنك عندما تسهر إلى ما بعد الثامنة والنصف ، تجد صعوبة فى الاستيقاظ مبكراً للذهاب إلى المدرسة ، ولن تشعر برغبة فى تناول طعام إفطارك ، وبالتالى تذهب إلى المدرسة دون تغذية سليمة ، وحينها سوف أتلقى إخطاراً من معلمتك فحواه أنك لم تقم بواجبك أو لم تكن منتبهاً أو شىء من قبيل ذلك . لذا يا أغلى ما لدىّ فى الوجود فإننى أضعك فى الفراش فى الثامنة والنصف من أجل مصلحتك أنت فقط " .

كفاك خداعاً ! فأنت لا تضع أغلى ما لديك فى الوجود فى الفراش فى الثامنة والنصف لأنه بحاجة لنيل قسط وافر من النوم ، بل إنك تضعه فى الفراش فى الثامنة والنصف لأنك تريده أن ينام . فعندما تشير عقارب الساعة إلى الثامنة والنصف تكون قد مللت كونك أباً . فمما لا شك فيه أنك لو أخرت موعد نومه قليلاً ليصبح التاسعة والنصف بدلاً من الثامنة والنصف سوف ينجح طفلك فى التكيف خلال أسبوع وبالطبع لن يتأثر لذلك أداؤه المدرسى على المدى الطويل . ماذا إذن ؟ هل لأنك تريد من طفلك أن ينام فى الثامنة والنصف لابد أن ينام فى الثامنة والنصف ؟ الحقيقة هى أن طفلك يخلد للفراش فى موعد مبكر تحقيقاً لصالحك أنت ، فقط لأنك قلت هذا !

٢٤ أبريل

منذ عدة أشهر مضت اقتربت منى إحدى الأمهات بعدما انتهيت من إحدى ندواتى فى " فلوريدا " . لقد كانت تشعر بالقلق ـ كما صرحت لى ـ لأن ابنتها البالغة من العمر أحد عشر عاماً سعيدة دائماً . هذا ما قالته ! فيبدو أنه لا يوجد ما يزعج هذه الفتاة الصغيرة . فقد كانت فتاة منطلقة تبتعد عن المشكلات وتلقى بأية هموم وراء ظهرها . ولكن بدا ذلك غير طبيعى بالنسبة للأم ، فقد كانت تخشى أن تكون ابنتها عاجزة عن " التعبير عن مشاعرها الحقيقية " ، وواصلت إبداء مخاوفها من أن ابنتها قد تكون : (١) فسرت شيئاً ما قاله أو قام به والداها على أنه يعنى أن المشاعر السلبية هى أحد الأمور المحرمة على هذه الأسرة ، (٢) شعرت بأنها مسئولة عن إسعاد جميع أفراد الإسرة ، (٣) فى حالة من الإنكار لشىء ما أو عدة أشياء تؤرقها بالفعل ، (٤) كل ما سبق .

قد يشكك بعضكم فى القوى العقلية لهذه الأم ، أو قد تظنون ـ فى أفضل الأحوال ـ أنها سخيفة ، ولكنى لا أعتقد ذلك . فأنا أعتقد أن مخاوفها تلك ما هى إلا انعكاس للأثر الذى تركته " نصائح الخبراء " على الآباء ـ على الأقل هؤلاء الذين يحرصون على اتباعها . إن مخاوفها تلك إنما تنم عن أمر خطير ؛ وهو كيف يمكن للآباء أن يتبنوا وجهة نظر عقلانية ومنطقية تجاه أبنائهم فى حين أنهم يرضخون تحت وطأة مفاهيم سخيفة تثير المخاوف بشأن الأطفال والطفولة والتربية أطلق لها العنان مجتمع المتخصصين على مدار الثلاثين عاماً المنصرمة تقريباً . لقد قامت تلك المفاهيم بتعتيم عملية تربية الأطفال بدلاً من توضيحها ، فأبدلت حقائق التربية البسيطة بأساطير لا أساس لها من الصحة ، كما قامت بالتقليل من شأن الأسرة التقليدية وتماسكها ومبادئها . ولكن الأسوأ من كل هذا أنها حرمت العديد من الأطفال من آباء ذوى عقل راجح يستطيعون رؤية الصورة الكاملة بوضوح ويمتلكون ثقة فى أنفسهم . قد لا تكون هناك علاقة بين كل ما قلته وتلك الفتاة الصغيرة ذات الأحد عشر ربيعاً التى تقطن " فلوريدا " ، ولكنه وثيق الصلة بجميع الأطفال بوجه عام .

٢٥ أبريل

سؤال : كيف يجب أن يقضى المراهقون أوقات فراغهم ؟

إجابة : لا توجد طريقة محددة ، ولكن " العديد من الأشياء المتنوعة " هى على الأرجح الإجابة الأقرب لهذا السؤال . فمما لا شك فيه أن انشغال المراهق بالقيام بشىء واحد فقط مثل الاستماع إلى موسيقى " الروك آند رول " أو التجول بداخل المحال التجارية أو أداء الواجبات يعد أمراً مثيراً للقلق . فالمراهقون من أصحاب العقول الراجحة سوف يقسمون وقتهم فيما بين العديد من الأنشطة والهوايات . فالمراهقون الأكثر ذكاء هم من ينجحون فى تحقيق توازن بين الأنشطة التى يشرف عليها الكبار (رياضات الأندية ، وفرق الكشافة ، والمجموعات الدينية) وتلك التى يشتركون فيها مع أصدقائهم فقط (الذهاب إلى السينما والحفلات وألعاب الكرة) والأنشطة الفردية (كالهوايات والقراءة والاستماع إلى الموسيقى) .

سؤال : نريد منك أن تفيدنا إن كان من المقبول أن نسمح لأبنائنا المراهقين بالقيام بأنشطة " غير مثمرة " من حين لآخر مثل التجول داخل المراكز التجارية أو القيام بجولة بالسيارة ؟

إجابة : لا يجب أن تمثل مثل هذه الأمور مكانه قصوى بمثل ما هى عليه الآن ، ولكن المراهق يستخدم واحداً أو اثنين من هذه الأنشطة ليشغل وقت فراغه . إن الأنشطة التى لا غاية منها أو لا هدف لها لا تسبب ضرراً بالضرورة ، ولكن مثل تلك الأنشطة لابد ألا تستغرق سوى وقت ضئيل للغاية من وقت فراغ المراهق . فإن أصبحت كل أنشطة الطفل بدون هدف فسوف يتسلل الملل إلى نفسه ، والملل خلال مرحلة المراهقة قد يؤدى إلى كل أنواع المشكلات بما فيها الإدمان . لذا فإن لاحظت أن طفلك المراهق قد بدأت تظهر عليه علامات الملل فلابد أن تنصحه بالالتحاق ببعض الأنشطة الاستجمامية المثمرة .

٢٦ أبريل

إذا ما اعتقد الآباء أن مشاهدة التلفاز تعد إحدى الطرق الجيدة لشغل وقت الطفل ، فهم مخطئون . فكثرة مشاهدة التلفاز ومتابعة برامجه تجعل الطفل يعتمد عليه كل الاعتماد كمصدر رئيسى لشغل وقته وتسليته ، ومثل هذا الاعتماد على التلفاز لتضييع الوقت من شأنه أن يقوض مقدرة الطفل على الاعتماد على نفسه . والطفل الصغير الذى يعتمد على التلفاز لشغل وقته سوف يبحث عن شىء آخر لملء وقت فراغه حينما لا يجد ما يرضيه بالشاشة الصغيرة . وهو سينقل تركيزه إلى أقرب شىء أو شخص متاح أمامه ، وبالطبع فإن الأم عادة ما تكون فى أعلى قائمة الاختيارات .

وسرعان ما يجد الطفل نفسه داخل دائرة مفرغة . فكلما زادت مشاهدة الطفل للتلفاز ، عمل التلفاز على تقويض قدراته الإبداعية والخيالية والبديهية . فهو بدلاً من أن يجد ما يشغله عندما يعجز التلفاز عن إرضائه يبحث عن والدته ويطالبها بأن تحل محل التلفاز . فهو يشكو إليها من ملله ويستجديها لتجد له ما يشغله ويطلب منها أن تكون رفيقته فى اللعب . ولأن الأم تخشى أن يفسر طفلها رفضها الحاسم لطلباته على أنه رفض له شخصياً ، فإنها تستجيب له . ولكن عندما تكتشف الأم أن طفلها لا يكف عن ملاحقتها تبدأ فى البحث عن أعذار لتدعه يشاهد التلفاز .

وفى خلال فترة وجيزة يدمن الطفل مشاهدة التلفاز وتدمن الأم عادة تركه يشاهده .

٢٧ أبريل

لكى نوضح أهمية الحزم ، دعونا نتأمل وظيفة حكم رياضة كرة السلة : إن مهمة هذا الحكم هى ببساطة التأكد من أن اللاعبين يتقيدون بجميع قواعد اللعبة ، وهو يقوم بمهمته تلك بحزم ودون تردد . فتخيل الفوضى التى كانت ستسود الملعب إن قام الحكم فى كل مرة يكسر فيها أحد اللاعبين القواعد بالتذمر والتهديد ومنح فرص ثانية والتنفيث عن إحباطه باستخدام أسلوب السب .

إن هذا الوصف ينطبق تماماً ـ وأنا أشعر بالأسف لقولى هذا ـ على طريقة التهذيب التى يستخدمها معظم الأسر بوجه عام . فالأطفال يكسرون القواعد ويضربون بها عرض الحائط وكل ما يقوم به الآباء هو أنهم يهددون ويثورون ويتوسلون ويشكون مما يجعل الإحباط يتمكن منهم فى نهاية الأمر . وأخيراً يخضع الأطفال على مضض وهم ساخطون . ويسود الهدوء لبرهة . ولكن سرعان ما يخرج الأطفال من مخبئهم وتعم الفوضى من جديد .

إن الآباء الذين يتوقعون انصياع أطفالهم لأوامرهم ينجحون في تربية هؤلاء الأطفال بحزم ودون تردد ودون أن تغلبهم عواطفهم ، تماماً مثل الحكم الجيد . وبالتالى ، لا يمثل لهم التهذيب مطلقاً " قضية كبرى " ، أو شيئاً يتعثرون فيه دوماً . إن التهذيب الحازم عادة ما يخلق بأى منزل جواً من الهدوء ويجعل الجميع يعرفون وضعهم تماماً داخل الأسرة ، الأمر الذى من شأنه أن يجعل حياة الجميع أكثر بساطة ـ كما ينبغى لها أن تكون .

٢٨ أبريل

قد يجوب فى ذهنك هذا السؤال : " كيف أجعل طفلى ينتبه لى دوماً ؟ "

سؤال وجيه ! الإجابة : تظاهر دائماً بأنك تعرف ما تفعله .

هذا صحيح ، فقط تظاهر . فرغم كل شيء ، أنت لا تستطيع أن تكون واثقاً على الدوام مما تفعله . فى الحقيقة ، بإمكانك فقط أن تكون واثقاً مائة بالمائة مما تفعله إن كنت تمتلك المقدرة على التنبؤ بالمستقبل بدقة متناهية ، وبالطبع أنت لا تملك مثل هذه المقدرة . ولابد أن يتبع رئيس الولايات المتحدة نفس هذه السياسة أيضاً ، فإن أراد أن يترأس شعبه بفاعلية فلابد له من القيام بذلك . فالرئيس هو مجرد بشر ، لذا فهو لا يستطيع معرفة كل جوانب أى قضية تتعرض لها البلاد ولا يستطيع كذلك التنبؤ بالمستقبل . لذا فلابد للرئيس أن يأمل دوماً أنه قد اتخذ ـ إن لم يكن أفضل قرار ممكن ـ قراراً معقولاً . وبغض النظر عن كل ذلك ، فيجب أن يتظاهر الرئيس دوماً بأنه يتخذ أى قرار بثقة كاملة وأنه مدرك تماماً لعواقبه . وإن نجح الرئيس فى تمثيل هذا الدور بإتقان شديد فسوف يثق معظم الشعب الأمريكى فى قراراته وسوف يقبلون زعامته حتى وإن كانوا غير متفقين معه فى كل ما يقوم به .

وكل ما سبق ينسحب كذلك على الآباء وعلاقتهم بأبنائهم . إن الآباء بشر وبالتالى فهم لا يستطيعون أن يكونوا دوماً على ثقة مما يفعلونه ، ولذلك عليهم **التظاهر** بأنهم يمتلكون هذه الثقة . فالتربية ما هى إلى مسرحية والآباء المحترفون هم من يستطيعون تمثيل أدوارهم بطريقة صحيحة . فمثل هؤلاء الآباء ينجحون فى كسب ثقة أطفالهم . فحيث إنهم يستطيعون الاستحواذ على انتباه أطفالهم بسهولة ، يتقبل أطفالهم زعامتهم . وهؤلاء الأطفال هم من نطلق عليهم عبارة " أطفال مهذبين " . وبالمثل ، فإن الآباء المترددين أو غير الحاسمين يعجزون عن الاستحواذ على انتباه أطفالهم ، وبالتالى لا يتقبل هؤلاء الأطفال زعامتهم . إليك الخلاصة عزيزى القارئ : لا تعتقد أن سلوكيات الطفل السيئة ترجع لعيب أو خلل فى شخصية الطفل نفسه ـ وإنما فى شخصيتك أنت .

٢٩ أبريل

إن الآباء الذين ينحنون دوماً أمام أبنائهم يسقطون فى النهاية على وجوههم . والآباء الذين يغيرون دوماً مسارهم إرضاء لأطفالهم ينحرفون فى النهاية عن المسار الصحيح . أما الآباء الذين يضعون دوماً أبناءهم أعلى قائمة أولوياتهم فلا يجب أن يندهشوا إن وجدوا أن أبناءهم قد وضعوهم فى النهاية فى أسفل قائمة أولوياتهم .

٣٠ أبريل

إليك تلك الحقائق :

- ليس بإمكانك أن تتدخل دوماً فى حياة طفلك ، وتتوقع منه أن ينجح بعد ذلك فى حل مشكلاته الخاصة عندما يكبر (وهل تخلو الحياة منها ؟) .
- ليس بإمكانك أن تسعى دوماً لتحقيق السعادة لطفلك ، وتتوقع بعد ذلك أن ينجح هو فى تحقيقها وحده عندما يكبر . نعم إن تربية الأطفال قد لا تكون بالشىء العسير إلا أنها تتطلب منك استخدام بعض الشدة مع أطفالك .

الخلاصة : إن إتاحة الطفل الفرصة للاستكشاف ـ عن طريق تلبية الأبوين جميع احتياجات الطفل مع تجاهل معظم رغباته ـ تنمى بداخله مهارات الاعتماد على الذات والتى تعد الأساس الحقيقى للثقة فى النفس ، تلك الثقة التى سوف تؤهل الطفل بعد ذلك للنجاح فى الوقت الذى يفشل فيه الكثيرون لافتقارهم إلى سعة الحيلة والثقة بالنفس . لا يمكن أن يكون الأمر أبسط من ذلك .

١ مايو

عندما اشترت أمى كتـاب " Pocket Book of Baby and Child Care " لمؤلفه دكتور " بنجامين سـبوك " ، كـان حينهـا الكتـاب الوحيـد المتـوافر فـى الأسواق ـ بجانـب كتـاب آخـر ـ عـن تربيـة الأطفـال . أمـا الآن فتوجـد آلاف الكتب التى تناقش نفس الموضوع ـ ونحن فى انتظار المزيد . الآن دعونى أطـرح هذا السؤال : هـل هنـاك أى دليـل ملمـوس علـى أن الآبـاء اليـوم ـ حتـى لـو اقتصرنا الحديث على هؤلاء الذين يستهلكون نصائح الخبراء ـ يربـون أطفـالهم على نحو أفضل مما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا ؟

لا أعتقد ذلك . فـى الحقيقـة ، لقـد طرحـت هـذا السـؤال فـى الكـثير مـن ندواتى ولم أحصل قط على " نعم " كرد . وعندما أطرح هذا السـؤال بعـد ذلـك " هل هناك دليل ملموس علـى أن النصـائح النفسـية الخاصـة بتربيـة الأطفـال أدت إلى نتائج عكسـية ؟ " أجـد رؤوس الحاضـرين تتحـرك يمينـاً وشمـالاً ثـم أسمعهم يصيحون " نعم ! " . إننى أقدر حقـاً للأطبـاء النفسـيين رغبـتهم فـى الإيمان بأنهم المبعوثون الأكاديميون بطـرق التربيـة الحديثـة ، ولكـن مـا بـدأت ألحظه هو أن الآباء الآن قد بدأوا يديرون ظهورهم لتلك النصائح . مرحى !

٢ مايو

إن هناك وسيلتين مختلفتين تماماً يحاول من خلالهما الآباء الإمساك بزمام حياة أطفالهم . الوسيلة الأولى هى أن تتمسك بحقك الشرعى كوالد وتقلد نفسك زعيماً . وفى هذه الحالة سوف ينصاع طفلك لأوامرك ويصبح " تابعاً " لك بكل ما تحمله تلك الكلمة من معان ، وهكذا لن تجد مشقة فى تهذيبك لطفلك ولن تصبح علاقتك به متوترة . أما الوسيلة الثانية التى يحاول من خلالها الآباء الإمساك بزمام حياة أطفالهم فهى عن طريق التدخل السافر فى حياتهم . وفى هذه الحالة لا يجد الأطفال سبباً للانصياع لأوامر آبائهم ، بل يكون لهم كل الحق فى السكون وانتظار أن يأتى دوماً آباؤهم ليحلوا لهم مشكلاتهم . وفى النهاية يصبح هؤلاء الأطفال كثيرى الطلبات والانتحاب ومشاكسين ومزعجين ، الأمر الذى لا يرضى الآباء بالطبع حيث إنهم يعتقدون أنهم هم من يمسكون بزمام حياة أطفالهم .

٣ مايو

ذات يوم غير بعيد كانت قيم التربية الثلاث ـ الاحترام وتحمل المسئولية وسعة الحيلة ـ هى أساس التربية السليمة . فلم تكن الدرجات التى يحرزها الأبناء فى المدرسة هى مقياس الأبوة الحقيقية . فكان لا يخفى على أحد أن الطفل الذى يتحلى بتلك السمات يكون صاحب أفضل أداء فى المدرسة ، وكان هذا هو بيت القصيد ، فلم يكن يلتفت أحد إلى هذا الذى يبذل مجهوداً مضنياً فى التنقل بأطفاله طوال اليوم بين نشاط وآخر . فى الحقيقة لم يكن من المفترض بالنسبة للآباء القيام بمثل هذه الأمور . فما كان يحدث هو الآتى : يعود الأطفال إلى المنزل من المدرسة ويبدلون ملابسهم ويبحثون لهم عن شىء يقومون به . ولم يكن هناك من يرى إلى أى مدى يتدخل الآباء فى واجبات أبنائهم . فكان الأطفال هم من يقومون بأداء واجباتهم بأنفسهم ، ويبحثون عما يفعلونه بعد اليوم الدراسى ، ويحلون مشكلاتهم بأنفسهم ، ويتحملون مسئولية أفعالهم ، ويلعبون باللعب التى صنعوها ، وهكذا . وكان يتم انتقاد الآباء فقط إن لم تتوافر فى أبنائهم القيم الثلاث سالفة الذكر . وعندما كان ينجح أحد الآباء أمام الآخرين فى غرس قدر معقول من تلك القيم الثلاثة فى أطفاله ـ والنجاح فى هذا الأمر كان يصبح متجلياً للجميع ـ كان ينظر بعين التقدير إلى مهاراته فى تربية الأطفال . فكان أصدقاؤه وجيرانه يعلقون دوماً بأنه " قد أبلى بلاء حسناً فى تربية أطفاله " . وسواء أصبح طفله هذا فيما بعد طبيباً أو حاجباً فلا يكون ذلك إلا لأن مهاراته فى تربية طفله قد جعلت من هذا الطفل مواطناً صالحاً بغض النظر عن الطريق الذى اختار أن يسلكه .

٤ مايو

ينبغى أن يلتزم الآباء بتربية أبنائهم حتى يتعلموا ـ تدريجياً ولكن بثبات ـ كيف يتعاملون بنجاح مع بعض الحقائق الخاصة بالإحباط :

- الحقيقة الأولى : الإحباط جزء لا يتجزأ من حياتنا ، فنحن لا نصاب بالإحباط فقط نتيجة لعجزنا عن القيام بأمور معينة ، ولكن لعجز الآخرين كذلك عن القيام بأمور بعينها ونتيجة للظروف التى لا قبل لنا بها .
- الحقيقة الثانية : نتيجة لكثرة التعرض للمواقف المحبطة يكتسب المرء مناعة ضد الإحباط . وهؤلاء الذين يكتسبون تلك المناعة ينجحون دوماً فى تحويل المحن التى يواجهونها إلى تحديات ويستطيعون المثابرة فى وجهها .
- الحقيقة الثالثة : المثابرة ، فهذا الشعار " إن فشلت مرة ، فحاول وحاول وحاول مرة أخرى " هو السر وراء كل قصة نجاح .

لاحظ أن تحقيق ما سبق لا يتعارض مع الإحباط وإنما يتماشى معه .
الخلاصة : إن أردت لأطفالك النجاح فى دراستهم ، لعبهم ، علاقتهم بالآخرين ، مشاعرهم إزاء أنفسهم ، فلابد لك أن تصيبهم بالإحباط . وإن لم تكن تفعل ذلك بالفعل ، فعليك أن تبدأ فى إعطاء طفلك جرعات من فيتامين " لا " التى تعد أكثر الكلمات المكونة من حرفين أهمية لبناء شخصية الطفل .

٥ مايو

إن التربية المحافظة لا تعنى بأية حال من الأحوال فرض الكثير من القواعد والقيود والجزاءات .

إن الوالد المحافظ هو ذلك الذى يؤمن بمقدرة طفله علي كبح جماح نفسه ، لكنه هو ذلك الذى يدرك أيضاً أن الطفل يحتاج " تدريباً " طوال مدة معينة قبل أن تنضج مثل هذه المقدرة . وفى خلال هذه الفترة التدريبية ، يتعرف الطفل على توقعات والده منه . وبمجرد أن يتعرف عليها يسلمه والداه حبلاً طويلاً يعى الطفل دوماً أنه من الأحرى به ألا يجذب طرفه بشدة .

إن الليبراليين ـ وليس المحافظين ـ هم من يؤمنون بأهمية النظام والإصلاح الاجتماعى ، أما المحافظون على الجانب الآخر فلا يؤمنون بمثل هذه المبادئ . إذا انتقلنا بهذه المبادئ إلى موضوعنا ، فسيكون الوالد الليبرالى هو ذلك الذى يؤمن بأنه كلما زادت القواعد وأساليب التهذيب والتدخل فى حياة الطفل ، كان ذلك أفضل . وعلى النقيض من ذلك ، فإن الآباء المحافظين هم من يستخدمون تلك الأساليب باعتدال .

فى مجال إدارة الأعمال ، يسمى هذا الأسلوب بـ " إدارة الموظفين لأنفسهم " ، وأنا أطلق عليه فى مجال التربية " إدارة الأطفال لأنفسهم " . فكنت أنا وزوجتى عادة ما نقول لأطفالنا : " أرجوكم لا ترغمونا على ممارسة دور الآباء معكم " . وكنا نعنى بذلك أنه لو استطاع أطفالنا كبح جماح أنفسهم فى المنزل والمدرسة والمجتمع ، فإننا لن نضيق عليهم الخناق .

لقد تمتع أطفالنا بكثير من الحرية ، بل إنهم ببلوغ سن السادسة عشرة كانوا يتمتعون بحرية لم ينعم بها أى من أقرانهم . لكن أمام تلك الحرية كانوا يتحملون قدراً مساوياً من المسئولية . ففى سن الخامسة عشرة على سبيل المثال حدد كل واحد من أطفالنا موعد عودته إلى المنزل بنفسه . فإن أكد أحدهم مثلاً أن موعد عودته للمنزل سيكون دائماً فى تمام الواحدة بعد منتصف الليل ، فكنا نتوقع منه التواجد بالمنزل عند هذا الموعد ، وأنا لا أتذكر أن أياً من أطفالنا قد خذلنا فى هذا الشأن . وبهذه الطرق وطرق أخرى كثيرة ، استطعنا الانتقال من القواعد إلى الالتزامات ، ومن تطبيق سياسة مشددة إلى الثقة .

٦ مايو

فى الزيجة الثانية عادة ما يستمر الجميع فى التشبث بالعادات القديمة والتى تكون للأسف قد أصبحت بالية . فتجد الأم صعوبة فى تقسيم وقتها بين أطفالها الذين كانوا يحتلونه كله فيما سبق وبين زوجها الجديد ، وكنتيجة لهذا يشعر زوج الأم بالغربة وسط هذه الأسرة الجديدة .

وما يزيد الأمور سوءاً هو أن حاجة الزوج إلى الانتقال من كونه مجرد " صديق " للأبناء إلى أب لهم تصيب الجميع بالقلق والارتباك وحتى الغضب . فيحاول الزوج تهذيب الأطفال ، فما يكون منهم إلا اللجوء إلى أمهم ليشكوا لها أن زوجها " كريه " حقاً . والأم بدورها تعمد إلى حماية أطفالها فتتهم زوجها بالمبالغة فى رد الفعل أو أنه يغار من أبنائها . وهكذا يظل الجميع يدور داخل دائرة مفرغة لا يعرف أحد كيف يخرج منها . وفى رأيى أن هذا هو السبب فى أن فرص الزيجات الثانية فى النجاح ـ خاصة فى وجود أطفال ـ تقل كثيراً عن فرص الزيجات الأولى .

ولكن يمكن تجنب كل هذه المشكلات أو على الأقل التخفيف من وطأتها وذلك إن وضع هؤلاء الذين يخططون للزواج مرة أخرى شيئين فى اعتبارهم :

أولاً ، يجب التركيز على الزواج كأهم علاقة داخل الأسرة ، كما نفعل دوماً فى الأحوال العادية .

ثانياً ، لابد أن يكون لزوج الأم (أو زوجة الأب) نفس سلطة الأب الحقيقى على الأبناء . وهذا يعنى بالطبع استعداد الوالد الحقيقى لمشاركة سلطته مناصفة مع شريكه الجديد .

أخيراً ، تذكر دوماً أن الوقاية خير من العلاج . لذا تنبأ بوقوع هذه المشكلات وتناقش مع زوجتك فيما ستفعله لتجنب تلك المشكلات وكيف ستتعامل معها إن وقعت بالفعل .

٧ مايو

لا يحتاج الأطفال إلى الكثير من انتباهك . دعنى أساعدك على هضم هذه المعلومة الصغيرة بالتحدث قليلاً عن الأطفال والطعام :

إن الأطفال يحتاجون للطعام ، ولكن ليس إلى الكثير منه . وإذا أصررت أنت على إطعام طفلك كمية من الطعام أكثر من تلك التى يحتاجها فسوف تتولد لديه رغبة فى تناول كميات زائدة من الطعام . وإن واصلت أنت تغذية تلك الرغبة فسوف تتحول إلى شره يفسد على الطفل حياته بعد ذلك ، وسوف ينمو كذلك داخل الطفل إحساس متزايد بأن شعوره بالأمان يعتمد بشكل كلي على تناوله كميات كبيرة من الطعام . وفى النهاية سوف يصبح الطفل مدمناً للطعام وسوف يكون هذا الإدمان بمثابة حجر عثرة فى طريق الطفل مما يحول دون بنائه لأية ثقة فى نفسه .

الآن أعد قراءة الفقرة السابقة على أن تستبدل بكلمة " طعام " كلمة " انتباه " . هيا قم بذلك الآن وسوف أنتظرك .

هل انتهيت ؟ الأمر واضح ، أليس كذلك ؟ لقد رأيت بنفسك أنه من السخيف أن يحظى الطفل بكثير من الانتباه تماماً كما أنه من السخيف أن يتناول الكثير من الطعام . فتولية الطفل الكثير من الانتباه مدمر تماماً شأنه فى ذلك شأن تناوله الكثير من الطعام . ولا شك أنها جزء من مسئوليتك كوالد أن تضع حداً لكميات الطعام التي يستهلكها طفلك . ومن هذا المنطلق ، فإنها مسئوليتك كذلك أن تضع حداً لكم الانتباه الذى توليه لطفلك .

٨ مايو

اسمح لى بأن أعرض عليك تلك الخرافة الهزلية التى انتشرت فى وسط المتخصصين النفسيين منذ بضع سنوات مضت . وإننى أتحدث عن الاعتقاد السائد بأن اعتقال الطفل داخل غرفته ، أو وضعه فى فراشه مبكراً يولد داخل الطفل " مشاعر سلبية " إزاء غرفته وفراشه ، ونتيجة لهذا تبدأ الكوابيس تراود الطفل ويصاب بكل أمراض اهتزاز الثقة بالنفس . لكن دعنى أؤكد لك أنه لا يوجد أى دليل يثبت صحة تلك الخرافة السخيفة ، بل إنها مجرد مثال على الأفكار غير العلمية التى يروج لها متخصصو الصحة الذهنية . بيد أنها تعد كذلك دليلاً دامغاً على مدى الشعبية التى يحظى بها الآن هؤلاء المتخصصون ؛ فهم حتى عندما يروجون لمثل هذه الأفكار السخيفة يجدون من يأخذها على محمل الجد .

٩ مايو

يستطيع الأطفال ذوو الثلاثة أعوام الاشتراك فى الأنشطة الجماعية وتبادل الأدوار مع أقرانهم ، ولكن مهارتهم فى المشاركة التلقائية مازالت غير ناضجة بعد . وبالنسبة لبعض الأطفال فى سن الثالثة فإنه حتى حثهم على تبادل الأدوار يمثل مشكلة كبرى . ومساعدة الطفل البالغ من العمر ثلاثة أعوام (أو حتى عامين) على تخطى تلك العقبة لا تتطلب أكثر من شرائك لميقاتى مطبخ واتباعك لبعض الحزم ولكن مع عدم تخليك عن حنوك وعطفك .

لنفترض مثلاً أن هناك طفلين يلعبان معاً ولكنهما يلاقيان صعوبة فى مشاركة لعبة معينة تبدو شيقة لكليهما . فإن كنت تمسك بالميقاتى فى يدك فتستطيع أن تقول حينها : " سوف أستخدم هذا الميقاتى لمساعدتكما على المشاركة فى هذه اللعبة . سوف أضبط الميقاتى الآن (لمدة ثلاث دقائق مبدئياً وبإمكانك زيادة الوقت بعض ذلك) . بإمكانك يا " بيلى " أن تلعب باللعبة حتى يدق جرس الميقاتى ، وحينها سوف أضبطه ثانية ويلعب " روبى " بها حتى يدق الجرس ، وهكذا " .

إن تلك التقنية البسيطة سوف تجعل الطفلين يتفهمان معنى المشاركة وتبادل الأدوار . وفى أغلب الأحيان ، لن يشعر الأطفال برغبة فى تبادل اللعبة محل النزاع بعد أن تكون قد تناولتها أيديهم عدة مرات (إلى أن ينشب نزاع آخر حول لعبة أخرى) .

١٠ مايو

دعنا نفترض أنك قد بدأت تهمل فى عملك وتصدر عنك سلوكيات غير مقبولة ، فأصبحت تذهب إلى عملك متأخراً وتغادر مكتبك عدة مرات وتؤجل المهام التى يجب عليك أن تنجزها . هل عندما يمل رئيسك فى العمل فى النهاية من تصرفاتك تلك يقول لك : " حسناً ، حسناً ، سوف أخبرك بما سوف أفعله : إن أنجزت المهام التى من المفترض لك إنجازها فى هذا الأسبوع ، وأنجزتها بإتقان ، فسوف آخذك وأشترى لك سيارة جديدة ! " ؟ لا أعتقد ذلك ، فالأرجح أنه سيستدعيك إلى مكتبه ويقول لك : " لقد نفد صبرى معك ولم أعد أستطيع تحمل تصرفاتك بعد الآن . إن هذا إخطار رسمى بذلك ، والذى يعنى أنه إن تكررت أفعالك تلك فسوف أضطر إلى فصلك " .

بمعنى آخر ، لقد هددك بقطع مصدر كسب عيشك . وما من شك أن الجميع يحرصون على الحفاظ بل وتحسين هذا المصدر . فأنت بمجرد أن تصبح معتاداً على مستوى معيشى معين تأبى أن تخسره أو تفقده بأية حال من الأحوال . وهكذا هى الحال مع الأطفال أيضاً . فهم يحرصون على الحفاظ على نمط الحياة الذى يعيشونه . ويتمثل المستوى المعيشى بالنسبة للكبار فى السلطة والجاه ، أما بالنسبة للأطفال فهو المزايا ـ كعدد مرات السماح لهم بالخروج من المنزل ، وإلى أى مدى يمكن تركهم دون رقابة ، وعدد زيارات أصدقائهم لهم ، وعدد ساعات مشاهدة التلفاز ، وإلى أى وقت يستطيعون السهر ليلاً .

ومبدأ الأب الروحى سوف يساعدك كثيراً على النجاح فى تهديد استقرار المستوى المعيشى لطفلك . فكما قال الفيلسوف الصقلى " دون كورليونى " ذات مرة عن كيفية حث شخص ما على القيام بما ينبغى عليه القيام به : " لابد لك أن تقدم له عرضاً يعجز عن رفضه " . ربما أكون قد جعلت عبارة الأب الروحى تبدو سخيفة ، ولكنها ليست كذلك فى الحقيقة ، إنها ببساطة إحدى طرق التواصل الفعالة فى عالمنا الحقيقى . وإن كانت مهمتنا نحن الكبار أن نسلح أطفالنا بالمهارات الضرورية للتفاوض الناجح فى الحياة الواقعية ، فإنها مهمتنا أيضاً أن نصف لهم العالم من حولهم بمصطلحات دقيقة .

١١ مايو

إن " الأم المثالية " اليوم هى من تلقى مزيداً من الاهتمام لأطفالها وتقوم بالعديد من الأشياء من أجلهم وتتدخل فى كل ما يفعلونه . لقد أصبح هذا هو المعيار الجديد للأمومة ، والذى أصبحت الأمهات تتنافس من أجله : " الأم الأكثر انشغالاً هى الأفضل وتستحق جائزة " . فإن كانت السيدة " جونز " تُقل أطفالها بالسيارة طوال أيام الأسبوع إلى أنشطة ما بعد اليوم الدراسى وأيام الآحاد كذلك ، والسيدة " سميث " لا تُقل أطفالها إلى تلك الأنشطة إلا ثلاث مرات أسبوعياً ، فلابد أن تبذل السيدة " سميث " جهداً لكى تبارى السيدة " جونز " ، حيث تعد الأخيرة أماً أفضل منها .

إن أمهات اليوم يعتقدن أنهن لا يمتلكن الحق فى أن يطلبن من أبنائهن الابتعاد عنهن ولو قليلاً ، فهن يعتقدن أن مهمتهن فى الحياة هى تكريس أنفسهن بالكامل لأبنائهن . وللأسف ، فإن الأطفال لا يستوعبون مفهوم الأخذ والعطاء كلية ، بل إنك لو سمحت لهم فسوف يأخذون فقط . لذا فكلما أعطت الأم ، طالبها أطفالها بالمزيد لأسباب تافهة وغريبة . وفى النهاية حينما تفقد الأم صبرها تغضب وتثور ، وبعد ذلك تشعر بالذنب . والطريقة الوحيدة التى تكفر بها عن ذنبها بالطبع هى أن تجزل فى العطاء مرة أخرى . إن أمهات اليوم أصبحن يخشين البوح لأطفالهن بأنهم يطالبونهن بأن يَكنَّ لهم أكثر من مجرد أمهات . فمن المطلوب من الأمهات فى وقتنا الحالى أن يعلقن لافتة تحمل هذا الكلام : " أنا أمك ، كيف أستطيع أن أخدمك ؟ " كما أصبح المطلوب من الأمهات التدخل السافر فى حياة أبنائهن ! لقد أصبح هذا هو شعار التربية اليوم : تدخلى فى جميع أنشطة طفلك التالية لليوم الدراسى ، تدخلى فى واجباتهم المدرسية ، تدخلى فى علاقتهم بأصدقائهم والأشياء التى يحبون القيام بها ، تدخلى فى أنشطتهم الرياضية ، ابحثى عن هواية تستطيعين ممارستها مع أطفالك . وكلما تدخلت أكثر ، أصبحت أمَّاً أفضل . وبالطبع إن لم تكفى عن التدخل ، فسوف تُمنَحين لقب " الأم الخارقة " !

١٢ مايو

في كل مرة تؤكد فيها إحدى المعلمات على أهمية اختبار حاصل الذكاء وكيف أنه المقياس الحقيقي وراء مستوى الطفل الدراسي ، فإنها تضرب بمهنتها كلها وتاريخها عرض الحائط .

في الحقيقة ، إن خبرة المعلمين في مجال التدريس تجعلهم أكثر دراية بهذا الأمر . ففي الورش التي أعقدها للمعلمين عادة ما أطلب ممن لا يتفقون معي فيما سأقوله أن يرفعوا أيديهم : " أنتم يا معشر المعلمين تفضلون التدريس لطفل يحترم الآخرين ، ويتحمل المسئولية ، وواسع الحيلة ، لكن حاصل ذكائه ٩٥ ، عن التدريس لطفل حاصل ذكائه ١٦٥ ولكنه لا يتسم بأية سمة من تلك السمات " . وأنا أتحدث هنا يا أعزائي القراء عن سبعين نقطة فارق في حاصل الذكاء ، أي أنني أتحدث عن طفل ذي مستوى ذكاء أو أداء دراسي أقل من المتوسط وآخر عبقري ! وأنا أدير نحو أربعين ورشة للمعلمين كل عام ، ولم يسبق أن رفع ولو معلم واحد يده ليعترض على ما قلته .

إن القيم الثلاث - الاحترام والمسئولية وسعة الحيلة - هي المقياس الحقيقي لأي طفل وليس حاصل ذكائه . وفي حالة تعزيز تلك السمات على النحو الصحيح تصبح أساس ثقة الطفل بنفسه وإكسير النجاح سواء الأكاديمي ، أو الاجتماعي ، أو الشخصي ، أو الروحي ، أو العاطفي ، أو المهني ، أو غير المهني ، أو الزوجي ، أو ... هل نسيت شيئاً ؟

إن تلك القيم الثلاث هي التي تحدد فعلاً الطفل القابل للتعلم والتربية . فالطفل الذي يحترم والديه سوف يحترم بالتبعية معلميه . والطفل المسئول - ذلك الذي أتى من منزل تعلم فيه تحمل مسئولية تصرفاته ، ومسئولية أداء مهام منزلية معينة على أساس يومي (دون أن يدفع له والداه في مقابلها) - يذهب إلى المدرسة وهو أكثر تقبلاً للانصياع لأوامر معلمه وتنفيذ كل ما يطلبه منه بإتقان . والطفل واسع الحيلة - ذلك الذي تعلم كيف يصنع الكثير من أقل القليل - يأتي إلى المدرسة وهو مستعد لتكرار المحاولة حتى ينجح ، ويثابر في وجه جميع الصعوبات . إن تلك القيم الثلاث هي أساس العملية التعليمية يا أعزائي القراء ، وبدونها لا يضيف حاصل الذكاء شيئاً لأي شيء .

١٣ مايو

هناك جانبان لمشكلة الطفل الذى يشعر بـ " الملل " داخل المدرسة . فمن جانب تجد نفسك أمام طفل لم يعتد بذل أى جهد للحصول على الأشياء ، ويقدم له أبواه كل شيء على طبق من فضة ، ويأتى إلى المدرسة وهو لا يملك أدنى استعداد لوضع أهداف والسعى وراء تحقيقها . فهو يظن أن معلمه ما هو إلا امتداد لأبويه ولابد أن يجزل له العطاء بنفس الطريقة . وعندما لا يجد من معلمه ما توقعه منه ، فإنه يشعر بالملل ، ويعجز عن القيام بأى شيء لنفسه . ومن جانب آخر تجد آباء هؤلاء الأطفال يستغلون عبارة " طفلى يشعر بالملل " كعذر لإعفاء أنفسهم وإعفاء أطفالهم من مسئولية الأداء الدراسى المنخفض والمشكلات السلوكية بداخل الفصل الدراسى .

دعونا نتحدث عن ذلك الطفل الذى طالما منحه أبواه كل ما أراده ، ولم يلزماه قط باتباع أية قواعد ، ولم يطلبا منه القيام من مكانه لأداء أى شيء ، فطوال حياته والبالغون من حوله يعملون على إرضائه ، فيوفرون له وسائل التسلية ، ويجعلونه محور اهتمام العائلة ، ويقدمون له دون حساب ، فيعملون له سائقين ، والأدهى من ذلك أنهم يجدون حلاً لكل مشكلة يجابهها ، فتكون النتيجة أن يذهب الطفل إلى المدرسة ويكتشف أنه ليس محور اهتمام أى أحد ، فما يكون منه إلا أن يشعر بالملل .

وبعد ذلك يتجرأ أبواه ويأتيان إلى المدرسة ليشكوان بأن معلميه لا يقدمون له التحديات الكافية . يا إلهى ! لو كان مثل هؤلاء الآباء قد حملوا أطفالهم بعض المسئوليات بالمنزل منذ البداية وعززوا جهود معلميهم فى جعلهم تلاميذ مسئولين بالمدرسة ، ما كان لأطفالهم قط أن يشعروا بهذا " الملل " .

باختصار ، إن طفل اليوم يذهب إلى المدرسة وفى مخيلته أن من حوله سيعملون على تسليته ، معتقداً أن التعليم هو شيء يمنحه له الآخرون وليس شيئاً يكتسبه من خلال جهد مضن . وعندما تذهب توقعات هذا الطفل أدراج الرياح ، يبدأ فى الشعور بالملل . إذن فقد أصبحنا نطلق كلمة " ملل " على ما اعتادت الأجيال السابقة أن تسميه " تدليلاً " .

١٤ مايو

فى حين أنك قد تعدو وراء أتوبيس طفلك لتعطيه ثمن غدائه فى حالة ما نسيها ، فإن طفلك ليس لديه أى سبب يدعوه لتذكر ثمن غدائه . وفى حين أيضاً أنك أنت قد تتضايق ـ أو تشعر بالذنب أو حتى الغضب ـ حينما يتسبب طفلك فى مشكلة ، فإن طفلك ليس لديه أى سبب يدعوه للقلق بشأن ما حدث وبالتالى تصحيح المشكلة . فى الواقع إن الطفل سوف يسعى لحل أية مشكلة (واسمح لى أن أقول لك إنه ليس هناك سوى القليل جداً من المشكلات الأكاديمية والسلوكية التى لا يستطيع الطفل حلها) إذا عكرت عليه هذه المشكلة صفو حياته وأجبره من حوله على شعوره هو بالاستياء منها . وفى المثال السابق ، إن كان الأبوان قد لوحا فقط بأيديهما للأتوبيس المغادر وأبديا عدم الاكتراث حينما شكا لهما الطفل أنه اضطر أن يذهب للمدرسة دون غداء هذا اليوم ، فسيعرف الطفل كيف يتذكر ثمن غدائه بعد ذلك . فسوف تتلاشى على الفور أعراض " كثرة النسيان " لديه أو " اضطرابات قلة التركيز " أو أى شىء يكون مصاباً به .

١٥ مايو

بإمكان جميع الأطفال الانخراط فى نوبة من الغضب من نوع أو آخر . وأحد أسباب ذلك هو أنهم يأتون إلى هذا العالم غير مسلحين بأية مقدرة على تحمل الإحباط . والسبب الآخر هو أن تفكيرهم يكون قائماً على مركزية الذات ، فهم يؤمنون بأنهم يستحقون الحصول على أى شىء يرغبونه . لذا فإن جزءاً من مهمتنا كآباء هى أن نتأكد من مساعدة أطفالنا - وإن كان هذا الأمر سوف يستغرق وقتاً - على تبديد ذلك الشعور بمركزية الذات واستبداله بمسئولية اجتماعية ؛ مع الاستعداد بالتضحية بالرغبات الشخصية فى سبيل الأسرة والأصدقاء والمجتمع . وفى الحقيقة ، قد تكون تلك إحدى أهم المهام الملقاة على عاتق الآباء . فهى جوهر عملية التنشئة الاجتماعية ، ولكن تلك العملية قد تثير بعض الاستياء فى نفس متلقيها . فيصبح رد فعل الطفل الطبيعى لذلك الاستياء وانتشاله من الوهم الذى يعيش بداخله هو نوبة الغضب . فإذا نظرنا إلى الأمر من هذا الجانب ، فسوف تكون نوبة الغضب هى طريقة الطفل للتعرف على حقيقة العالم من حوله وبالتالى اكتساب فهم أكثر نضجاً للطريقة التى تسير بها الأمور فى هذا العالم . لهذا السبب فإننى عادة ما أصرح بأن الطفل الذى ينخرط فى إحدى نوبات الغضب يكون منخرطاً فى الحقيقة فى " معركة مع العالم من حوله " . وتتطلب مساعدة الطفل على التصالح مع واقعه أبوين يعرفان كيف يقولان " لا " وكيف يقولانها " بحزم " .

إننى أضحك بينى وبين نفسى كلما سمعت أحد الآباء يشكو من أن طفله " لا يرضى أن يقول له أحد كلمة لا " ، وذلك لأن مثل هذا التعليق يعكس شخصية الوالد نفسه أكثر مما يعكس شخصية الطفل . فالطفل الذى لا يرضى أن يقول له أحد كلمة " لا " هو نتاج أبوين لا يستطيعان التفوه بها بحزم . فليس الأمر أن الطفل لا يستطيع أن يسمع كلمة " لا " من أحد ، وإنما الأمر أن الطفل ليس لديه ما يجعله يضطر لسماع هذه الكلمة .

١٦ مايو

اقترحت ذات مرة على الحاضرين فى إحدى ندواتى فكرة السماح للمراهق البالغ من العمر ستة عشر عاماً بأن يحدد هو بنفسه موعد عودته من الخارج ليلاً . وقد اعترضت إحدى الأمهات (والتى تصادف حضور ابنها المراهق لتلك الندوة) على كلامى هذا معللة بأننا لو سمحنا للمراهقين بمثل هذه الحرية ، فإنهم " سيوقعون أنفسهم بدون شك فى المتاعب " .

يا له من اعتقاد سيئ ، بل هدام أيضاً . إليك هذه الحقائق : أولاً ، فقط قلة قليلة من المراهقين هم من يوقعون أنفسهم فى مشكلات خطيرة . نعم ، إن جميع المراهقين تقريباً يرتكبون أخطاء ، بيد أن القليل منهم فقط هم من يرتكبون أخطاء جسيمة ، وعدد أقل منهم هم من يواصلون ارتكاب تلك الأخطاء . ثانياً ، ليس إرغام المراهقين على العودة المبكرة إلى المنزل هو ما سيبعدهم عن المشكلات ، وإنما ما سيوفر لهم الحماية هو احترامهم لآبائهم وأسرهم . بمعنى آخر ، إن الآباء الوحيدين الذين ينبغى أن يستبد بهم القلق مما يفعله أبناؤهم فى ظلمات الليل هم هؤلاء الذين أخفقوا فى الاستحواذ على احترام أطفالهم . فإن كنت تحترم أبويك فعلاً ، فلن تحاول إغضابهما ، إن الأمر بهذه البساطة . ثالثاً ، لقد رأيت بعينى أنه عندما يتم السماح للمراهقين بتحديد موعد عودتهم للمنزل ، فإنهم يحددون مواعيد منطقية ومعقولة . فإن تعاملت مع شخص ما بوصفه شخصاً مسئولاً ، فسوف تحصل على الأرجح على سلوكيات مسئولة من هذا الشخص . ومرة أخرى الأمر بهذه البساطة .

١٧ مايو

إن ما لا يدركه " خبراء " التربية هو أنه إذا ما تعامل الكبار مع الأطفال كما لو أن آراءهم ومشاعرهم فى نفس أهمية آراء ومشاعر الكبار ، فلن يتوافر لدى الأطفال أية قاعدة صلبة يستطيعون من خلالها احترام الكبار . فلكى يحترم الأطفال من هم أكبر منهم سناً ، على البالغين التصرف بأسلوب أكثر حكمة من الأطفال . ومثل هذا الأمر لا يجب أن يمثل صعوبة . فعلى الرغم من كل شىء ـ ومع استخدام بعض الفطنة ـ يتسم البالغون بأنهم أكثر حكمة من الأطفال . وأنا لا أقول أفضل من الأطفال ، إنما فقط أكثر حكمة وأقل حمقاً ـ كما أتمنى .

لذا فلكونهم أكثر حكمة يتخذ الآباء القرارات ، ولكون الأطفال حمقى ينبغى عليهم الانصياع لآبائهم . وبمرور الوقت ، يجب أن يسمح الآباء لأطفالهم باتخاذ المزيد والمزيد من القرارات بأنفسهم . الآن أخبرنى من ذا الذى يقرر أى القرارات التى من الممكن للطفل اتخاذها ؟ إنه والد الطفل دون شك !

١٨ مايو

منذ أوائل الخمسينيات ، ارتفعت معدلات الطلاق في الولايات المتحدة بشكل ملحوظ . ومن الجدير بالذكر أن التلفاز اقتحم المنازل الأمريكية في أوائل الخمسينيات أيضاً وبدأ السيطرة على حياة الأسرة الأمريكية وخاصة ليلاً . فمتوسط عدد ساعات مشاهدة التلفاز داخل أية أسرة أمريكية يبلغ ست ساعات يومياً وأربعاً وعشرين ساعة أسبوعياً . وفي أحد استطلاعات الرأى التى أجريت مؤخراً ، طُلب من العديد من الأزواج الذين مضى على زواجهم عام واحد تحديد أكثر مقتنيات المنزل قيمة في اعتقادهم . وليس من المثير للدهشة أن معظم المشاركين في هذا الاستطلاع قد اختاروا جهاز التلفاز . وقد تم سؤال نفس هؤلاء الأزواج عن أكثر جوانب زيجاتهم حاجة للإصلاح . وما يثير السخرية - والحزن أيضاً - أن جاءت إجابة معظمهم " التواصل " .

وقد كشفت دراسة حديثة أخرى أن متوسط وقت أى حوار ذى مغزى بين الزوجين الأمريكيين لا يتعدى ثلاثين دقيقة أسبوعياً . ومن جانب آخر ، فإن كلاً من هذين الزوجين يمضيان نحو عشرين ساعة أسبوعياً في التحديق نحو شاشة التلفاز .

إن الأزواج عادة ما يتحدثون عن مشاهدة التلفاز " معاً " ، ولكن الاثنين : مشاهدة التلفاز و " معاً " لا يجتمعان . فأنت لا يمكنك مشاهدة التلفاز وفي الوقت نفسه تتواصل مع أحد الأشخاص . فإما تقوم بهذا أو ذاك . فقط اطرح على نفسك هذا السؤال : أى الأمرين أكثر أهمية ؟

١٩ مايو

إن نوم الطفل فى فراش خاص به يساعده على الشعور بأنه شخص مستقل ، الأمر الذى يمهد الطريق للطفل بعد ذلك لتحديد هويته - تلك العملية التى تبدأ فى خلال الطفولة المبكرة وتعد أحد الأركان الأساسية لاستقلال الطفل فيما بعد . علاوة على ذلك ، فإن تخصيص غرفة نوم مستقلة للأبوين منفصلة تماماً عن غرفة الطفل يجعله يدرك أن العلاقة بين أبويه هى أهم علاقة داخل الأسرة ، الأمر الذى من شأنه أن يعزز احترام الطفل لأبويه ولأسرته وللكبار الآخرين فيما بعد . أما عندما يشارك الطفل والديه فى نفس الغرفة فيتولد لديه استنتاج بديهى أن علاقة والديه هى أقل العلاقات أهمية بداخل الأسرة . لقد توصلت من خلال خبرتى المهنية إلى أن مثل ذلك " الاختلاط " يعزز صفة الاتكالية بداخل الطفل ، ويقوض مقدرته على الانفصال عن والديه ، ويؤخر نضجه بوجه عام . ولجميع هذه الأسباب أقول : " يجب أن تجعل أطفالك ينامون فى أَسِرّتهم الخاصة وفى ساعة مبكرة ! " ، ولا مانع لدىّ على الرغم من ذلك أن أكسر تلك القاعدة فى ظل ظروف معينة . فعلى سبيل المثال لا بأس لدىّ أن أسمح للطفل بمشاركتى فراشى إن كان مريضاً أو يعانى من التوتر أو فى فترات الانتقال ، كما فى حالات وفاة حيوانه الأليف أو الانتقال إلى منزل آخر .

٢٠ مايو

عندما يطرح عليّ الآباء هذا السؤال : " كيف لنا أن نميز بين اللعبة القيمة حقاً وتلك التى تعد إهداراً للمال ؟ " تأتى إجابتى كالآتى : " إن كانت اللعبة تم إنتاجها قبل عام ١٩٥٥ ، فلا بأس بها " . فباستثناء بعض الحالات ، فإن جميع اللعب التى تم تصنيعها بعد ذلك لا تعدو كونها أكثر من مجرد محاولة لإعادة تصنيع ألعاب موجودة بالفعل . تذكر أيضاً أنه كثيراً ما يفضل الطفل الصغير اللعب بالعلبة التى جاءت فيها اللعبة أكثر من اللعبة نفسها . عندما بلغ ابننا " إيريك " سن العامين كانت مجموعة ألعابه تتكون من مكعبات من الحجم الكبير وحافلة واثنين من الحيوانات المحشوة وكرة وصندوق كبير صنعت له منه بيتاً للعب . وكان " إيريك " يظل يلعب بمفرده طوال ساعات ، مؤكداً للجميع أن ما يهم حقاً ليس عدد اللعب التى بحوزة الطفل ولكن ما يستطيع هذا الطفل أن يفعله بها .

٢١ مايو

تتطلب البيئة المدرسية توافر حس بالمسئولية لدى الأطفال . فإن جاء التلاميذ إلى المدرسة وهم مسلحون بمقدرة على تحمل المسئولية فسوف يتقبلون المسئولية التى سوف يلقيها المعلمون على عاتقهم . ليس بإمكان أى معلم غرس حس المسئولية لدى الطفل ، وإنما بإمكانه فقط تعزيز القدر الموجود لديه بالفعل .

وإحدى أكثر الوسائل فاعلية لخلق ذلك الحس بالمسئولية بداخل الطفل هى تكليفه بأداء مهام منزلية على أساس يومى . ولابد أن يبدأ الأطفال فى أداء مثل هذه المهام قبل سن الثالثة . فعندما يبلغ الطفل سن دخول الحضانة لابد أن يكون قد تدرب جيداً على الكنس ، ونفض الغبار ، واستخدام المكنسة الكهربائية ، وإخراج القمامة ، وإعداد المائدة ، وتنظيفها ، والمساعدة فى غسيل الصحون ، وتجفيفها ، وترتيب فراشه . إذن فإن الإجابة المنطقية لهذا السؤال الذى عادة ما يطرحه الآباء : " ما الذى يمكن أن ننتظره من أى طفل فى أى مرحلة عمرية ؟ " هى تلك القاعدة العامة : كل ما فى استطاعة الطفل أن يقوم به لابد له أن يقوم به .

٢٢ مايو

إن الغرض من فرض القواعد هو حماية الطفل ، فالقواعد تضمن سلامة الطفل البدنية والعاطفية . إن القواعد هى التى تجعل النظام يسود داخل الأسرة والعالم أجمع . إنها تنظم احتكاك الطفل بالعالم من حوله ، ومن دونها يصبح الطفل لا حول له ولا قوة .

إن للقواعد نتاجاً متناقضاً ؛ فهى تقيد الطفل وفى نفس الوقت تحرره . بيد أن القاعدة غير واضحة المعالم ، أو التى لا تفرض بالقوة ؛ أو التى تفرض بالاتفاق الودى لا تمت للقواعد بصلة . إنها لا تعدو كونها مجرد خداع أو نفاق ويتحول الطفل فى ظل هذه القواعد إلى ضحية ، أو سجين حالة من التردد الأبوى . وعلى الجانب الآخر ، فإن الطفل الذى يحاول كسر إحدى القواعد (والأطفال يقومون بذلك دوماً) ويفشل فى ذلك يصبح حراً لانتهاج سلوكيات خلاقة وبناءة فى حدود تلك القواعد . إن الأطفال لا يحتاجون فقط إلى القواعد ولكنهم يتقبلونها . إن ما لا يستطيعون تقبله فقط هو تلك القواعد التى يفرضها الآباء اليوم وينسونها غداً .

٢٣ مايو

إن اللغة نفسها المستخدمة من قبل اتباع الحركة المناهضة للضرب لا تنم عن أى ذكاء . فنادراً ما يستخدم متحدثو هذه الحركة كلمة " ضرب " ، وإنما يستخدمون عوضاً عنها كلمات مثل " إيذاء " و " عنف " . إنهم يدعون أن الآباء الذين يضربون أبناءهم " يعتدون عليهم جسدياً " ، فضرب الطفل على مؤخرته ما هو إلا أحد أشكال " العنف " الذى من المفترض أنه يعلم الأطفال أن الضرب هو الاستجابة الطبيعية لكل ما يثير غضبهم . كما يدعون أن الضرب يربك الأطفال أيضاً . فكيف ـ كما يتساءلون ـ يمكن للأطفال أن يدركوا أنه على الرغم من استطاعة آبائهم ضربهم ، فإنهم لا يستطيعون بدورهم الانقلاب على آبائهم وضربهم كذلك ؟ فباستخدام مثل هذه السخافات يسعى أنصار الحركة المناهضة للضرب لكى يولدوا انطباعاً لدى العامة بأن الضرب والاعتداء هما شىء واحد ، وأن ضرب الطفل على مؤخرته ليس مختلفاً فى النهاية عن صفعه على وجهه ، فالآباء بكلتا الطريقتين يؤذيان الطفل بل يدمرانه هو والمجتمع . وإن لم يؤد الضرب إلى كل هذا ، فإنه على الأقل سيترك ذكرى سيئة فى عقل الطفل .

إن كل هذا الهراء السابق لا يعدو كونه أكثر من مجرد دعاية مغرضة تهدف إلى تشريع خرافة مفادها أن الآباء هم مجرد مجرمين عتاة لا رحمة فى قلوبهم ـ فضحاياهم هم مجرد أطفال لا حول لهم ولا قوة . ونتيجة لهذا ستتحول سلطة سن القوانين إلى أيدى هؤلاء من متخصصى الصحة الذهنية الذين حولوا أنفسهم إلى مصلحين ونشطين اجتماعيين .

٢٤ مايو

فـى بدايـة السـتينيات مـن القـرن العشـرين ، أكـد البـاحثون التعليميـون (والذين لم يسبق لمعظمهـم التـدريس سـواء فـى مدرسـة ابتدائيـة أو ثانويـة) للمعلمين أن الطفل الذى يتحلى بثقة بنفسه سوف يكون راغباً فى التعلم ، لـذا فلا داعى على الإطلاق إلى إرغامه على التعلم . فـى الحقيقـة ، إن ممارسـة أى ضغط تعليمى ـ كما يدعون ـ قد يجعل من التعليم عملية محبطة ؛ الأمـر الـذى يجعل الطالب بدوره ينفر من التعليم .

ومن بين الأشياء الأخرى التى تصيب الأطفال بالإحباط وتجعلهم ينفرون من التعليم هى الدرجات ، فتؤدى الدرجات إلى خلق روح التنـافس ، الأمـر الـذى يجعل بعض التلاميذ يكافأون أكثر من غيرهـم ، سـواء بـذلوا جهـداً أكـبر مـن أصـحاب الـدرجات المنخفضـة أو لا . وعـدم المسـاواة هـذا قـد أدى إلى شـعور التلاميذ من أصحاب الدرجات المنخفضة بالإحباط وفقدان الثقة بأنفسهم ، لـذا فلابد من الاستغناء عن موضوع الدرجات هذا .

إليك تلك الحقيقة : من المستحيل أن يتحسن أداء شخص ما فى مجـال معـين إلا إذا تلقى مردوداً دقيقاً لكل ما يفعله . فلو افترضنا ـ على سبيل المثال ـ أن شخصـاً يتعلم كيف يركب ماكينة صغيرة ، ارتكب خطأ أثناء ذلك ومع ذلـك لم يلفـت أحد نظره إلى هذا الخطأ ، مما لا شك فيه أن مثل هذا الشخص لـن يـتعلم قـط كيف يركب الماكينات الصغيرة .

إليك حقيقة أخرى : إذا كان الشخص بصدد تعلم مهمة صعبة حقاً ، فإنـه علـى الأرجح سيفشل فى البداية فى تعلمهـا . أحد الأساتذة الذى سـبق أن كـان تلميـذاً لدىّ يصيغ هـذه العبـارة بطريقـة أخـرى : إن كـان هنالـك شـىء مـا يسـتحق التعلم ، فإنه يستحق الفشل فيه .

الخلاصة : ليس هناك أى شىء غير أخلاقى بالمرة فى أن يتلقـى الأطفـال مـردوداً أميناً ودقيقاً حول أدائهم بالمدرسة . فإن كان الطالب يستحق الرسوب فى إحـدى المواد ، فليكن الأمر كـذلك . أمـا إن تلقـى الطالـب درجـة متوسـطة فـى مـادة

يستحق الرسوب فيها فإنه لن ينجح قط فى مجال تلك المادة . إن واضعى النظريات والمسئولين عن هذه الجريمة فى حق الأطفال يجب أن يخجلوا من أنفسهم ، ولكنهم للأسف ليسوا كذلك . فهم سيظلون يدافعون عن معتقداتهم تلك حتى النهاية .

٢٥ مايو

يستطيع الأطفال البالغون من العمر عـامين اسـتيعاب التوجيهـات البسـيطة ولكن ليس الشروح . فالطفل ذو العامين الذى يتسلق إحـدى الطـاولات سـيفهم تلك العبارة الحازمة " اهبط فـوراً " ولكنـه لـن يفهـم تلـك العبـارة " يجـب أن تهبط يا عزيزى من فوق الطاولة لأنك قد تقع وتصـاب بـأذى وحينهـا سنضـطر إلى أن نأخذك للطبيب ، الأمر الذى سـيجعل والـدتك تشـعر بـالحزن لأنـى لا أحب أن أرى صغيرى مصاباً ويتألم ، حسناً ؟ " .

وفى هذه الحالة سوف يسمع الطفل فقط " ثرثـرة غـير مفهومـة ، طاولـة ، تقـع ، طبيـب ، والـدتك ، تصـاب بـأذى " ، وسـوف تكـون ترجمتـه لهـذه العبارة : لقـد سـقطت الطاولـة فـوق الطبيـب وأصـيبت والـدتك بـالأذى . لـذا حاول أن تسـدى لنفسـك وطفلـك صـنيعاً وتختصـر هـذه العبـارة إلى : " اهـبط حالاً " .

لتحقيق أرباح ، ينبغي على أى عمل تجارى أن يسير وفقاً لخطة معينة . ونفس الأمر ينطبق على الآباء ممن يرغبون فى اتباع أسلوب تهذيبى فعال . وأنا أطلق على هذا الأسلوب مسمى " طَرْق الحديد بارداً " ، والذى يعنى ببساطة أن أنسب الأوقات للتعامل مع سوء السلوك هو قبل أن يقع بالفعل . باختصار ، أنت تتوقع ما قد يصدر عن طفلك من مشكلات سلوكية فى موقف معين وتقرر مسبقاً طريقة تعاملك معها إن حدثت بالفعل .

من خلال طرق الحديد بارداً ، تكون قد اتخذت أفضل وضع مناسب لطرقه حين يصبح ساخناً . فعندما تزداد الحرارة ، طبق الاستراتيجية التى وضعتها واستمر فى تنفيذها حتى تختفى المشكلة .

للمزيد من التوضيح ، دعونا نعرض لمشكلة " رودنى " البالغ من العمر أربع سنوات والذى يصمم على مغادرة الفراش لطرح أسئلة غير ضرورية وتوجيه طلبات غير لائقة وسخيفة . ولكى يجعلانه يمكث فى الفراش ، استخدم والدا " رودنى " معه أساليب مختلفة بداية من التهديد ، والرشوة ، والضرب ، وحتى الصراخ ، أى جميع الأساليب التى تتسم بأنها حمقاء وغير فعالة وعاطفية .

وأخيراً ، قرر والدا " رودنى " أنهما سيسمحان له بمغادرة الفراش مرة واحدة فقط . فعندما يدثرانه سوف يعطيانه " تذكرة " ـ وهى عبارة عن ورقة ملونة مستطيلة الشكل ـ يستطيع استخدامها لشراء حق مغادرة الفراش . وعندما يترك الطفل الفراش ـ وهو سيتركه لا محالة ـ يسلم والديه التذكرة . وفى المقابل يدعه والداه يطرح سؤالاً أو يخبرهما بشىء ما . وبعد ذلك يضعانه مجدداً فى الفراش . وإن حدث ـ لأى سبب من الأسباب بما فيها " حاجته " للذهاب إلى دورة المياه ـ وغادر الطفل فراشه مرة أخرى ، يحرمه والداه من الخروج من المنزل فى اليوم التالى ويضعانه فى فراشه ساعة مبكراً (ومعه تذكرة) .

هل غادر " رودنى " الفراش بعد ذلك ؟ بالطبع ! هل غادر الفراش أكثر من مرة ؟ بالطبع ! فيجب على " رودنى " أن يحاول كسر القاعدة ليكتشف إن كانت موجودة بالفعل أم لا . وأخيراً توقف الطفل عن كسر القاعدة ، وأصبحت مهمة وضعه فى الفراش أسهل كثيراً ، فقد أدرك " رودنى " أن والديه يعنيان ما يقولانه .

٢٧ مايو

قد لا تحوز قرارات الآباء دوماً على رضا الأبناء ، ولكن الأطفال يشعرون دوماً بمزيد من الأمان مع الآباء ذوى القرارات الحازمة غير المترددين .
والأطفال الشاعرون بالأمان يتسمون بأنهم الأسعد ، أليس كذلك ؟

إن الوالد يفقد كل سلطته بمجرد أن ينخرط فى صراع القوى مع أحد أطفاله . وبالطبع الطفل هو من يفوز . وحتى إن نجح الوالد فى النهاية فى حمل الطفل على الانصياع لرغبته ، فإن الطفل يكون قد فاز أيضاً لأنه نجح فى استدراج والده للنزول إلى مستواه ـ وإن كان ذلك مؤقتاً .

٢٨ مايو

إن عواقب مركزية الطفل لا تقتصر على الطفل وحده ، حيث لم تسلم المرأة أيضاً من تأثير هذا الأمر . ففى الخمسينيات من القرن العشرين ، كان يطلق على الأم التى تعمل خارج منزلها " الزوجة العاملة " . وكما يوحى المصطلح ، فقد كانت مثل هؤلاء السيدات يعملن لأسباب زوجية بحتة . والسخيف فى الأمر أن المجتمع عادة ما كان ينظر لعمل المرأة على كونه دليلاً على عدم استطاعة الزوج الإيفاء بمتطلبات أسرته . وبغض النظر عن نظرة المجتمع لهذا الأمر ، فإن ما أريد أن أرمى إليه هنا هو أن عمل المرأة كان فى مجمله مسألة خاصة بالزوجين .

أما اليوم فيطلق على المرأة التى تعمل خارج منزلها مصطلح " الأم العاملة " . إن هذا التغيير فى المسميات يعكس تغييراً فى نظرة المجتمع تجاه مثل هذه الأمور . ففى حين كان عمل المرأة مسألة زوجية بحتة ، تحول الآن إلى مسألة تتعلق بتربية الأطفال . فبينما كانت المرأة تتفاوض فى الماضى فى مثل تلك الأمور مع زوجها ، أصبحت الآن تتفاوض فيها مع أطفالها . علاوة على ذلك ـ وهو الأهم ـ فإن مسمى " الأم العاملة " يوحى بأنه بينما كانت وظيفة المرأة الرئيسية فى داخل الأسرة هى وظيفتها كزوجة ، أصبحت مهمتها الأساسية اليوم هى دورها كأم . فعلاقاتها الأساسية أصبحت علاقتها بأطفالها ، والتزاماتها الأولى أصبحت تجاه أطفالها . وأعتقد أن هذا يلخص كل شىء يحدث بالفعل الآن داخل الأسر بوجه عام .

قديماً ، كان يطلق على المرأة التى تعتنى بشئون أسرتها وأطفالها " ربة منزل " . أما اليوم فقد أصبح يطلق عليها (وأصبحت تطلق هى على نفسها) " أماً غير عاملة " . ومرة أخرى يعكس هذا التغيير فى المسميات تغييراً بالغاً فى نظرة المجتمع تجاه دور المرأة داخل الأسرة . فقد كانت ذات يوم زوجة ، أما اليوم فهى أم . فبينما كانت الأم قديماً تقضى الأمسيات مع زوجها فى حين يقوم الأطفال بأداء واجباتهم المدرسية ، فهى الآن تمضى الأمسيات مع أطفالها لتساعدهم فى أداء واجباتهم .

٢٩ مايو

إن السيدات من جيل والدتى عادة ما يخبرننى أنهن لم يَكُنَّ فقط راضيات بنصيبهن فى الحياة ، ولكنهن كن يبحثن كذلك عن أنشطة يمارسنها بعيداً عن نطاق المنزل والزوج والأطفال . فعلى الرغم من العوائق السياسية والمهنية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، كان هؤلاء السيدات يشعرن دوماً بمدى تميزهن . وهؤلاء السيدات اللاتى كان ينظر إليهن المجتمع بوصفهن غير متحررات كن يتحولن إلى أمهات فقط عندما يحتاجهن أطفالهن . فهن لم يتتبعن أبناءهن خطوة بخطوة ولم يكن يعتقدن أن الأم الحق هى من تقدم الكثير والكثير لأبنائها . لقد كن يتوقعن منا أن نكون مستقلين ونخوض معاركنا بأنفسنا ونشغل أوقات فراغنا ونقف وحدنا على أقدامنا . ولم تكن هؤلاء السيدات يطلقن على أنفسهن مسمى " أمهات غير عاملات " ولكن مسمى " ربات البيوت " ، مشيرات بذلك إلى أن علاقتهن الرئيسية كانت مع غيرهن من البالغين وليس مع أطفالهن .

وهؤلاء السيدات عادة ما يضحكن حينما أسألهن إن كن يعتبرن أنفسهن ضحايا . لقد أصررن جميعهن أنهن كن ملتزمات بأداء واجباتهن ، وهن يعتقدن أن دورهن ذاك كان ضرورياً للحفاظ على الأسرة والثقافة . وبالطريقة التى كن يعشن بها حياتهن ، أثبتن للجميع أن المرأة يمكن أن تكون متحررة دون أن تعمل خارج المنزل . إن المحاولة الحمقاء للتقليل من شأن هؤلاء السيدات كمثال يحتذى به ما هى إلا جزء من مخطط أكبر وضعه هؤلاء ممن نصبوا أنفسهم حماة للمجتمع لاستبدال قيمنا التقليدية بأخرى مستحدثة ، ولاستبدال قيم راسخة لا يبليها الزمن بأخرى بالية .

٣٠ مايو

أى معلم ماهر يعلم جيداً أنه لا يستطيع أن يعلم أحد التلاميذ شيئاً إلا إذا استحوذ على انتباهه أولاً . والآباء ما هم إلا معلمون أيضاً . فبالمثل ، لا يستطيع الآباء تعليم أطفالهم أى شىء إلا إذا استحوذوا على انتباههم أولاً . وبالمناسبة إن الفرق بين الاستحواذ على انتباه الطفل واستجدائه كبير جداً كالفارق بين الليل والنهار . فمبدئياً من يستحوذ على انتباه الطفل ينجح فى مهمته ، ومن يستجديه يفشل فيها . ثانياً ، أنت تستحوذ على انتباه طفلك عندما تبدو واثقاً من نفسك أمامه ؛ فأنت تبين لطفلك أنك تدرك جيداً أين تقف وأين تريد منه أين يقف . أما الآباء الذين يستجدون دوماً انتباه أطفالهم فهم يعكسون لهم ببساطة مدى فشلهم فى السيطرة عليهم وافتقارهم للفطنة والثقة بالنفس .

٣١ مايو

قد يقول لى أحد الآباء : " ولكن يا " جون " أنـا لا أكـون دائمـاً واثقـاً مـن أننى اتخذت القرار الصحيح " .

وكما سـيؤكد لـك أى رئـيس مجلـس إدارة شـركة كـبرى ، فمـن المستحيل بالنسبة لأى قائد ـ مهما أوتى من حكمة ـ أن ينجح دوماً وفى جميع الحـالات فى اتخاذ أفضل قرارات ممكنة . علاوة علـى ذلـك ، فلـيس مـن الضـرورى أن تتخذ دوماً القرارات الصائبة . لكن ما هو ضرورى حقاً أن يكون رئـيس مجلـس الإدارة ـ سواء رئيس دولـة أو مـدير شـركة ـ حاسماً علـى طـول الطريـق ؛ أى يتظاهر دوماً بأنه لا يوجد إلا قرارٍ واحد سليم ومنطقى لكل مشكلة . إن رئـيس أية مؤسسة كبرى لن يستمر طويلاً فى منصبه إن قال فى كل مـرة يتخـذ فيهـا قراراً : " حسناً ، أنا لست متأكـداً أن هـذا هـو أفضـل قـرار يمكـن اتخـاذه ، ولكنى أعتقد أنه ربما يكون كذلك ، وأتمنـى حقـاً أن يكـون صـائباً . وإن كـان لدى أى منكم فكرة أفضل ، فأرجو أن يتقدم بهـا " . إن هـذا لـيس قائـداً بـل شخص متذبذب ومتردد . إن حاملى أسهم هذه الشركة التى يرأسها مـدير مـن هذا القبيل لا يتوقعون من قرارات رئيسهم أن تكون غير دقيقة ولكنهم مع ذلـك ينشدون الكمال من قيادته نفسها . باختصار ، إن الطريقة التى يعلن بها أحد القادة داخل بيئة العمل عن قراره أهم من مدى صحة القرار نفسه .

مرة أخرى ينطبق نفس الأمـر علـى الآبـاء . فأنـت كوالـد ، لا تسـتطيع أن تكون دوماً متأكداً من صحة قراراتك . لكن حاول استيعاب تلـك الحقيقـة : إن الآباء سوف يتخذون دوماً لأطفالهم قرارات أفضل مـن تلـك التـى يتخـذونها لأنفسـهم (أما استثناءات هـذه القاعـدة فهـى قليلـة للغايـة لدرجـة تجعلـها لا تسـتحق الذكر) . وأنا لا أعنى بهذا أنه لا يجب عليك السماح لطفلـك بـأن يتخـذ أيـة قـرارات ، حتـى إن كانـت غـير صـائبة ، فيجـب أن تـدع طفلـك يـتعلم مـن إخفاقاته كما يتعلم من نجاحاته . ولكن حينما ترى أنك كوالد تملك مزيداً مـن الصلاحية لاتخاذ قرار مهـم بعينـه ، فـلا تـتردد واتخـذ القـرار ! فبمجـرد أن تتخذ القرار ، كن حاسماً ولا تتراجع أبداً ، بل واصل المسيرة !

١ يونيو

إن وسائل الإعلام وثقافتنا الحديثة تمجد الشباب . وكلما آمنا نحن الراشدون بالخرافة القائلة بإمكانية تحقيق الشباب الدائم ، قلَّ احترام الشباب والصغار لنا ، ولهم كل الحق فى ذلك ، فالأطفال سوف يحترمون الكبار فقط فى حالة إذا ما " غيروا " من أنفسهم ، أى إذا ما ارتدوا ملابس مختلفة واعتنقوا مبادئ مختلفة ومارسوا أنشطة مختلفة . وهذا لا يعنى أن بعض التداخل بين الأنماط السابقة يعد سيئاً ، ولكن التركيز فى الجملة السابقة على كلمة " بعض " . لذا يجب علينا نحن جيل الآباء الشعور بالفخر حينما يظن الصغار أننا ذوو طراز عتيق ، والشعور بالقلق إن ظن أطفالنا أننا مسايرون للعصر الحديث .

٢ يونيو

مازلت أتذكر محاضرة ألقاها علىّ أحد أساتذتى بالجامعة ـ والذى كان يدرس لى مادة عن الزواج والعلاقات الأسرية ـ تحدث فيها عن الفارق بين الأسر " الديمقراطية " والأسر " الديكتاتورية " . داخل الأسر الديمقراطية ـ على حد قوله ـ الجميع متساوون ، لذا لم يكن الآباء يستخدمون الشدة لحمل أطفالهم على الطاعة ، وكانت أية خلافات تجد طريقها للحل من خلال المناقشة أو التفاوض أو الحلول الوسط . وكان التعاون والانسجام هما السمتين المميزتين لهذه الأسر . حينها قلت فى قرارة نفسى " يا للروعة " . وعلى النقيض من ذلك فقد كانت الأسر الديكتاتورية هى أسراً ملكية يتربع الآباء على عرشها ، حيث كان الأطفال يتعرضون للعقاب إن خالفوا أوامر آبائهم ، كما لم يكن مسموحاً لهم باتخاذ أية قرارات . وكانت الحلول الوسط بين الأطفال والآباء تتم فقط بشروط الآباء . وقد كان دستور الأطفال داخل تلك الأسر هو الطاعة وليس التعاون الودى ، قلت فى قرارة نفسى" يا للبشاعة " . وحينها قررت أننى لن أصبح أبداً أباً ديكتاتورياً حقيراً ، وبذلت قصارى جهدى لتنفيذ ذلك القرار . وفى خلال الثلاث أو الأربع سنوات الأولى من ميلاد ابنى " إريك " عاملته الند بالند . فإن لم يكن راضياً عن قرار اتخذته ، كان يلقى بنفسه على الأرض ويصرخ حتى أعدل عن هذا القرار . وقد ظننت أنه من غير العدل أن أجبره على طاعتى ، لذا فإنه لم يكن يطيع لى أمراً . وفى النهاية لم أجد أن نتاج هذا النظام الديمقراطى هو الانسجام والتعاون وإنما الفوضى . وذات ليلة جاءنى فى المنام رجل عجوز يبدو حكيماً يطلق على نفسه اسم " روح مستقبل روزموند " ، وكان يحمل بين يديه بللورة زجاجية . وبينما كنت أحملق داخل البللورة ، رأيت أفراد أسرة " روزموند " وهم أكبر سناً مقيدين جميعاً فى سترة من الفولاذ الصلب . صحوت من نومى وأنا أصرخ وأتصبب عرقاً ، ومن حينها اختلفت علاقتى بطفلى اختلافاً جذرياً .

٣ يونيو

فى النهاية قررت أنا وزوجتى " ويلى " (ولم يكن الأوان قد فات أبداً لذلك !) أن نعلن الدولة الديكتاتورية ونصبنا أنفسنا ديكتاتورين - ولكن " ديكتاتورين محببين " لتوخى الدقة . إن مثل هذا النظام الديكتاتورى النفعى يكون عبارة عن سلطة تتفهم جيداً أن شعور أطفالها بالأمان يعتمد على فرض نظام صارم وصلب ويمكن الاعتماد عليه . إن الديكتاتور العطوف هو من يحكم بمقتضى السلطة الطبيعية ، فهو يعلم الأصلح لطفله . إنه لا يتلذذ من فرض سيطرته على طفله ، ولكنه يفرض سيطرته عليه لأن من واجبه القيام بذلك . فهو يعد طفله لأنه يعلم أنه سيأتى عليه وقت ينبغى عليه فيه كبح جماح ذاته وأطفاله فيما بعد . ولا يحتاج الديكتاتور العطوف إلى بث الخوف فى نفس طفله لفرض سيطرته عليه ، نعم إنه يمتلك سلطة ولكنه ليس متسلطاً . فهو لا يطالب أطفاله بالطاعة العمياء . إنه يقيد حرية أطفاله ولكنه ليس مستبداً ، فهو يقيد لكى يوفر الحماية والإرشاد ، كما أنه يفرض قواعد عادلة ويعمل على تطبيقها بحزم . وبالنسبة للأطفال تكون الحياة مع مثل هذا الديكتاتور آمنة وأكثر بساطة . إن مثل هذا النظام يكفل للطفل مزيداً من الحرية الانفعالية أكثر من أى نظام آخر .

٤ يونيو

فى سن الثالثة عشرة ، بدت " فويب " وكأنها فى السابعة عشرة ، مما جعلها تلفت أنظار الصبية من حولها . ولكن لم يكن والداها سعيدين بهذا الأمر . فقد أذاع والد " فويب " ـ والذى كان يشبه " آل كابونى " ـ للجميع بأنه لن يسمح لابنته بالخروج بصحبة أى فتى قبل سن السادسة عشرة .

وبعد عدة أشهر من إعلان هذا البيان ، وجدت والد " فويب " يطرق باب منزلى الخلفى ويبدو علي وجهه علامات الحزن . وقد شكا لى أن ابنته كانت تدعى أن لديها مشروعاً فى مادة الدراما يتطلب منها البقاء في المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسى ، وتخرج فى هذه الفترة كل يوم تقريباً مع فتى فى السادسة عشرة من عمره .

قال وهو يجز على أسنانه ويضغط على إحدى يديه بالأخرى : " أنا لا أستطيع أن أفكر بهدوء فى تلك المشكلة . ماذا علىّ أن أفعل باعتقادك ؟ " .

اعتدلت فى جلستى وقلت له : " حسناً ، هل فكرت فى فك الحصار الذى تفرضه على ابنتك قليلاً ؟ أعنى بذلك إتاحة المزيد من الحرية لها حتى لا تضطر إلى الخروج مع أصدقائها من دون علمك " .

صاح بأعلى صوته : " مستحيل ! لقد كنت أنا أيضاً فى السادسة عشرة من عمرى ذات يوم ! لذا فإنى أعلم جيداً بم يفكر الصبية حين ينظرون إليها ! لهذا فإن السماح لها بالخروج مع الصبية سيكون بمثابة إرسالها إلى عرين الأسد ! " .

لذا فقد انتهى حوارنا قبل أن يبدأ . وفى خلال الأعوام القليلة التالية ، تحولت الأمور فى منزل " فويب " من سيئ إلى أسوأ . وأخذ والدها يتردد علىّ كثيراً طلباً لنصائح لا يأخذ بها . فمرة ضبطها مع أحد الصبية الأكبر سناً فى سوق تجارى بينما كان من المفترض أن تقضى الليلة مع صديقة لها . ومرة أخرى وصل الوالد وزوجته إلى المنزل على حين غرة ليجدا صبياً بالمنزل . وقد استمر الجميع يمارس لعبة الغميضة تلك حتى بلغت " فويب " السادسة عشرة

لتثبت للجميع ـ ماعدا والدها الذى ظل مقتنعاً بأنه كان يمسك بزمام الأمور ـ أنها فعلت ما تريد . وفى الوقت نفسه بدا الأب يعيد الكرَّة من جديد مع ابنته البالغة ثلاثة عشر ربيعاً والتى بدت فى الثالثة من عمرها .. وبإمكانكم تخمين الباقي . بعض الناس لا يتعلمون مطلقاً من أخطائهم .

٥ يونيو

دعونى الآن أقص عليكم حكاية أخرى مناقضة تماماً لحكاية " فويب " (انظر الصفحة السابقة) والتى تلاها علىّ والد " أليس " البالغة أربعة عشر عاماً ولكنها تبدو فى العشرين . فى أثناء إحدى العطلات العائلية ، اعترفت الابنة لوالدتها بأنها تعرفت على شاب أكبر منها والذى قام بتقبيلها . فسألتها أمها سريعاً : " ماذا فى اعتقادك يكون تالياً للتقبيل يا " أليس " ؟ " .

أخذت " أليس " تفكر لدقيقة ثم قالت : " اللمس على الأرجح " .

" وماذا فى اعتقادك يكون تالياً للمس ؟ " .

" ربما الذهاب إلى مكان ما ؟ " .

وظلت الأم تتبع كل إجابات " أليس " بهذا السؤال : " وماذا فى اعتقادك يكون تالياً لذلك ؟ " حتى عجزت الابنة عن الرد .

ثم طرحت عليها هذه الأم الفطنة هذا السؤال : " وفى أية مرحلة من المراحل السابقة تريدين أن تضعي حداً لهذا الأمر يا " أليس " ؟ " .

" إننى أستطيع أن أضع حداً للأمر واجعله لا يقترب منى " .

" وماذا لو أصر الصبى على الاقتراب منك ، ماذا ستفعلين حينها ؟ " .

ارتبكت " أليس " ، فلم تكن تعتقد أن الأمور قد تخرج عن نطاق سيطرتها أثناء لقائها بصديقها . وظلت هى وأمها تتحدثان طويلاً عما قد يحدث للفتاة إذا ما تركت شاباً ينفرد بها .

منى لهذه الأم كل التحية (والأب كذلك لدعمه طريقة تعامل زوجته مع الموقف) لانتهاز الفرصة لتلقين ابنتها درساً بدلاً من معاقبتها . فبهذه الطريقة ، نجحت الأم فى فتح قنوات التواصل مع الابنة واستطاعت أن تكون محل ثقتها لمناقشة مثل تلك الموضوعات الشائكة معها . فبدون أن تلقى عليها محاضرات أو تدينها ، دفعت الأم ابنتها إلى التفكر فى مخاطر فعلتها هذه . وأخيراً ، فقد دفعت الأم ابنتها برفق إلى تأمل حقيقة مخيفة ، وهى أن الصبية قد يعتدون على الفتيات رغماً عنهن إذا انفردوا بهن .

٦ يونيو

إن تحديد الموعد الملائم للسماح للابنة للخروج بصحبة الفتيان يعتمد على شخصية الفتاة نفسها أكثر مما يعتمد على سنها . فمن جانب ، لم تكن كل من " فويب " أو " أليس " مستعدة بعد للخروج برفقة الصبية . ومن الجانب الآخر ، يمكن إعداد كلتا الفتاتين لهذا الأمر . إن والدى " أليس " أدركا بفطنتهما أن معالجة الموقف بهدوء وحكمة أفضل كثيراً من فرض حصار على الابنة . فكان رد فعلهما تجاه الخطأ الذى اقترفته ابنتهما فى البداية فعالاً حقاً ، وبالتالى فقد نجحا فى مساعدة ابنتهما فى تلاشى مصيبة محققة .

إن الآباء لديهم كل الحق فى القلق على بناتهم أكثر من أولادهم حينما يتعلق الأمر بالخروج مع الجنس الآخر . وهنا يتطلب الأمر فرض قواعد ، ولكن القواعد وحدها لا تكفى ؛ فقد تكون سلاحاً ذا حدين . أما أكثر الطرق فاعلية وتوفيراً للأمان للفتيات فى هذا الصدد فهى أن يستغل الآباء تلك الفرص فى تعليم بناتهم كل شىء عن مسئولياتهن تجاه أنفسهن . ومن هذا المنطلق يمكن للآباء فرض قواعد واقعية .

يتفق معظم المتخصصين فى أن العلاقة الدافئة بين الأب وابنته هى أفضل رادع لوقوع الفتاة فى شراك أحد الصبية . فالفتاة التى تشعر بأنها تحظى باستحسان واحترام والدها لن تكون فقط غير راغبة فى تلقى مثل هذا الاستحسان من الصبية ، ولكن ستكون قادرة أيضاً على رفض كل ما لا ترغبه والتمسك بموقفها .

وأخيراً وليس آخراً ، فإن آباء اليوم بحاجة لأن يتقبلوا أن الزمن قد تغير منذ أن كانوا مراهقين . وأكبر التغييرات التى شهدها هذا العصر هو اختفاء الفجوة بين الجنسين . ففى عالم مراهقى التسعينيات ، من المسموح للفتاة أن تحادث صبياً هاتفياً كما من المسموح لها أن تخرج بصحبته وأن تدفع ثمن وجبة غذائها وتذكرة السينما الخاصة بها . وكنتيجة لهذا ، تشعر الفتاة المراهقة اليوم بأنها أكثر سيطرة على ملاقاتها بالفتيان الآخرين مقارنة بغيرها من الفتيات من الأجيال السابقة . وأنا هنا أريد أن أدلى برأيى بصفتى أباً ومراهقاً سابقاً ، أعتقد أن هذا رائع !

٧ يونيو

سؤال : بمجرد أن يبدأ الطفل فى كسب مال خاص به ، هل من الممكن لأبويه أن يشرعا فى فرض شروط بعينها بشأن كيفية إنفاق الطفل لهذه النقود ؟

إجابة : فى الحقيقة ، باستطاعة الآباء فرض شروط على الطريقة التى ينفق بها أطفالهم مالهم الخاص ، ولكن من الأحرى لهم اختيار معاركهم بدقة . فمن المنطقى أن يعترض الآباء على شراء أبنائهم أشياء قد تعرض حياتهم للخطر (كالدراجات البخارية) أو تتعارض بشكل مباشر مع القيم العائلية . ومع ذلك ، فإن فرض قواعد تعسفية وهوائية سوف يخلف مزيداً من المشكلات بدلاً من أن يحلها . ومما يزيد من حدة هذه المشكلات هو ذوق الأطفال الشنيع فى الموسيقى والملابس .

بيد أن محاولات منع شراء مثل هذه الأشياء لن تبوء فقط بالفشل ولكنها ستؤثر أيضاً بالسلب على العلاقة بين الطفل وأبيه . اسأل نفسك : " هل تستحق قطعة من الملابس أن تتسبب فى صراع بينك وبين طفلك أو فى نشوب مشكلات من حيث التواصل بينكما أو حتى أساليب الخداع التى سيتبعها طفلك معك بعد ذلك ؟ " بعد أن قمتُ بتربية اثنين من المراهقين ، فإننى أنصح الآباء بتوفير جهدهم وطاقتهم لمشكلات وأمور أكثر أهمية .

٨ يونيو

إن لدىّ بعض التحفظات على معظم ما تطلق عليه الشبكات التليفزيونية الرئيسية " مسلسلات العائلة الكوميدية " . مما لا شك فيه أن موضوعات مثل تلك المسلسلات (معظمها) لن تؤدى إلى إفساد أخلاق الطفل ؛ فهى لا تشتمل على مشاهد جنسية أو عنيفة أو تدعو إلى التعصب العرقى أو الجنسى . ولكن تحت ذلك المظهر البرىء لتلك الأعمال يوجد مضمون يحمل بعض الضرر . فأولاً ، يلعب الأطفال أدواراً غير متجانسة فى هذه المسلسلات . ثانياً ، الطريقة التى تصور العلاقة بين الآباء وأطفالهم تعد غير لائقة . كما أن نسبة ظهور الأطفال فى تلك المسلسلات تعادل تقريباً - إن لم تكن تفوق - نسبة ظهور البالغين . إن ظهور الأطفال فى الأعمال التليفزيونية والسينمائية فى حد ذاته ليس أمراً مستحدثاً ؛ فقد استمتعت للغاية بدور الطفل " تيمى " فى مسلسل " ليزى " ، كما كان " ريكى نيلسون " هو السبب الوحيد لمشاهدتى " أوزى آند هاريت " . ولكن الفارق أنه لم يسبق لـ " تيمى " أو " ريكى " أن تحدثا بوقاحة إلى آبائهما . نعم لقد كانا نجمين ، ولكنهما كانا يحترمان من هم أكبر منهما . وعلى النقيض من ذلك فقد أصبح التهكم أو السخرية هو السمة المميزة للعلاقة بين الآباء والأطفال فى " مسلسلات العائلة الكوميدية " التى تعرض أمثالها اليوم على الشاشة الصغيرة . قد يتهمنى البعض بأننى أفقد حس الدعابة لدىّ - كما أفقد شَعرى - ولكن ذلك الأمر يستفزنى حقاً . وما يزيد من استفزازى أنه كل مرة يكسب فيها الطفل موقفاً ضد أبيه ، ينفجر الجميع فى الضحك . وأنا أتساءل ، هل مثل تلك المسلسلات ترسخ فى عقول أطفالنا فكرة العلاقة الندية بين الطفل وأبيه ، وأن التفوق على الوالد من الناحية اللفظية هو أحد أشكال الإنجاز ، ناهيك عن خفة الظل ؟ هل تريد مثل تلك الأعمال تأكيد الاعتقاد السائد بالفعل بأن العالم يدور من حول الأطفال ؟ أم أنها فقط تحاكى الحياة الواقعية ؟ عندما أفكر فى هذا الأمر ، أجد أن الاحتمال الثانى يؤرقنى أكثر .

٩ يونيو

فيما يتعلق بمصطلح " ضعف المقدرة على التعلم " ، من المهم أن يدرك الآباء ماذا تعنى كلمة " ضعف المقدرة " . فهى لا تعنى - كما يعتقد الكثيرون - إعاقة من أى نوع ، إنما فقط تشير إلى وجود اضطراب ما فى مقدرة معينة . لذا عندما نقول إن طفلاً ما يعانى من ضعف فى المقدرة السمعية ، فإننا لا نعنى بذلك أنه عاجز عن تلقى العلم عن طريق الاستماع ، ولكنه فقط يعانى من صعوبة نسبية فى التعلم عن طريق القنوات السمعية .

أيضاً قد يولد مصطلح " ضعف المقدرة " انطباعاً بأن مثل هذه المشكلات مستديمة ولا يمكن التغلب عليها ، وأننا لا يمكن أن نتوقع من طفل مصاب بضعف القدرة على التعلم أن يتمتع بنفس المستوى الأكاديمى لطفل لا يعانى هذا الخلل ، وأنه يجب استخدام أساليب وأدوات تعليمية خاصة مع مثل هؤلاء الأطفال ، وما إلى ذلك . ولكنى اكتشفت أن مثل هذه المعتقدات ليست صحيحة . إن الطفل المصاب بضعف فى المقدرة على التعلم قد يكون بحاجة لمزيد من الوقت والجهد لتعلم مهام بعينها ، ولكنه قادر على استيعاب المعلومات والتفوق شأنه فى ذلك شأن أى طفل معافى آخر . إن آخر ما يحتاجه مثل هذا الطفل هو شخص بالغ يساعده - بدافع الشفقة - على تجنب أداء مهام معينة فقط لأنها قد تجعله يشعر بالإحباط . ولكن الحقيقة هى أنه مهما بلغت درجة الضعف الذى يعانيه الطفل فى مقدرة ما ، فإنه من الممكن معالجته فقط عن طريق حمل الطفل على أداء المهام التى تمثل صعوبة بالغة بالنسبة له . ولسوء الحظ ، فإن معظم متخصصى " ضعف المقدرة على التعلم " يخاطبون نقاط القوة فقط لدى الأطفال المصابين بهذه الحالة . إن مخاطبة نقاط القوة لدى هذا الطفل قد تنجح فى معالجة عواقب المشكلة التى يعانى منها ، ولكنها قد تعمل أيضاً على جعل نقاط الضعف لديه أكثر ضعفاً .

١٠ يونيو

إذا نجـح المتخصصـون فـى إقنـاع الآبـاء بالامتنـاع عـن اسـتخدام أسـلوب الضرب ، فما الخطوة التالية لذلك ؟ إنهم قد يستخدمون نفس المبررات التـى استخدموها لتعليل عدم استخدام الضرب ـ وهـو أن للضـرب آثـاراً سـيكولوجية سلبية على الطفل ـ لتعليل عدم استخدام أساليب تهذيبية أخرى مثل التعنيف اللفظى وحبس الأطفال فى حجراتهم ومنع المراهقين من مغـادرة المنـزل لفـترات طويلة وما إلى ذلك . وإن كنت تعتقد أن وجود قانون يمنع تعنيف الطفل لفظيـاً هو أمر مستحيل ومبالغ فيه ، فتأمل الحقيقة التالية : منذ جيل واحد لم يكـن الآباء ليعتقدوا أنه قد يأتى يوم يظهر فيه قانون يمنـع الوالـد مـن ضـرب طفلـه على مؤخرته ـ فنحن نعيش فى عالم حر على الـرغم مـن كـل شـىء . صـدقنى حينما أقول لك إن قانون حظر الضرب هو مجرد خطوة أولى فى سـبيل قـوانين أخرى أكثر سخافة .

١١ يونيو

منذ ثلاثين عاماً مضت ، قام متخصصو الصحة الذهنية بانتزاع عجلة قيادة تربية الأطفال من الجيل الأكبر سناً ، وانحرفوا بشدة ناحية اليسار مصطحبين معهم الآباء نحو منعطف مظلم ومجهول ، والذى مازلنا متكدسين بداخله لا نعلم أين نذهب .

لقد اقتنع جيلى من الآباء بأن الأشخاص الذين يحملون درجات علمية كبيرة هم أكثر دراية بأمور تربية الأطفال من آبائنا وأجدادنا . ولقد أخبرنا هؤلاء المتخصصون بأنه ليس كافياً أن نراقب سلوكيات أطفالنا ونكون لهم بمثابة مثال يحتذون به ونهذبهم جيداً ، إنما علينا أن نكرس لهم الكثير من الانتباه ونثنى عليهم ونتدخل فى كل شئونهم - كل ذلك من أجل حقنهم بجرعات كبيرة من الثقة بالنفس . وبعد أن أصبحت مثل تلك الأفكار جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الأمريكية ، استقرت العربة أمام الحصان .

لقد أدركت جميع الأجيال السابقة أهمية الاستحواذ على انتباه الطفل واحترامه ، فالأطفال بطبعهم متمركزون حول ذواتهم ، لذا فإن استخدام أساليب الحزم مع الأطفال (بجانب العقاب وعدم التردد) كان ضرورياً لانتشال الأطفال من حالة الانغماس الذاتى تلك .

بيد أن أساليب التربية التقليدية لم يعد لها مكان وسط الأساليب الحديثة التى تضع الطفل تحت بؤرة الاهتمام ، فلقد تحول الوالد الذى يتبع الأساليب قديمة الطراز إلى طاغية يتعمد قهر واستغلال أطفاله . لذا فقد أصبحت الأسرة التقليدية بناء مريضاً يسيطر عليه الإيذاء والاعتداء .

ومن منطلق إيماننا بأننا بحاجة إلى علاج نفسى خوفاً من أننا لو اتبعنا غرائزنا الخاصة - ناهيك عن الأساليب المريضة الخاصة بآبائنا - فإن النتائج السلبية لهذا الأمر سوف تصب فوق رؤوس أطفالنا ، وإننا بذلك سمحنا لمجتمع الإخصائيين بتولى عجلة القيادة فى طريق لم يطرقه أحد من قبل ولا نعرف إلى أين يؤدى .

لقد أصبحت الأسرة الأمريكية تمارس لعبة غير واضحة القواعد فقط من أجل " تحقيق الأفضل للجيل الجديد " . لكن حان الوقت للتوقف عن المضى فى هذا الطريق الشائك والاستدارة إلى أن نعود للدرب الصحيح . وعندما نفعل ذلك أقترح أن نوجه ثلاث كلمات فقط لمتخصصى الصحة الذهنية ألا وهى " اتركونا لحال سبيلنا ! " .

١٢ يونيو

إن أسئلة " لماذا ؟ " التى لا تنتهى هى إحدى السمات المميزة لطفل الثانية . وفى البداية يكون الغرض من تلك الأسئلة الحصول على معلومة . لهذا ينبغى أن توفر لطفلك هذه المعلومة ، بيد أنه ليس ضرورياً أن تكون تلك المعلومات صحيحة . فى الحقيقة ، من الممكن أن تكون إجابتك مجرد خيال جامح مادامت لها علاقة بالسؤال الأصلى . فإن سألك طفلك البالغ عامين من العمر مثلاً " لماذا ؟ " تهبط الشمس لأسفل ، يمكنك أن تقول له : " لأنها متعبة وبحاجة للنوم " ، أو " لأنها تمارس معك لعبة الاختفاء والظهور " . ولا توجد إجابة أفضل من الأخرى ، بل لا بأس كذلك من أن تعطى طفلك إجابة مختلفة فى كل مرة يطرح فيها نفس السؤال ! وإن كنت تعتقد أن ما أقترحه هو شىء شبيه بالكذب ، فألق نظرة على كتب الأطفال المتوافرة فى الأسواق والمخصصة لتلك المرحلة العمرية . فستجد فيها مخلوقات عجيبة وشجراً يتحدث وكل أشكال الأمور المستحيلة . وما أرمى إليه أنه ليس من الضرورى أن تتحرى الدقة فى وصف العالم الخارجى لطفلك ، بل حاول فقط أن تصفه له بطريقة مبسطة يستطيع استيعابها . فإن كان من الضرورى أن نوفر للأطفال دوماً إجابات صحيحة ودقيقة ، فسوف نضطر إلى أن نقرأ لهم من الموسوعات الثقافية عوضاً عن كتب الحكايات .

١٣ يونيو

إن الشروح التقليدية لاضطراب نقص الانتباه (ADD) ـ والتى من بينها أن الأطفال المصابين بهذه الحالة يعانون من مشكلة جينية وراثية تجعلهم عاجزين عن الانتباه الكافى لآبائهم ومعلميهم ـ تبدو مبهمة بالنسبة لى . إننى عادة ما أتحدث إلى جمهور مكون من خمسمائة شخص أو أكثر لمدة لا تقل عن تسعين دقيقة ، وأنا أعتقد أن الاستحواذ على انتباه الجمهور هى مسئوليتى أنا وحدى . فإن انتبهوا لى ، فقد أديت مهمتى بنجاح ، أما إن لم ينتبهوا لى فهذا يعنى أننى أخفقت . وفى هذه الحالة لا يكونون هم من عانوا من مشكلة بل أنا ! فضلاً عن ذلك ، فلابد أن أحاول فى هذه الحالة اكتشاف طبيعة المشكلة التى أعانى منها وبسرعة ، وإلا فلن أستطيع الاستمرار طويلاً فى مهنة التحدث للجمهور . لطالما سمعت المتحدثين يبررون عدم انتباه الجماهير لهم ، فيدعون مثلاً أن القاعة كانت شديدة الحرارة ، أو أن المحاضرة كانت فى نهاية اليوم وكان الجمهور متعباً . لكن من الواضح أنهم لا يستوعبون حقيقة الأمر ، فهم لا يدركون أن النجاح فى الاستحواذ على انتباه الجمهور ليس له علاقة بالجمهور نفسه أو حتى القاعة ، بل إنه راجع للمتحدث نفسه ! وأنا أعتقد أن مثل هؤلاء المتحدثين الذين لا يلتفت إليهم أحد يشبهون كثيراً آباء الأطفال الذين يعانون من حالة نقص الانتباه هذه ـ هؤلاء الآباء الذين يرفضون مجرد التفكير فى أنهم قد يكونون السبب فى عدم مقدرة أبنائهم على التركيز . إن المتحدث الذى لا ينتبه الجمهور إليه لن يستطيع إيجاد حل لهذه المشكلة إلا إذا تحمل مسئوليتها كاملة . وبالمثل فإننى أؤكد أن آباء الأطفال الذين يعانون من تلك المشكلة المزعومة لن يستطيعوا حلها إلا إذا تحملوا مسئوليتها كاملة . وحتى يفعلوا ذلك يجب أن يدركوا أولاً أنهم فشلوا فى الاستحواذ على انتباه أطفالهم ويجب أن يتعلموا كيفية القيام بذلك .

١٤ يونيو

منذ الحـرب العالميـة الثانيـة ، أصـبحنا مهووسـين بتربيـة الأطفـال . فقد اتخذت تربية الأطفال شكلاً علمياً بعد أن كانت مجرد مسئولية فطرية . وكـان نتيجة ذلك أن شعر الآباء بـأنهم مثقلـون بمسـئولية كـبرى . وفـى خـلال تلـك العملية ، قلدنا أبناءنا منصب الزعامة الأسرية ، وهـو منصـب لا يسـتحقونه ، وبالطبع لم يبذلوا جهداً للحصول عليه كما أنهم لن يجنوا شيئاً من خلاله .

فى داخل أية أسرة محورهـا الطفـل ـ والتـى أصـبحت العـرف السـائد فـى معظم الأسر ـ يوجد اتفاق ضمنى بأن الأطفال هـم أكثـر أفـراد الأسـرة أهميـة ، وأن العلاقـة بـين الطفـل وأبيـه هـى الأهـم كـذلك داخـل الأسـرة . وكلمـا انصـب اهتمـام أيـة أسـرة علـى الطفـل ازداد الأطفـال أنانيـة وتمركـزاً حـول ذواتهـم ، وازدادت كـذلك مهمـة تـربيتهم صـعوبة . فـذاك الأمـر يـؤدى إلى هذا .

١٥ يونيو

ذات يوم ليس ببعيد ، كان كل طفل أمريكى تقريباً يقضى يوم الأم بصحبة كل من أبيه وأمه ، أما اليوم فقد أصبح هذا أمراً استثنائياً . فقد أظهرت الإحصائيات أن نحو ٦ ٪ فقط من الأطفال السود و ٣٠٪ من الأطفال البيض من مواليد عام ١٩٨٠ هم من يستمرون فى العيش مع آبائهم الأصليين حتى سن الثامنة عشرة . وقد كانت تلك النسب فى الإحصائية التى أجريت على الأطفال من مواليد عام ١٩٥٠ هى ٥٢٪ و ٨١٪ على التوالى . فالآن أصبحت أسرة من بين كل ثلاث أسر يتولى شئونها رب أسرة واحد ، بالإضافة إلى أن تسعاً من بين كل عشر أسرٍ تتولى رعايتها أم معيلة . كما أن نحو ٣٦ ٪ من بين كل الأطفال يعيشون بعيداً عن آبائهم الأصليين .

لقد تحول الآن رباط الزواج المقدس إلى مجرد عقد سخيف يمكن لأى من الطرفين فسخه عند أول أزمة زوجية متعللاً بهذه العبارة " أنا لست سعيداً " . فى الحقيقة ، إن الأزواج أصبحوا يقدمون على مخاطرة الطلاق أكثر مما يخاطرون بالتقصير فى دفع أحد قروض المنزل .

وقد ثبت مؤخراً أن الأطفال ممن ينشأون فى كنف آبائهم الحقيقيين هم الأكثر استفادة من الناحية العاطفية والاقتصادية والاجتماعية والأكاديمية والتطورية . فمنذ أن انتشرت حالات الطلاق التى يدعى كلا طرفيها أنه ليس مذنباً ، انخفضت معدلات الصحة الذهنية وجميع القيم الإيجابية لدى الأطفال . فمقارنة بنظيره من مواليد الستينيات ، وارتفع احتمال قيام طفل اليوم بارتكاب جريمة عنيفة (وجرائم الأطفال أصبحت فى تزايد مستمر اليوم) ، أو الاعتداء على أبيه ، أو معلمه ، أو إدمان المخدرات ، أو الكحوليات ، أو كليهما ، أو يصاب باكتئاب حاد ، أو يعانى من مشكلة فى القراءة ، أو يصبح من العسير تهذيبه أو يتدهور أداؤه الدراسى .

لقد صور متخصصو الصحة الذهنية الأسرة التى تعانى خللاً كالآتى : الزوج (الأب) هو مجرد طاغية يخضع الجميع لسلطته عن طريق الاعتداء على الزوجة والأطفال والتلاعب بهم . فى الحقيقة ، يتوافر المزيد من الأمن للنساء والأطفال فى حالة وجود رجل بالمنزل ، كما يكونون أكثر أمناً إن كان هذا الرجل هو والدهم .

١٦ يونيو

إن لم يلتزم الآباء الحزم مع الطفل فسيظل هذا الطفل يكسر ويكسر ويكسر القواعد . والطفل لا يجد بداً من القيام بذلك . وهذا الخروج الدائم عن القواعد ـ والذى يسمى أيضاً بعدم الطاعة ـ هو عبارة عن محاولة من جانب الطفل لشل حركة والده . إليك حقيقة لا تقبل الجدل : كسر القواعد يزيد من حدة توتر العلاقة بين الوالد وطفله ، وبالتالى يمثل عقبة فى سبيل التواصل الفعال والخلاق بينهما . وأفضل الطرق لوضع حد لعملية كسر القواعد تلك هى التوضيح للطفل أنك تدرك جيداً وضعك داخل الأسرة ووضعه هو . وحينئذ لن يستمر كسر الطفل للقواعد طويلاً ، حتى يتوقف نهائياً . وعندما تقل حدة التوتر فى علاقة الوالد بطفله سوف تتفتح ممرات وقنوات التواصل والود بينهما . الآن ، هل تريد أن تجمعك علاقة ودودة مع طفلك ؟ إذن لا مناص أمامك من أن توضح له أولاً أنك أهم شخص فى حياته ، وثانياً أنه يجب أن ينصاع لأوامرك ، وثالثاً لأنك فقط قلت ذلك وليس لأى سبب آخر (حتى لو أعطيته سبباً) .

١٧ يونيو

إن استخدام التقنيات والخطط ليس هو مفتاح التهذيب الناجح .

ولكن للأسف فإن معظم الآباء يعتقدون عكس ذلك . فهم يلجأون إلى المقالات التى تدور حول " التربية " والمجلات والكتب بحثاً عن إجابات لأسئلة " ماذا يجب أن نفعل ؟ " اللانهائية : ماذا يجب أن نفعل عندما يعض ابننا البالغ من العمر عامين كلب العائلة ؟ ماذا يجب أن نفعل عندما ينخرط طفلنا ذو الأربعة أعوام فى نوبة غضب عنيفة فى مكان عام ؟ (الإجابة : اختبئ) وما إلى ذلك .

إن آباء اليوم يجمعون التقنيات التى يوصى بها المتخصصون ويضعونها فى " ملف التهذيب " تحسباً للحاجة المستقبلية لها ، ويخزنون ذلك الملف فى فص المخ الأيسر . وعندما تطرأ مشكلة تهذيبية ، يبدأون فى استرجاع التقنية التهذيبية " الصحيحة " ويستخدمونها . إن مثل هؤلاء الآباء يعتقدون أن التهذيب الناجح ما هو إلا مجموعة من التقنيات . نعم لقد أدى المتخصصون مهمتهم على أكمل وجه ونجحوا فى ترسيخ مثل هذا الاعتقاد فى عقول الآباء .

وفى حين أن بعض هذه التقنيات يحمل دون شك بعض المزايا ، إلا أن التقنيات ليست هى جوهر التهذيب وإنما الثقة بالنفس . فإذا نجحت كوالد فى إضفاء الثقة بالنفس على جميع معاملاتك مع طفلك ، فلن تشكل سلوكيات طفلك السيئة أية مشكلة بالنسبة لك فقط ، ولكن أيضاً حينما تبزغ أية مشكلة تهذيبية فسيكون أى أسلوب تهذيبى تستخدمه فعالاً حقاً . أما إن كنت تفتقر إلى الثقة بالنفس ـ على الجانب الآخر ـ فسوف تمثل لك العملية التهذيبية مشكلة كبرى ولن تؤتى أية تقنية ثمارها ـ على الأقل ليس على المدى الطويل . ففى البداية ، قد تفاجئ التقنية الجديدة الطفل سيئ السلوك مما قد يؤدى إلى تحسن مؤقت فى سلوكه . ولكن إن آجلاً أو عاجلاً ، سوف ينجح الطفل فى اكتشاف الخدعة ومعرفة أنك مازلت كما أنت . وعند تلك النقطة ، سينقلب الموقف لصالح الطفل ، لأنك مهما قلت أو فعلت فإنك أنت الذى تصنع كل الفارق وليس التقنيات .

١٨ يونيو

فى أغلب الأحوال ، لا يكون طفل اليوم بحاجة إلى مساعدة أبويه فى واجباته المدرسية . لكن اليوم يجلس أحد الأبوين (والذى غالباً ما يكون الأم) بجانب الطفل على طاولة المطبخ ويساعده بكل ما أوتى من قوة للانتهاء من واجباته . ويحصل الطفل على درجات جيدة ولكنه لا يتعلم كيف يتحمل المسئولية ويبادر بإيجاد حلول حينما تجابهه عقبات الحياة ويضع الأولويات ويستغل وقته بالشكل الصحيح ويستخدم أسلوب المحاولة والخطأ حينما يكون بصدد حل إحدى المشكلات . فوالده المتعاون يبذل كل ما فى وسعه ليتأكد من أن طفله لن يخطئ ، وبالتالى لا يبقى للطفل شيء يتعلم من خلاله .

ففى خلال هذه العملية خان الوالد ـ دون قصد منه ـ ثقة طفله فيه وانتزع منه فرصاً غالية للتعلم من خلال التغلب على الصعوبات ، والذى يعد أكثر طرق التعليم قيمة . وبعد ذلك يتساءل هؤلاء الآباء فى دهشة عن كيف يصبح طفل حباه الله أبوين محبين وكريمين إلى هذا الحد ناكراً للجميل بهذه الطريقة وتائهاً ومنتحباً ويعتمد على غيره فى كل شيء ؟!

١٩ يونيو

يجب أن أعترف بأن جميع أفكارى بخصوص تربية الأطفال عتيقة الطراز . فأنا أومن أن مهمة الوالد الرئيسية هى مساعدة طفله على التعرف على حقائق العالم من حوله والاعتماد على ذاته . لا أحد يستطيع أن ينكر أنه حتى فى المجتمعات الديمقراطية ، فإن ممثلى السلطة ـ كالمعلمين والمشرعين وأصحاب الأعمال ـ هم من يصنعون القرارات الاستبدادية ويعملون على تنفيذها . فهناك دوماً من يقرر أن الأمور ستسير بهذه الطريقة وليست بأخرى ، وأن الخط سوف يرسم هنا وليس هناك وأن قاعدة ما سوف تتم وفقاً لمقياس معين وليس آخر ، وهكذا . إن تلك هى الطريقة التى تسير بها الأمور . لماذا ؟ لأن هذا الشخص ـ أو مجموعة الأشخاص ـ قال ذلك . وعندما يقر هذا الشخص شيئاً ما لابد أن نرضخ ونرضى به ، على الأقل حتى تأتى سلطة أخرى وتصدر قرارات مستبدة مختلفة .

وبالمثل ، فإن قرارات أربعة من كل خمسة آباء لا تستند إلى شىء سوى الأهواء الشخصية . وعندما تكون هذه هى الحالة ، تكون تلك العبارة " لأننى قلت هذا " (أو أية عبارة أخرى على شاكلتها) هى أكثر الإجابات صدقاً وأمانة . ولا يجب أن تصاحب تلك العبارة علامات الغضب والثورة بل يمكنك التفوه بها بكل هدوء .

٢٠ يونيو

منذ عدة سنوات مضت ، تحدثت مع أم لطفلة تبلغ عامين من العمر اعتادت أن تصرخ وتتشبث بأمها فى كل مرة تحاول فيها تركها فى دار الحضانة . وكانت تلك الأم مقتنعة كل الاقتناع بأن عدم رغبة طفلتها فى الانفصال عنها ناتج عن شعورها العميق بعدم الأمان (وهذا الاعتقاد ما هو إلا إحدى الأفكار التى خلفها علماء النفس والمتخصصون فى هذا العالم) . وقد نصحتها بأن تشجع ابنتها على الصراخ بأقصى ما أوتيت من قوة .

لذا ففى أثناء اصطحابها للحضانة فى المرة التالية أخذت الأم تقول لابنتها أشياء من قبيل : " إنه نهار جميل للصراخ . هل تعلمين أنك عندما تصرخين فى المدرسة أعرف مدى حبك لى ، لذلك من فضلك اصرخى اليوم أيضاً ، حسناً ؟ وحاولى أن تصرخى بشدة حتى أدرك أنك تحبيننى حقاً ! " وعندما وصلتا إلى الحضانة ، أعلنت الابنة أنها ستدخل بمفردها . فربما لم ترغب الابنة فى أن يراها أحد مع أمها وقد فقدت قواها العقلية . ومنذ ذلك الحين توقفت الابنة عن الصراخ .

٢١ يونيو

سؤال : عادة ما يخبرنا أصدقاؤنا بأن المراهقين سوف يعاقرون الخمر فى كافة الأحوال ، وأنه من غير الواقعى أن نطلب من أبنائنا المراهقين عدم تعاطى الخمر لأنهم سيتعاطونه من وراء ظهورنا . فماذا نفعل ؟

إجابة : إليك حقيقة لا تقبل الجدل : إن الآباء الذين يعتقدون أن تعاطى المراهقين للخمر أو حتى المخدرات هو أمر حتمي ، سوف يتعاطى أبناؤهم الخمر أو المخدرات . فعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من المراهقين سوف يتعاطون بالفعل هذه المواد ، إلا أنه فى المقابل توجد نسبة كبيرة من المراهقين لا تفعل ذلك . وما يشكل كل الفرق بين المجموعتين هو آباء يتبعون أساليب حازمة ـ لكن لا تنطوى على أية عقوبات ـ فيما يختص بمثل تلك الأمور .

سؤال : ابنتى " آماندا " فى الصف الثانى الابتدائى ، وقد بدأ يصدر عنها مؤخراً بعض السلوكيات السيئة . وهى ليست بالسلوكيات الخطيرة ولكننى أود أن أستأصل المشكلة من جذورها . هل لديك أية اقتراحات ؟

إجابة : باستخدام بطاقات إحدى المفكرات ، اصنعى ملفاً وأطلقى عليه اسم بطاقات التقرير اليومى ، وأعطيها للطفلة لتأخذها معها إلى المدرسة . لكن قبل ذلك اكتبى فى كل ورقة هذه العبارة : " اليوم ، سلوك " آماندا " كان ممتازاً / جيداً / سيئاً " . وفى نهاية اليوم الدراسى ، تذهب " آماندا " بالملف إلى معلمتها التى تضع دائرة حول الوصف المناسب لسلوك الطفلة فى هذا اليوم وتوقع البطاقة مضيفة أية تعليقات مهمة . وعلى " آماندا " بعد ذلك أن تجلب الملف إلى المنزل . وفى المنزل ، تضاف أية مزايا تالية لليوم الدراسى تحصل عليها الطفلة إلى هذا التقرير . و " ممتاز " تعنى أن الطفلة لها الحق فى التمتع بجميع المزايا ، أما " جيد " فتعنى أنها ستحرم من ميزة مهمة ، ودرجة " سيئ " تعنى أنها ستحرم من جميع المزايا . وإن لم تجلب الطفلة البطاقة إلى المنزل ، فلن تقبل أمها منها أية أعذار . وفى هذه الحالة سوف تحرم الطفلة من جميع مزاياها وسوف تذهب إلى الفراش قبل الموعد المحدد بساعة كاملة . إن هذا التقرير اليومى يبنى جسراً من التواصل بين المدرسة والمنزل . فالآن ما تفعله " آماندا " فى المدرسة يؤثر على ما تريد القيام به بعد المدرسة . وإن اتسمت تقارير المعلمة بالدقة وإن حرصت على تتبعها يومياً فسوف تنجح " آماندا " فى التخلص من سلوكياتها السيئة فى الفصل فى غضون مدة قصيرة .

٢٣ يونيو

بإمكاننا وصف " أسرار " تربية الأطفال الخاصة بالجدة بأنها خلاصة الحكمة التى ورثتها عن أبويها واللذين ورثاها بدورهما عن أبويهما وهكذا . وقد اتسمت تلك الأفكار بأنها فطرية وعامة ؛ أى أنها كانت متفقاً عليها من قبل الجميع فى كل أنحاء العالم . فلم يكن هنالك أى خلاف بخصوص هذه الأفكار . فآباء الأمس أدركوا بفطرتهم السليمة الطرق المثلى لتربية الأطفال وقاموا " بما ينبغى عليهم القيام به ، وهذا هو كل ما فى الأمر " . ومن الحِكَم المأثورة للجدة فى التربية سنورد ما يلى :

- " يجب أن يكون الأطفال مرئيين وليسوا مسموعين " .
- " لا يمكنك الحصول على شىء دون مقابل " (والتى تصاغ بأشكال أخرى أيضاً : " إن كنت تأكل فيجب أن تعمل " و " لابد أن تعمل فى مقابل وجودك فى هذا المنزل ") .
- " سوف أمدك بالأدوات اللازمة لعقاب نفسك " .
- " إنك مضطر لأن تستلقى على الأسِرة التى رتبتها " .
- " سوف أتركك تتحمل مسئولية فعلتك هذه " .
- " إن الأطفال يرغبون فى الحصول على شريحة الخبز مدونة بالزبد من كلتا الناحيتين " (أو " يرغب الأطفال فى الحصول على الكعكة وتناولها أيضاً ") .
- " إنك من تتولى التجديف فى قاربك الخاص " (أو " تواجه مشاكلك بنفسك ") .
- " لقد حان وقت خفض السارية من أجلك " .
- " إن مراقبة غليان الماء على النار تمنع انسكابه من الإناء " .

بهذه الحكم التربوية نجحت الجدة فى تهذيب أطفالها ، وبالتالى تحويل تلك الكائنات المتوحشة إلى مواطنين مسئولين .

٢٤ يونيو

فى أثناء حديث لى مع إحدى المحطات الإذاعية والذى كان يدور فى الأساس حول حاجة الطفل للتهذيب ، اتصل أحد السادة الأفاضل الذى بعد أن عرَّفنا بنفسه كاستشارى للشئون الأسرية أكد أنه غير متفق تماماً مع وجهة نظرى .

فقال : " **إن مهمتنا الرئيسية كآباء ليست التهذيب ، وإنما هى الكشف عن الجوهر الحقيقى لأطفالنا ومساعدتهم على اكتشاف ذواتهم** " .

ولعل ما سبق هو أحد الأمثلة الرائعة التى تبرر ضرورة تشكك الآباء فى كل ما يقوله متخصصو الصحة الذهنية (ولا تنسوا أننى أحدهم) فيما يتعلق بتربية الأطفال . فبالله عليك ، أخبرنى ماذا تعنى هذه العبارة : " الكشف عن الجوهر الحقيقى لأطفالنا .. إلخ " ؟ والإجابة بالطبع هى أن هذا هو محض هراء لا يحمل أى معنى ، لا شىء أكثر من مجرد هراء سيكولوجى . إن متخصصى الصحة النفسية الذين يؤيدون مثل هذه الآراء غير الواقعية إنما يستترون على حقيقة مهمة وهى أنهم لا يمتلكون أدنى فكرة عن حقائق تربية الأطفال .

إليك الحقيقة التالية : إن الآباء الذين يهذبون أطفالهم جيداً بغرض تعليمهم مبادئ المواطنة الصحيحة سوف يقدمون للمجتمع بالغين أصحاء من الناحية الروحية والنفسية . فلابد أن يوضع الحصان أمام العربة . علاوة على ذلك ، فإن فكرة " اكتشاف الأطفال لذواتهم " سخيفة حقاً . فالإنسان لا يكتشف حقيقة ذاته قبل أن يصل إلى خريف العمر ، هذا إن اكتشفها من الأساس . فمثل هذا الاكتشاف يتطلب إدراك المرء لحقيقة مهمة ألا وهى أن أكثر الأشياء قيمة فى الحياة ليست هى الأشياء المادية . وهذا الإدراك بدوره يتطلب البعد عن الاعتقاد فى مركزية الذات . وأعتقد أن الأطفال هم أبعد من يكونون عن التوصيف السابق ، وإن كان يوجد من يعتقد خلاف ذلك فهو يعيش فى عالم الخيال وليس فى عالمنا هذا .

٢٥ يونيو

إن كنت تريد أن تجعل عملية تربية الأطفال أمراً بالغ الصعوبة ، فقط ضع طفلك فى المرتبة الأولى داخل أسرتك ، وستصبح كذلك . فأنت حينما تمنح أطفالك مثل هذه المكانة ، تضمن بذلك أنهم سوف يتلاعبون بك ويصبحون كثيرى الطلبات وغير مقدرين أو شاكرين لأى شىء وكل شىء تقوم به من أجلهم . إنك تضمن بذلك أنهم سيكبرون وهم يؤمنون أن باستطاعتهم فعل ما يحلو لهم ، وإنه ليس من حقك أن تتوقع منهم تولى أية مسئولية بالمنزل ، وأنها مسئوليتك أنت أن تمنحهم كل ما يريدونه وتمنحهم إياه بكافة الطرق الممكنة . كما أن اعتبار الأطفال أهم أفراد الأسرة سوف يجعلك تشعر أن تجربة الأبوة هى أكثر التجارب التى مررت بها فى حياتك إحباطاً . وفى الوقت نفسه فإن معاملة الأطفال بهذه الطريقة لن تؤدى بهم إلا إلى الشعور بالتعاسة فى نهاية المطاف ، وذلك لأن السعادة تتحقق فقط عند تحمل مسئولية الذات وليس عند إقناعك بأن شخصاً آخر مسئول عن كل تصرفاتك .

إنها مسألة أولويات . ففى داخل أية أسرة لابد أن توضع العلاقة بين الزوجين فى المرتبة الأولى . فعلى الرغم من كل شىء فإن الزواج هو سبب وجود الأسرة وهو ما يضمن استمرارها . إن الزواج يسبق وجود الأطفال والغرض منه ضمان نجاحهم ، لذا فإن لم تضع زواجك دوماً فى المرتبة الأولى ـ وتبقيه هنالك ـ فسوف يتحول على الأرجح إلى مجرد سراب .

٢٦ يونيو

بالنسبة للطفل ، فإن الوالد الذى يعامل الأطفال المختلفين كل على نحو مختلف إنما يفضل بعضهم على بعض . فإن سمحت مثلاً لابنك البالغ من العمر خمسة عشر عاماً بالبقاء خارج المنزل فى ليالى العطلات حتى العاشرة والنصف ولكن أصررت أن يعود طفلك ذو الثلاثة عشر ربيعاً للمنزل قبل التاسعة ، فسوف يتهمك الأخير دون شك بأنك لست عادلاً (لكن لا تحزن ، ففي كل مرة تقوم بشيء ما يجعل أحد أطفالك ينقم عليك ويصرخ فى وجهك قائلاً : " إنك لست عادلاً ! " فعليك أن تدرك أنك قد اتخذت القرار السليم . فاستمر على ذلك المنوال) . وبالمثل ، فإن لاحظ ابنك ذو الخامسة عشر عاماً أنك لا تطالب شقيقه الأصغر ـ كما كنت تطالبه وهو فى السن ذاتها ـ بأن يجز الحشائش صباح كل سبت ، فإنك أيضاً تفضل أخاه عليه ولا تتسم بالعدل . والطفل الأكبر لن يهتم كثيراً لحقيقة أن أخاه ذا الثلاثة عشر عاماً كثير التعرض للحوادث أو أنه لا يعرف الفرق بين الحشائش والزهور . فالابن الأكبر سيعتبر موقفك هذا إهانة شخصية ولن تفلح أية تبريرات فى تغيير اعتقاده هذا .

لكن بما أننا سلمنا أن الأطفال لن يغيروا معتقداتهم بخصوص مثل هذه الأمور ، فإن أفضل ما يمكننا القيام به هو الاتفاق معهم فى اتهاماتهم لنا . ففى الحالة الأولى ، أخبر ابنك ذا الثلاثة عشر عاماً بأنه محق وأن موعد عودته إلى المنزل ليس فقط غير عادل وإنما هو انتهاك صريح لقانون المساواة بين الأطفال . ولذلك ، فلابد له أن يوكل محامياً مختصاً فى مثل هذه الأمور يطالبك بكل ما تملك (وبإمكانه مساندتك بعد ذلك !) . أما بخصوص مشكلة جز الحشائش ، فأخبر ابنك ذا الخمسة عشر عاماً بأن العلماء قد اكتشفوا وجود علاقة بين جز الحشائش وحاصل الذكاء المرتفع ، فأخبره أنهم يؤكدون أن الحشائش تطلق مادة فى الهواء تحفز نمو خلايا المخ . لذا ، فإن كل ما رغبته هو أن يحصل هو على ميزة إضافية لا توجد فى أخيه الأصغر تظل معه طوال العمر . بمعنى آخر ، لابد أن يجز هو الحشائش لأنه طفلك المفضل !

٢٧ يونيو

يعتقد العديد من الآباء أنه يوجد تصرف واحد سليم لكل مشكلة تربوية يواجهونها ـ وهم بالطبع مخطئون فى ذلك . فمثل ذلك الاعتقاد يضاهى أن تظن أنه من بين الأربعين صنفاً أو أكثر التى يقدمها أحد المطاعم يوجد صنف واحد فقط يتناسب وذوقك . لكن الحقيقة هى أن الطريقة التى يتخذ بها الآباء القرارات تفوق كثيراً أهمية فحوى القرارات ذاتها . ونفس الشىء ينطبق على إدارة أحد الأعمال .

يتسم المدير الناجح بالحزم ، فهو لا يضيع وقتاً أو جهداً بحثاً عن تفاصيل لا جدوى منها ، وهو يثق دوماً بفطنته وفطرته . والأهم من كل ذلك أن المدير الناجح يدرك أن إظهار الثقة بالنفس والإحساس بالمسئولية أمام الموظفين أهم كثيراً من البقاء دوماً " على صواب " . فهو يعلم أن القرارات الخاطئة أقل ضرراً بالنسبة لإحدى المؤسسات من اتباع أسلوب خاطئ فى اتخاذ القرارات . لذا فإن لم يكن مدير إحدى الشركات حازماً بدرجة كافية فلن يثق فيه موظفوه وسوف يعم الشعور بعدم الأمان والنزاعات محل العمل . والآباء غير الحازمين يجابهون مشكلات مماثلة فى المنزل .

هل تقوم بأى مما يلى ؟

- تُمعن التفكير طويلاً فى قراراتك بدلاً من أن تثق فقط فى مشاعرك وفطرتك السليمة وتصدرها دون الكثير من التردد ؟
- تشرك طفلك كثيراً فى عملية صنع القرار ؟
- إن أصدرت قراراً لم يحظ بإعجاب طفلك تحاول أن تُعدل منه ، هذا إن لم تستسلم كلية وتلغيه ؟
- عادة ما تبرر قراراتك وتصرفاتك لطفلك ؟

إن كان أى مما سبق ينطبق عليك ، فعليك أن تتوقف عن جعل حياتك ـ وحياة طفلك ـ بمثل هذا التعقيد . ابدأ فى الثقة بمشاعرك ، وتوقف عن الخوف من أنك سوف تحول حياة طفلك إلى جحيم إن اتخذت قراراً خاطئاً . إن القرارات الخاطئة لا تخلف دماراً طويل المدى ، ولكن الأشخاص السيئيين هم من يفعلون ذلك .

٢٨ يونيو

لكى ينجح الطفل فى الاستقلال بذاته فى نهاية المطاف ، لابد أن يشعر أولاً بالأمان فى ظل سلطة والديه . وكلما نجح الوالدان فى إشعار طفلهما بسلطتهما شعر الطفل بمزيد من الأمان ، الأمر الذى سيؤهله للانفصال بسلاسة عن أبويه والاستقلال بحياة خاصة به . وخلال تلك السنوات الطويلة يلجأ الطفل لسلطة والديه وحبهما طلباً للأمان فى كل مرة يشعر فيها بالتهديد . بمعنى آخر ، من المستحيل بالنسبة للطفل أن ينجح فى الاستقلال بحياته إن لم يكن يعلم بدقة منزلة أبوية فى هذه الأسرة . وهذا يتطلب بالطبع أن يكون الوالدان مدركين بدورهما لهذه المكانة . فإن لم يكن الآباء يدركون هذه المكانة ـ أى إن لم تكن سلطتهم على المستوى المطلوب من الحزم ـ فسوف يعجزون عن بث الشعور بالأمان فى نفوس أطفالهم ، وبالتالى لن ينجح الأطفال فى الاستقلال عنهم . وفى ظل هذه الظروف ، لن يكف الطفل عن التشبث بوالديه أو عدم طاعتهما .

٢٩ يونيو

لا توجد أية أعذار مطلقاً لعدم تكليف الأطفال بأداء مهام منزلية على أساس يومى . لكن للأسف ، فإن عدد الأطفال الذين لا يقومون بأداء أية مهام على الإطلاق داخل المنزل يفوق عدد هؤلاء الذين يضطلعون ببعض المهام . ويعلل الآباء فشلهم فى هذا الصدد بعدة طرق :

- فيقولون : " سيتحول الأمر إلى قتال عنيف إذا طلبنا من أطفالنا أن يقوموا بأية مهام منزلية ، لذا فإن الأفضل أن نقوم بها بأنفسنا " . وهذا هو المبرر الأول .
- ويقولون : " ماذا عن كل تلك الأنشطة التى يمارسونها بعد انتهاء اليوم الدراسى ، إن وقتهم لا يسع للقيام بالكثير من المهام المنزلية على أية حال " . وهذا هو المبرر الثانى .
- ويقولون : " يجب أن نترك الأطفال يستمتعون بطفولتهم ولا نضع على كاهلهم الكثير من المسئوليات . ونعتقد أنه يكفى أن نتوقع منهم التفوق الدراسى فقط " . وهذا هو المبرر الثالث .

بالنسبة للمبرر الأول ، فإن الأمر يستحق حقاً أن ينشب من أجله قتال والذى لن يدوم طويلاً إن ثبت الآباء على موقفهم وكانوا حازمين بخصوص هذا الشأن .

بالنسبة للمبرر الثانى ، إن كانت الأنشطة التى يمارسها الطفل بعد انتهاء اليوم الدراسى كثيرة لدرجة أنه لا يتبقى لديه وقت للقيام ببعض المهام المنزلية ، إذن فهذه الأنشطة كثيرة للغاية . إن المسألة مسألة أولويات - فالمهم يأتى دوماً أولاً .

بالنسبة للمبرر الثالث ، فإن الطفل الذى يتحمل بعض المسئوليات بالمنزل سيكون أكثر مسئولية بالمدرسة . فهو سيكون أكثر رغبة فى التعلم حيث إنه سيذهب إلى المدرسة وهو مسلح برغبة قوية فى الإنجاز .

وأخيراً ، إن كنت توكل مهمة تنظيف منزلك إلى شخص ما ، فأسد لأطفالك صنيعاً ووفر على نفسك بعض النقود عن طريق توكيل أطفالك بهذه المهمة . هيا ابدأ الآن !

٣٠ يونيو

التهذيب هو العملية التى يحول الآباء خلالها أبناءهم إلى تابعين لهم ، أى يجعلونهم يوجهون أكثر قدر ممكن من الانتباه لهم وينصاعون لسلطتهم . والهدف الأساسى من التهذيب هو تقديم مواطن صالح للمجتمع يعرف جيداً الطرق الفعالة لضبط النفس وكبح جماحها . الفكرة إذن من وراء التهذيب هى أن ينجح الطفل فى النهاية فى تسلم زمام نفسه .

إن تهذيب الأطفال لا يعنى بالضرورة إيقاع عقوبات عليهم كل حين وآخر - على الرغم من أن عقاب الطفل على سلوكه السيئ هو جزء لا يتجزأ من العملية التهذيبية . إن التهذيب لا يهدف إلى تحويل الطفل إلى كائن خاضع وذليل وإنما يهدف إلى جعله شخصاً مستقلاً . إنه لا يهدف إلى " كسر " إرادة الطفل وطمسها وإنما تعزيزها وتوجيهها نحو نهاية ناجحة . والتهذيب لا يعنى أيضاً أن تصب غضبك على طفلك ، على الرغم من أنه من المناسب فى بعض الأحيان أن يغضب الوالد من طفله بغرض تهذيبه . والتهذيب لا يعنى كذلك ضرب الأطفال ، وإن كان من الضرورى ضرب الأطفال من حين لآخر . وهو لا يعنى أن نجعل الأطفال يخافون الكبار على الرغم من أنه من الأصلح للأطفال - على المدى الطويل - أن يخشوا البالغين . وأخيراً ، فإن التهذيب ليس خلاصة عدد من الطرق التهذيبية ، وإنما هو فن مستقل بذاته لا يمكن تجزئته إلى أجزاء صغيرة .

ونستخلص من كل ما سبق حقيقة رئيسية : **البالغون الذين يتمتعون بالقدرة على ضبط النفس هم فقط من ينجحون فى تهذيب أطفالهم .**

١ يوليو

إنك لا تطلق على أى خلاف ينشب بينك وبين شريك حياتك " تنافسًا زوجيًا " ، أليس كذلك ؟ وهذا لأنه لا يوجد طرف ثالث يحاول أن يصلح بينكما ، وحتى إن وجد فإنكما لن تتعلما قط كيفية القيام بذلك . إذن فالمشكلة كما ترى ليست فى الخلافات أو النزاعات التى تنشب بين الإخوة ؛ فهذا أمر لابد منه . ولكن المشكلة هى أن الآباء عوضاً عن أن يحملوا كلا الطرفين مسئولية ما حدث من تعكير صفو السلام الأسرى ، فإنهم عادة ما يلقون على أحدهما اللوم للتسبب فى بدء الشجار أو الاتصاف بعدم العدل . وكنتيجة لهذا ، يتصاعد الخلاف بين الأخوين حيث يحاول كل منهما أن يجعل أبويه يلقيان اللوم على الآخر ، وفى كل مرة يكسب فيها أحد الأشقاء المعركة ، يظل الطرف الخاسر يخطط للانتقام . أما عند اعتبار كلا الطفلين مسئولين بالتساوى عما حدث - بغض النظر عن تفاصيل الخلاف ! - فإن ذلك يحد قليلاً من وطأة الخلاف بين الأخوين ، ولكن هناك فقط طريقتين مؤكدتين لتجنب الخلاف بين الإخوة كلية : أولاً ، لا تنجب سوى طفل واحد ، ثانياً ، إن أردت أن تنجب أكثر من طفل فاجعل الفاصل بينهما ثمانية عشر عاماً على الأقل .

٢ يوليو

فى أثناء ندوة لى فى مدينة " سَكرامنتو " فى ولاية كاليفورنيا ، جاءتنى سيدة فى الاستراحة وسألتنى النصح عما تفعله بخصوص ابنتها البالغة ثمانى سنوات والتى أصبحت مؤخراً ترد ردوداً وقحة باستخدام نبرة صوت مستفزة..

قالت : " بل إن الأمر يزداد سوءاً ، ففى الأسبوع الماضى استخدمت معى ألفاظاً بذيئة فى واقعتين مختلفتين . أنا لا أعلم ما الذى يجعلها غاضبة إلى هذا الحد أو ماذا أفعل بخصوص هذا الشأن " .

ولثقتى فى أننى نابغة فى مجال الطب النفسى ، فقد أخبرت هذه الأم بأننى أعلم سبب غضب ابنتها : إنهم لا يقومون بتلبية جميع طلباتها . وقد اقترحت عليها بأن تستمر فى إغضاب ابنتها ثلاث مرات يومياً على الأقل .

فسألتنى " ولكن ماذا أفعل حيال الألفاظ البذيئة والشتائم ؟ " .

أجبتها : " ماذا كانت ستفعل والدتك إذا سببتها ؟ " .

قالت : " إن أمى لم تكن ترضى أبداً عن أية سلوكيات سيئة تصدر عنا . ففى مثل هذا الموقف كانت تصفعنى ثم تأخذنى إلى دورة المياه لتغسل فمى بالصابون ثم تحبسنى فى غرفتى حتى نهاية اليوم . وعندما يعود أبى إلى المنزل فإنه على الأرجح يصفعنى مجددا " .

" وهل كنت لتسبى أمك مجدداً بعد ذلك ؟ " .

أجابت : " بالطبع لا " .

" وهل كنت تحبين وتحترمين والديك ، وتعتقدين أنهما أبليا بلاء حسناً فى تربيتك ؟ " .

قالت : " نعم ، بالطبع " .

" وهل تعتقدين أنك مصابة بخلل انفعالى اليوم لأنهما قاما بتهذيبك بمثل هذه الطرق ؟ " .

قالت مؤكدة : " بالطبع لا " .

" إذن فى المرة القادمة التى تسبك فيها ابنتك ، لماذا لا تفعلين ما كانت والدتك تفعله بالضبط فى نفس هذا الموقف ؟ " .

بدت مندهشة ثم قالت : " لكن ، لكنى لا أعتقد أننا من المفترض أن نتبع مثل هذه الأساليب التربوية بعد الآن " .

قلت : " أعرف ، وتلك هى المشكلة " .

٣ يوليو

إن الزعم بأن الأطفال الصغار الذى يقدمون على ضرب آبائهم إنما يفرغون شحنات الغضب المتراكمة بداخلهم يوحى بأن آباء هؤلاء الأطفال يقومون بشىء ما يسبب لهم مشكلات نفسية . ربما يوجد بداخل بعض الأطفال شحنات متراكمة من الغضب . أنا فى الحقيقة لا أعرف ذلك ولا يوجد من يعرف عن هذا الأمر شيئاً . لكن بعض المتخصصين يدعون أن بإمكانهم استشفاف نفسيات الأطفال وتفسير سلوكياتهم . ولكن مثل تلك الشروح النفسية لا تعدو كونها مجرد هراء سيكولوجى . وليس باستطاعتنا أن نثبت صحة أو خطأ مثل هذه الادعاءات . وللأسف ، فإن هذه الشروح الحمقاء تجعل الآباء يخشون اتباع أساليب حازمة فى تربية أطفالهم .

ولكن الحقيقة هى أنه من السهل أن يصاب الأطفال الصغار بالإحباط ؛ فهم لا يستطيعون التعامل مع الرفض كإجابة لأحد مطالبهم . كما أنه ليس من غير المعتاد أن يضرب الأطفال ـ أو يحاولون ضرب ـ آبائهم حينما يرفضون تلبية طلباتهم . هذا بالإضافة إلى أن بعض الأطفال يتسمون بالعدوانية فى حين أن البعض الآخر لا يتسمون بهذه الصفة . وكون الطفل عدوانياً لا يرتبط بأية حال من الأحوال بسوء التربية .

لكن حينما يفقد الطفل السيطرة على نفسه إلى هذه الدرجة ، لابد أن يتخذ والداه إجراء سريعاً وحاسماً ، والذى لن يستطيعا اتخاذه قط إن استمرا يسألان عن السبب وراء فقدان الطفل للسيطرة على ذاته . ولقد أكدت مراراً أن التفكير ملياً يعد عقبة فى طريق التربية السليمة .

من الأمور المثيرة للدهشة أن طاعة الطفل لوالديه تعزز من قدرته على الاستقلال عنهما بعد ذلك . فالأطفال المطيعون هم نتاج آباء نجحوا في وضع قواعد حازمة وتطبيقها . وبداخل هذا الإطار الواضح ، يكون للأطفال المطيعين مطلق الحرية في الاستكشاف والفضول والاختراع ؛ أي أن يكونوا مستقلين بقدر ما تسمح لهم مرحلتهم العمرية . حاول أن تقارن ذلك النوع من الاحترام بذلك الذي يفرضه الآباء المتسلطون على أبنائهم ، والذين عادة ما يساوون بين الاحترام والخوف . إن الأطفال الذين يهابون آباءهم لا يطيعونهم وإنما يخضعون إليهم ويستسلمون لهم . على الجانب الآخر ، فإن الأطفال المطيعين حقاً لا يخافون شيئاً أو أحداً ؛ فهم واثقون من أنفسهم ويشعرون بالأمان ، وهم يشعرون بالأمان إلى الحد الذي قد يجعلهم يثورون في بعض الأحيان . أما الأطفال الذين يهابون آباءهم فعادة ما يتحولون إلى مخادعين ؛ فيكذبون لتجنب العقاب والتملص من شبكة المحرمات التي يفرضها آباؤهم عليهم . وأما الأطفال المطيعون فيتسمون بمزيد من الصراحة والصدق ، خاصة حينما يقترفون أخطاء ، وذلك لأنهم يعلمون مدى المعاملة العادلة التي يتلقونها من آبائهم .

فضلاً عن ذلك ، فإن الطاعة تعود بالنفع على صاحبها . فمتى تقبل الأطفال واحترموا القواعد المفروضة عليهم من قبل آبائهم ، استمرت معهم هذه القواعد مدى الحياة . ففي النهاية ، لا يكون الأطفال بحاجة لمن يسن القواعد من أجلهم . لذا فإن الطاعة تمثل وسيلة أساسية في تمهيد الطريق نحو النضج .

٥ يوليو

إليك بعض الآراء بخصوص لعب الأطفال :

- أفضل الألعاب هى تلك التى يصنعها الطفل بنفسه . لذا اصطحب طفلك إلى فناء المنزل وعلمه كيف يبنى حصوناً من العصى ، وكيف يحفر خنادق باستخدام ملعقة ، وكيف يصنع قوارب من الورق المقوى ، وكيف يبنى جداراً من الأحجار ، وكيف يميز بين النباتات المختلفة ـ وقائمة الأفكار المبتكرة لا نهاية لها .
- أفضل الألعاب المتوفرة فى الأسواق هى تلك التى يمكن استخدامها بمختلف الطرق وتشجع على اللعب التخيلى . فلا بأس بالأشكال الصغيرة التى تشبه العرائس ، واللعب التى تمثل نماذج حقيقية مصغرة ، وكذلك المكعبات وألوان الشمع والماء والصلصال ، إلخ .
- فى أغلب الأحوال من الأفضل أن تبتعد عما يسمى بالألعاب التعليمية . فبصفة عامة ، لا علاقة لهذه الألعاب بنمو الطفل أو حاجاته التعليمية . فأفكار هذه الألعاب عقيمة وتقوض ـ بدلاً من أن تعزز ـ التفكير الإبداعى .
- بدلاً من أن تبتاع لطفلك ألعابًا تعمل من تلقاء نفسها ، لم لا تمنحه بعض الأشكال الصغيرة التى يستطيع التلاعب بها ؟ فدع خيال طفلك يتولى " تشغيل " الألعاب .
- لا تشتر لطفلك الألعاب المناسبة لجنسه فقط . فإن أراد ابنك أن يلعب بدمية عروسة فاشتر له واحدة ، وإن أرادت طفلتك لعب البيسبول فاشتر لها مضرباً وكرة . فكلما منحت طفلك حرية فى الاستكشاف ، أصبح أكثر قدرة على صنع مختلف القرارات .
- وأخيراً ، فإن عدداً أقل من اللعب هو الأفضل دائماً .

٦ يوليو

إن الأم التقليدية اليوم تقوم بالآتى : تنظم أنشطة أطفالها التالية لليوم الدراسى ، وتُقلهم إلى مختلف الأماكن ، وتساعدهم على الانتهاء من واجباتهم المدرسية ، تنجز مشروعاتهم العلمية بدلاً منهم ، ثم يستبد بها القلق فيما تبقى لها من وقت خوفاً من أن تكون مقصرة فى حق أطفالها .

لكن الحقيقة هى أن مثل هذه الأم تقدم الكثير والكثير لأطفالها دون أن تشعر . ونتيجة ذلك أن أطفال اليوم ينتحبون أكثر ويتسمون بأنهم أقل احتراماً للكبار مقارنة بالأجيال السابقة لهم ، حتى أنهم يظلون ينخرطون فى نوبات غضب فى مرحلة سنية كان نظراؤهم من الأجيال السابقة توقفوا قبلها كثيراً عن الإتيان بمثل هذه السلوكيات . إن أطفال اليوم يعانون مرضاً خطيراً أصابهم من جراء كثرة الخدمات التى يسديها إليهم أحد الوالدين الأكثر عطاءً ، وغالباً ما يكون الأم .

ولكننى أنصح جميع أمهات اليوم بأن يعشن حياة منفصلة عن تلك الخاصة بأبنائهن ، وأن يتوقفن عن خدمة أبنائهن ، ويتحلين بقدر من الأنانية . ويجب عليهن كذلك التوقف عن تتبع أبنائهن فى كل مكان ، وتوجيه الانتباه لهم والقيام بكثير من الأمور من أجلهم . عوضاً عن ذلك ، سيجدن أبناءهن يتتبعونهن ، ويوجهون لهن مزيداً من الانتباه ، ويفعلون كثيراً من الأمور من أجلهن ، وفى النهاية سوف تجد الأمهات مزيداً من الوقت لأنفسهن .

قفى أمام المرآة واستمرى فى ترديد هذه العبارة بشكل حازم حتى تكونى فى النهاية مقنعة وأنت ترددينها أمام أطفالك ، وهذه العبارة هى : " لا ، لن أقوم بـ ... أنت لست فى حاجة لى الآن ، كما أننى مشغولة . علاوة على ذلك ، إن لم تبحث لك عن شىء تفعله وتتركنى لحالنى فسوف أتركك أنا جاعلة إياك تظن أننى أسوأ أم فى الوجود " .

وإن كانت والدتك تشبه والدتى فى شىء ، فهى بالتأكيد قد وجهت لك عبارات بمثل هذه القوة فى صغرك . وأنت بالطبع لم تعتقدى حينها أنها كانت تبغضك ، أليس كذلك ؟ لذا اعقدى العزم ووجهى مثل هذه العبارات لأطفالك ، واثبتى على موقفك حتى يعتقدوا أنك سيئة حقاً !

لا تكلف مطلقاً أخوين أو ثلاثة بأداء نفس المهمة . أنا أعرف أنك تريد منهم أن يتعلموا كيف يتعاونون معاً ، وأعرف أيضاً أنه من المنطقى أن يجمع جميع الأطفال الألعاب التى كانوا يلعبون بها ، ولكن فى أثناء تربية الأطفال تأتى أوقات لابد فيها من الاستغناء عن المثالية والمنطق من أجل إنجاز الأمور سريعاً والحفاظ على قوانا العقلية . وهذا بالتحديد أحد هذه الأوقات .

إن الأطفال من غير الأقرباء سوف يتعاونون على الأرجح فى أداء أية مهمة تكلفها إياهم ، ولكن الأشقاء وضع مختلف تماماً . فالإخوة دوماً ما يبحثون عن طرق للتفوق على بعضهم البعض وهزيمة أحدهم الآخر . لذا فإذا كلفت الأشقاء بأداء نفس المهمة ، فكن مستعداً لسماع هذه العبارة : " إنه لا يقوم بدوره المسئول عنه " .

بإمكانك أن تعيش حياة طويلة وسعيدة إن تقبلت مثل هذه الحقائق . فلا تقحم نفسك بداخل نفس المعركة كل مساء وكن أكثر حكمة . فبدلاً من أن تطلب من أطفالك الثلاثة القيام بنفس المهمة ، اطلب من كل منهم القيام بمهمة منفصلة . فيمكن لأحد الأطفال أن يجمع الألعاب ، ويمكن للآخر أن ينظف أرضية المطبخ ، والأخير يمكنه أن يرتب أَسِرة الجميع ويضع أكياسًا من الحلوى على الوسائد .

إن استخدام طريقة " طفل لكل مهمة " سوف يحول دون حدوث الكثير من المشكلات ولكنه لن يعمل على اختفائها تماماً . فسوف يظل أطفالك يتناوشون ويتشاجرون حتى تمر بسلام مرحلة الطفولة . ولكنى أؤكد لك أنه ستتاح أمامك العديد من الفرص بعد ذلك للانتقام ، فحينما يحين وقت التحاق ابنك بالجامعة ودفع مصروفاته مثلاً ، يمكن أن تنظر لشريك حياتك وتقول : " اطلب منه هو القيام بذلك " ، فهذا سوف يذكره قليلاً بما فعله بك .

٨ يوليو

إن كنت أحد الأشخاص المثيرين للاهتمام ، فهذا يعنى أن حياتك أكثر ثراء وأن أطفالك سوف يوجهون لك المزيد من الانتباه . فالأطفال يعشقون الكبار متعددى الهوايات والأنشطة ، كما أنهم يعشقون مراقبة تعامل الكبار مع بعضهم البعض . لكنهم على الجانب الآخر لا يعشقون الكبار ممن يوجهون لهم الكثير من الانتباه ، فهم يتعاملون مع الكبار من هذا النوع كأمر مسلم به .

ساد فى السبعينيات من القرن العشرين اعتقاد فحواه أن الأطفال الذين يكتبون الحروف بطريقة معكوسة إنما يرون الأشياء من حولهم معكوسة . وعلى الرغم من سخافة هذا الاعتقاد إلا أنه كان واسع الانتشار فى هذا الحين . فإن كان هؤلاء الأطفال يرون فعلاً الأشياء معكوسة لظلوا يتخبطون إلى ما لا نهاية فى الجدران ، وكانت كدمات الوجه ستصبح هى أحد الأعراض الرئيسية لصعوبة الكلام . وحتى لو كانوا بالفعل يرون أحرف الكلمات معكوسة ، لكان مازال بإمكانهم كتابتها على النحو الصحيح . فكر فى الأمر ، لنفترض مثلاً أنه بالنسبة لطفل معين فإن حرف " d " يبدو بهذه الطريقة " b " . فعندما يحاول هذا الطفل كتابة حرف " d " فإنه سيكتبه كما يراه ـ حرف " b " ـ أى أنه " d " . بمعنى آخر ، إن كان يوجد بالفعل أطفال يرون الحروف معكوسة ، فلن يعرف أحد ذلك ، ولن تسبب هذه " المشكلة " للأطفال أية صعوبات تذكر .

فى الواقع ، إن العديد من الأطفال فى سن السادسة يكتبون الأحرف بطريقة معكوسة . فى الحقيقة ، عكس الأحرف هو أمر شائع فى الأطفال حتى سن الثامنة . وفى معظم هذه الحالات ، يعكس الأطفال أحرفاً يكون الفارق الشكلى بينها بسيطاً وضئيلاً وصعب التذكر . فتجد الطفل مثلاً من دون قصد يستبدل حرف " d " بحرف " b " ، وحرف " p " بحرف " q " . لكن أى أسلوب تدريس متأن من شأنه أن يصحح هذه المشكلة فى غضون فترة قصيرة . فالطفل يستبدل حرفاً بآخر أو يعكسه ، فيقوم المعلم برفق بتوضيح الخطأ الذى ارتكبه ، فيصححه الطفل ، ويستمر هذا الحال إلى أن تختفى المشكلة . إن افترضنا بأن عكس الأحرف هو أحد أعراض صعوبة الكلام فإن ذلك يشبه افتراضنا بأن السعال هو أحد أعراض الالتهاب الرئوى . فالطفل الذى يسعل ليس مصاباً بالضرورة بالتهاب رئوى ، وكذلك فإن الطفل الذى يعكس الأحرف ليس مصاباً بضعف فى القدرة على التعلم . فى الحقيقة ، إن

عدداً قليلاً فقط من الأطفال الذين يعكسون الحروف هم من نكتشف فى النهايـة أنهم مصابون بصعوبات تعليميـة . عـلاوة علـى ذلـك ، فكمـا يمكـن الإصـابة بالتهاب رئوى من دون سعال ، فإن عدم عكس الحروف لا يضمن أن الطفل لا يعانى من صعوبات تعليمية .

١٠ يوليو

إن الدلائل التى توصلنا إليها ليست فى صالح أنصار قوانين حظر الضرب . فعند تفعيله على النحو الصحيح ، لا يعمل الضرب على فقدان الأبناء الثقة فى آبائهم ورهبتهم كما أنه لا يجعلهم عدوانيين أو يزيد من حدة العدوانية بداخلهم سواء فى فناء المدرسة أو بعد ذلك فى الحياة . لكن الحقيقة هى أن صفع الطفل حينما يستدعى الأمر ، يمثل أهمية كبيرة فى تربية أطفال معينين .

هذا وتعد ادعاءات الحركة المناهضة لضرب الأطفال ساذجة للغاية ؛ فالضرب وحده لا يجعل من الطفل شخصاً عدوانياً أو مستأسداً وبالتأكيد لا يجعله مجرماً . فالأمر يتطلب أكثر من مجرد ضرب الطفل على مؤخرته من حين لآخر لتحويل عقليته إلى عقلية إجرامية . فرباط الثقة الذى يجمع بين الطفل ووالده سيضمن استمرار تدفق مشاعر الحب بينهما لدرجة تطغى على أية مشاعر سلبية قد يخلفها الضرب . لكن للأسف ، فإن الإدعاءات الساذجة دوماً ما تجد قبولاً لدى الكثيرين .

١١ يوليو

عندما تشعر أن أحد أطفالك يكذب عليك ، قل له ببساطة : " فيما يبدو أنك تكذب على ، فحينما تكون مستعداً لقول الحقيقة ، تعال إلىّ لنستكمل هذا الحديث " . فقط ضع الكرة فى ملعب الطفل واتركه وانصرف . وبعد ذلك لا تدع أكاذيب طفلك تشوش تفكيرك وتبعدك عن المسار الصحيح .

يجب أن تعاقب الطفل على سلوكه السيئ نفسه (فى حالة ما إذا كان يستحق العقاب فعلاً) وليس على كذبته . ولا تقطع وعداً بأن كل شىء سيكون على ما يرام إن قال الطفل الحقيقة ، ولا تهدده بأن توقع عليه عقاباً أشد إن استمر فى الكذب ، فقط ابق حازماً .

وأخيراً ، أتح لطفلك الفرصة كى يصبح عضواً أكثر مسئولية بداخل الأسرة . فتوقف عن بذل الكثير من الجهد لضبط طفلك وهو يكذب وركز عوضاً عن ذلك على مساعدة طفلك على أداء مختلف المهام المنزلية . فقد اكتشفت أنه كلما تحمل مثل هؤلاء الأطفال المزيد من المسئوليات بداخل أسرهم ، انخفض احتمال إقدامهم على الكذب أو السرقة .

ما السبب فى ذلك ؟ لا أعلم . ومن يهتم بمعرفة السبب ؟

قم بزيارة قسم كتب الأطفال بأية مكتبة كبرى ، وستجد كتباً تدور حول كيفية تربية الطفل المصاب باضطراب نقص الانتباه (ADD) ، والمصاب بضعف القدرة على التعلم ، وطفل الكفالة ، والطفل الموهوب (وهذه النوعية هى التى تحقق أعلى مبيعات فى الغالب) ، والطفل العنيد ، والطفل صعب الطباع ، والطفل الوحيد ، والطفل الأوسط ، والطفل الأكبر ، وطفل الآباء الأكبر سناً ، .. إلخ . لقد قاد علماء النفس الآباء إلى الاعتقاد بأنهم لن يستطيعوا تربية طفلهم جيداً دون أن يعرفوا أولاً التصنيف الذى ينتمى إليه . وإذا لم تستطع تصنيف طفلك وحدك ، فبإمكانك أن تلجأ إلى أحد المتخصصين الذى لا يتقاضى أقل من مائة دولار فى الساعة لكى يجرى هذا التصنيف نيابة عنك . وبمجرد أن تتعرف على الفئة التى ينتمى إليها طفلك ، يجب أن تذهب إلى المكتبة وتشترى كل الكتب التى تدور حول هذه الفئة ـ وبذلك يكون بحوزتك أفضل الطرق لتربية طفلك والتى لابد لك من مشاركتها لاحقاً مع معلميه لكى يكونوا مدركين لاحتياجاته الخاصة .

لقد قام المتخصصون بشطر مرحلة الطفولة إلى شرائح صغيرة للغاية ، ثم أخضعوا كل شريحة للفحص والتحليل الدقيق . وفى خضم كل هذا التدقيق والتصنيف يبدو أن المتخصصين قد أغفلوا حقيقة مهمة ـ وجعلوا الآباء يغفلونها كذلك ـ وهى **أن الطفل بغض النظر عن التصنيف الذى ينتمى إليه هو مجرد طفل .**

١٣ يوليو

إن المرحلة السنية البشعة التى تبدأ من سن العام والنصف إلى ثلاثة أعوام (أو أكثر أو أقل من ذلك بقليل) هى بدون شك أهم مراحل نمو الطفل ، كما أنها الأكثر أهمية فى إطار علاقة الوالد بطفله . فيجب أن يرسخ الآباء سلطتهم ـ كما آمل ـ فى خلال هذا الفترة التى تمتد طوال عام ونصف . ولكن ضع فى اعتبارك أن مثل هذه السلطة الأبوية لا يمكن تأسيسها سوى فوق قاعدة من الثقة عمل الآباء على بنائها طوال السنة والنصف الأولى من عمر أطفالهم . وبدون هذه القاعدة ، لن تعم الفوضى علاقة الطفل بأبيه فقط ، ولكنها ستكون إحدى السمات المميزة لها على المدى الطويل . وتكون النتيجة إما طفلاً يمتلك زمام الأمور إلى الأبد ، أو أبوين يفرضان سلطتهما بطرق ترهيبية وإجبارية .

وفى هذه السن تصبح مهمة الأبوين الأساسية ـ بل ومسئوليتهما ـ بناء حصن من السلطة يطوقان به طفلهما ، ويعملان من خلاله على توجيهه وحمايته فى الوقت ذاته من أجل تحقيق الأفضل له . ويبث هذا الحصن بداخل الطفل كذلك شعوراً جديداً ومستقراً بالأمان ؛ ذلك الشعور الذى يقوم على إيمان الطفل بأن أبويه هما أكثر الناس جميعاً قوة وسلطة وبإمكانهما رعايته وحمايته تحت أى ظرف . باختصار ، إن مهمة الأب هى إقناع الطفل بحزم ولكن برفق أن الانطباع الذى تكون لديه فى خلال العام والنصف الأول من حياته هو مجرد وهم ، وأنه لا يسيطر على العالم ، بل هما .

تبدأ الأسرة فى ممارسة لعبة " من كان يومه أسوأ ؟ " فى نحو الساعة الخامسة والنصف حينما يصل الأب من العمل . فالأب المجهد يدخل متثاقلاً إلى المنزل وهو يجر حقيبته وراءه . وبمجرد أن يفتح باب المنزل يجد أمامه قطيعاً من الأطفال يرغب كل منهم فى الاستحواذ على انتباهه .

ودعونا لا نغفل الأم ! فهى تقف بعيداً ترقب ما يحدث بعينين حمراوين ومنخرين منتفخين وعروق رقبة نافرة . إنها ليست مضطرة لقول أى شىء لأن كل خلجة من خلجات جسدها تصرخ " لقد نلت كفايتى ! " وإن تفوهت بأى شىء على الإطلاق فإنها على الأرجح سوف تقول : " حسناً ، لقد عدت إلى المنزل يا عزيزى من إجازتك التى استمرت ثمانى ساعات ! لقد حان الوقت لأن تكتشف ماذا يعنى الأمر أن تكون أباً ! من هذه اللحظة إنهم ملكك ! " .

وتبدأ اللعبة ! ولكنها فى أغلب الأحوال تنتهى لصالح الزوج . فهو ينجح فى إقناع زوجته بأنه مر بيوم سيئ حقاً ، وكيف أن مديره كان حقيراً للغاية معه فى هذا اليوم ، وكيف أنه يجد فى عمله ، إلخ .

ولكن أحياناً ما يكون الفوز من نصيب الزوجة ، فيصطحب الزوج المغلوب على أمره الأطفال فى جولة للخارج حتى يتيح لزوجته فرصة للاسترخاء ثم يبتاع فى طريقه للمنزل العشاء من المطعم الصينى حتى لا تضطر الزوجة للطهى ، بل قد يقوم الزوج فى هذه الليلة أيضاً - إن كانت الزوجة محظوظة حقاً - بوضع الأطفال فى أسِرتهم .

لكن الحقيقة هى أنه لا يوجد فائز فى لعبة " من مر بيوم أسوأ ؟ " . إنها لعبة يمارسها الأشخاص لأنهم خسروا بالفعل شيئاً ما ، وهذا الشىء هو فهم حقيقة أولويات الأسرة ، فلقد أغفل هؤلاء الأشخاص حقيقة مهمة ، وهى أن الزواج هو أهم التزاماتهم فى هذه الحياة .

لا يجب أن نندهش إذن عندما يصل إلى مسامعنا أن معدلات الطلاق بين الأزواج فى سن الخامسة والأربعين فما فوق فى تزايد مستمر أكثر منها فى أية مرحلة عمرية أخرى . ففى خلال الأربعين عاماً المنصرمة تقريباً ، أبلينا بلاء حسناً فى تدريب الزوجات على أن يصبحن أمهات والآباء على أن يصبحوا عائلين لدرجة جعلتهم نسوا كيف يكونون أزواجاً بعد مغادرة أطفالهم المنزل .

١٥ يوليو

إليكم الآن عدة طرق تستطيعون من خلالها إعادة ترتيب أولوياتكم بحيث يأتى الزواج فى المرتبة الأولى وتساعدون بها فى الوقت ذاته أطفالكم على استيعاب أن العلاقة بين أبيهم وأمهم هى دوماً فى المقام الأول (ملحوظة : الكلام التالى ينطبق كذلك على الآباء المنفصلين !) .

- لا تسمحوا للأطفال بمقاطعة حواراتكم . فاطلبوا منهم انتظار دورهم ، ومن الأفضل أن يكون ذلك فى غرفة أخرى . قولوا لهم : " سوف ننادى عليكم عندما ننتهى من حديثنا " .
- اخترعوا ما يسمى بـ " ليلة خروج الأبوين " ، ولا تسمحوا لأى شىء مهما كان أن يمنعكم من الالتزام بالخروج فى هذا الموعد . وبين الحين والآخر اصطحب زوجتك فى نزهة فى عطلة نهاية الأسبوع دون أن تأخذ الأطفال . فهم بحاجة لأن يدركوا أن الزواج هو وحدة مستقلة بذاتها ومنفصلة بداخل الأسرة ؛ أى أن له احتياجات خاصة به .
- ضع أطفالك فى الفراش مبكراً . وتذكر أنه من صالحك أن يخلد الأطفال للفراش . بمعنى آخر ، حدد كم الوقت الذى تحتاجه كل مساء لتمضيه من دون تحمل مسئولية الأطفال وحدد موعد ذهاب أطفالك لفراشهم بناء عليه . فبدلاً من أن تضع أطفالك فى الفراش حينما يكونون مستعدين لذلك ، ضعهم حينما يكون قد فاض بك الكيل من كونك أباً ، وتستبد بك الرغبة لأن تكون زوجاً .
- بمجرد أن تضع أطفالك فى فراشهم ، لا تسمح لأى شىء بأن يقطع مجرى التواصل بينك وبين زوجك . فاتفقا على عدم القيام بأية أعمال منزلية أو مكتبية بعد خلود الأطفال لفراشهم . وأسوأ شىء يمكنكما القيام به فى هذا الوقت هو أن تخصصاه لمشاهدة التلفاز معاً .

١٦ يوليو

يمثل الآباء السلطة الأولى فى حياة أطفالهم ، فهم يعتقدون فى البداية أن لآبائهم سلطة مطلقة فى هذه الحياة . ولكن بينما يكبر الأطفال يخبو هذا الاعتقاد ويبدأ فى الانتقال لأشخاص آخرين يمثلون السلطة - مثل المعلمين والمشرعين والوزراء . وبالتدريج ، ينضج هذا الاعتقاد ليصبح فهماً بأن السلطة العظمى فى هذا الكون تتمثل فى قوى تتعدى الإدراك الإنسانى ، إنها قوى لا حدود لقوتها ولا حدود لمغفرتها . وهذا هو التحدى الحقيقى الذى يجابهه آباء صغار الأطفال - أن يبذروا نبتة مثل هذا الإدراك السامى فى نفوس أطفالهم .

١٧ يوليو

إن مص الأصابع عادة تخالف العرف ، ولهذا فهي تثير حفيظة الآباء . فالآباء لا يشعرون أن كل شيء يسير على ما يرام إلا حينما يزنون الأمور ويعقلونها . لذا فقد اخترعوا بعض الأسباب التي تعلل ظاهرة مص الأطفال لأصابعهم . ومن بينها :

تنص النظرية الأولى والتي تدعى " نظرية الأعصاب التالفة " على أن مص الأصابع هو أحد دلائل عدم الشعور بالأمان . وبالنسبة للآباء الذين يصدقون هذه الفكرة ، فإن الطفل الذي يمص إصبعه ما هو إلا دليل على فشلهم كآباء . لذا تجدهم يشعرون بالخزي حينما يمص أطفالهم أصابعهم في مكان عام ، فيعتقدون أنهم بذلك يذيعون أنباء إخفاقهم للعالم .

وثمة نظرية أخرى ـ يدعي البعض أن من وضعها هو " سيجموند فرويد " ـ تنص على أن الأطفال يمصون أصابعهم لأنهم أصيبوا بصدمة أثناء مرحلة الرضاعة نتيجة لعدم رضاعتهم طبيعياً قط . وعندما يكبر هؤلاء الأطفال البؤساء يظلون يستعيضون عن ثدي أمهاتهم بأشياء أخرى ـ كالسجائر ، أو الخمور .. إلخ .

ثم تأتي حكايات ما قبل النوم المرعبة عن الأطفال ممن يمصون أصابعهم : " كان الأمير الضفدع يمص أصابعه حينما كان صغيراً . وعندما أصبح شاباً ، إعوجت أسنانه واحولت عيناه وبرزت أذناه وأصبحت ترفرفان في الهواء وأصيب بمرض خبيث وظهر النمش في وجنتيه . ولهذا رفضت الأميرة الزواج منه " . وعادة ما يكون الجزء الخاص بالنمش هو أكثر أجزاء الحكاية بثاً للرعب في نفوس الصغار .

ولكنني لديّ نظرية خاصة بي . لن يستطيع الجنس البشري بناء الأشياء التي يحلم بها ـ مثل المركبات الفضائية وآلات الزمن ـ دون استخدام الأصابع . فالطفل الذي يمص إصبعه يرسل للجميع رسالة مفادها " أنا أحب إصبعي ، وأحب كوني إنساناً " . أليس هذا التفسير أفضل من ذلك الخاص بالأعصاب التالفة ووجه يشبه " ألفريد إي . نيومان ؟ " في رأيي ، يمص الأطفال أصابعهم لأن ذلك يشعرهم بالمتعة ويجعلهم يسترخون . فيمثل الإصبع للأطفال مصدراً متاحاً دائماً للمتعة ، فهو يوجد دوماً بأيديهم ! أما السبب في

أن بعض الأطفال يمصون أصابعهم والبعض الآخر لا يمصونها ، فهو غير مهم تماماً كالسبب فى أن بعض الأطفال يحبون السبانخ والبعض الآخر لا يحبونها .

١٨ يوليو

إن آباء اليوم بحاجة لصقل مهارات الحقارة والخسة لديهم ، ولكن الحقارة لا تعنى الصراخ والصياح - فهذا ليس إلا دليلاً على فقدان السيطرة على الذات ، ولا تعنى الحقارة أيضاً القسوة . فالآباء الحقيرون حقاً هم الذين يتصرفون برزانة وهدوء وحزم . إنهم لا يستطيعون التعايش مع السلوكيات السيئة على الرغم من أنهم يعرفون أنه لا مناص من حدوثها . وهذا الإدراك بحتمية حدوث هذه السلوكيات لا يجعلهم يغضبون حينما تحدث بالفعل .

ويتسم الآباء الحقيرون بالحزم والثبات على موقفهم ، فهم لا يعطون أطفالهم فرصاً ثانية وثالثة ورابعة . كما أنهم يصرون على أن ينصاع أطفالهم لأوامرهم من المرة الأولى التى يوجهون فيها هذه الأوامر . فهم لا يقومون بالعد تنازلياً ولا يشتركون فى أية ألعاب سخيفة أخرى لإتاحة فرص ثانية لأطفالهم . كما أنهم لا يتوعدون ولكنهم يقطعون عهوداً . وأكثر ما يفعلونه حقارة هو أنهم يوفون بوعودهم .

ولا يتسم هؤلاء الآباء بالمرونة ، حيث إنهم يتمسكون بنفس المعايير يوماً بعد الآخر . نعم قد تختلف طرق تطبيق هذه المعايير من موقف لآخر ، ولكن المعايير نفسها تظل ثابتة .

علاوة على ذلك ، فإن هؤلاء الآباء لا يتحملون عاطفياً مسئولية سلوكيات أطفالهم السيئة . فعندما يسيء طفل لأب حقير السلوك ، لا يشعر الأب بالذنب نتيجة ذلك . لكنه عوضاً عن ذلك يتأكد من أن طفله سيشعر بالذنب نتيجة ذلك .

إن الأمر بسيط حقاً . فالآباء الحقيرون يضعون القواعد ويطبقونها بدون رحمة . وقد يبغض أطفال هؤلاء الآباء هذه القواعد ولكنهم فى النهاية يحترمونها .

١٩ يوليو

فى المرة التالية التى يخبرك فيها طفلك بأن جميع أصدقائه يستطيعون القيام بشىء لا تسمح له أنت بالقيام به ، أو لا يقومون بشىء تجبره أنت على القيام به ، أو بحوزتهم شىء تأبى أنت شراءه له - انظر له فقط فى عينيه مباشرة وقل له وأنت تبتسم : " حسناً ، إنك بذلك أكثر الأطفال تميزاً فى مجموعتك " . وعند هذه النقطة ، سوف يندفع طفلك على الأرجح ناحية غرفته وهو يصيح بعبارات تفيد بأنه يكره العيش فى منزلك ولا يطيق صبراً على الرحيل منه وأنه لن يتكلم معك لعدة أيام - يا لك من محظوظ !

٢٠ يوليو

إحدى المهام الرئيسية للآباء هى تحقيق المعادلة الصعبة بين حبهم لأبنائهم وفرض سلطتهم عليهم . وكان خبراء التربية فى فترة الستينيات والسبعينيات قد ادعوا أن السلطة الأبوية تدمر ثقة الطفل فى ذاته لأنها تضع الطفل فى مرتبة متدنية مقارنة بوالديه . يا لها من سخافة ! إن مثل هذه الآراء تعد حجر الأساس للنصائح المضللة . إنها لا تمت للواقع بأية صلة ، فالواقع هو أن ثقة الطفل بنفسه تسير جنباً إلى جنب مع شعوره بالأمان ؛ والآباء الذين يستطيعون الموازنة بين الحب والسلطة هم من يستطيعون وحدهم بث هذا الشعور بالأمان فى أطفالهم ، كما أن شعور الأطفال بالأمان أو ثقتهم بأنفسهم لا يتأثران سلباً حينما يفرض آباؤهم سلطتهم عليهم ، ولكنهما يتأثران فقط فى حالة عدم الموازنة بين الحب والسلطة ـ أى حينما يحبهم آباؤهم حباً مطلقاً (وهو الحب المجرد من أية سلطة) أو عندما يمارسون معهم دور الطاغية (وهى السلطة المجردة من الحب) .

احتفلت أنا وزوجتى الرائعة " ويلى " بعيد زواجنا الثامن والعشرين فى هذا التاريخ عام ١٩٩٦ . قد يسألنى البعض " ما هو السر فى ذلك ؟ " . بالإضافة إلى الإخلاص ، فقد اعتدنا الإنصات إلى بعضنا البعض باحترام وإتاحة قدر من الحرية لكل منا (اغفروا لى انحرافى إلى التفاصيل) ، وسوف أقوم بإسدائك بعض النصائح التى لن تجدها فى أى من الكتب التى تناقش موضوع الزواج والتى انتشرت فى عصرنا الحديث هذا الذى شاع فيه الطلاق .

تقبل الأمر الواقع . فالحفاظ على رباط العلاقة الزوجية هو أكثر التحديات التى ستواجهها فى حياتك صعوبة . فأنت وزوجتك لستما كاملين وبالطبع لكل منكما نقائصه . وعندما يجتمع كائنان غير كاملين فى رباط غير كامل تبدأ نقائصهما فى التعارض مخلفة المزيد من النقائص . حاول أن تتقبل هذه الحقيقة ، وحينها فقط سوف تستطيع الحفاظ على حس الدعابة لديك - والذى يعد أحد الأركان الأساسية لأى زواج ناجح .

ابتعد عن الحلول الوسط قدر الإمكان . لا بأس بقبول الحلول الوسط فى مواقف بعينها ، لكن الحل الوسط عادة ما يكون الخيار الأضعف من بين ثلاثة بدائل : (١) وجهة نظرك المتزمتة حيال الأمر ، (٢) وجهة نظر زوجتك المتزمتة حيال الأمر ، (٣) حل وسط ما بين الأمرين . ولكن كما اعتاد جدى الأكبر أن يقول : " إن منتصف الجسر هو أضعف منطقة فيه " .

عليك أن تدرك أنك لن تتغير أبداً وكذلك زوجتك . فلكى تحافظ على زواجك ، لابد أن تتقبل كل الاختلافات بينك وبين زوجتك ولا تنتقدها . فلا يجب أن تتعلم فقط كيفية التكيف مع هذه الاختلافات ولكن عليك أيضاً الاحتفاء بها .

كن عنيداً . نعم هذا صحيح ، وهذا يعنى أن تقول : " سوف أبذل كل ما فى استطاعتى لإنجاح هذا الزواج مهما كلفنى الأمر ! " ما سبب فشل معظم زيجات هذه الأيام ؟ فى أغلب الظن لأن معظم الأزواج اليوم ليسوا عنيدين بدرجة كافية . فالعديد منهم لم يحاول قط بذل أى جهد أو المثابرة أو الصمود أمام أية تحديات زوجية . لذا فإنهم عادة ما يستسلمون عند أول مشكلة يواجهونها .

٢٢ يوليو

بإمكانك أن تطلق على طفلك لقب " كثير النسيان " إن كان ذلك سوف يشعرك بالراحة . ولكنني سوف أطلق على نفس هذا الطفل لقب " غير مطيع " . ففى معظم الأحوال تكون عبارة " لقد نسيت " هى مجرد طريقة مستفزة لقول : " أنا لم أرغب فى القيام بهذا الأمر " أو شىء من هذا القبيل .

لا تغفل حقيقة أن عذر النسيان هو أكثر الأعذار استخداماً بين الأطفال . فنفس الطفل الذى ينسى دوماً إطعام الكلب ويعبر الطريق والإشارة مفتوحة لا ينسى قط أنه توجد مثلجات بالمجمد أو أن أبويه وعداه منذ عدة أسابيع بالذهاب إلى حديقة الحيوان . فالطفل دوماً يتذكر الأشياء التى يرغب فى تذكرها وينسى الأمور التى لا تحوز على إعجابه مثل المهام المنزلية والقواعد المختلفة .

٢٣ يوليو

عندما بلغ ابننا " إريك " سن الرابعة عشرة ، كان موعد عودته إلى المنزل فى ليالى العطلات هو العاشرة مساء . وقد أبدى اعتراضه مدعياً أن هذا الموعد مبكر للغاية ، وقد وافقناه على ذلك ، كما أخبرناه بأننا تعبنا من إجباره دوماً على فعل أشياء لا يريدها . لذا فقد سألناه : " ما الموعد الذى تحب أن تعود فيه إلى المنزل ؟ " فاتسعت عيناه واستكملنا نحن شرح ما بدأناه .

وكانت " الاتفاقية " كما أطلقنا عليها كالتالى : إذا التزم الطفل بموعد عودته إلى المنزل طوال ستة أشهر ، فسوف نؤخره قليلاً ليصبح فى العاشرة والنصف . أما إذا تأخر فى خلال هذه الفترة ولو دقيقة واحدة فى إحدى الليالى فسوف يتم تجديد فترة الستة أشهر مرة أخرى . ولن تقبل منه أية أعذار . وكل ستة أشهر ـ مع افتراض عدم وجود أية انتهاكات لموعد العودة إلى المنزل ـ سوف يتم تأخير هذا الموعد ثلاثين دقيقة . لكن أى انتهاك لهذا الموعد سيعنى ببساطة تجديد هذه الفترة . وإذا استطاع الطفل من خلال الالتزام بهذا النظام أن يجعل موعد عودته إلى المنزل فى الثانية عشرة فإن من حقه بعد ستة أشهر تحديد الموعد الذى يحلو له .

قال " إريك " مندهشاً وهو مازال غير مصدق لما سمعه : " هل تعنيان أنه سيكون باستطاعتى تحديد موعد عودتى إلى المنزل ؟ " .

قلت له : " هذا صحيح يا " إريك " ، ولكن يجب أن تضع فى ذهنك أمراً واحداً ؛ فحتى عندما يكون مسموحاً لك بتحديد موعد عودتك للمنزل ، سيكون من حقى أنا ووالدتك أن نعرف أين تذهب وبصحبة من . علاوة على ذلك ، فإن قررت أن موعد رجوعك للمنزل سيكون فى الثانية صباحاً فسوف نتوقع منك التواجد فى المنزل فى تمام الثانية وليس بعد ذلك بدقيقة واحدة . وإذا انتهكت موعد العودة الذى حددته بنفسك ، فسوف نعود مجدداً إلى موعد منتصف الليل . بمعنى آخر ، إن السماح لك بتحديد موعد عودتك إلى المنزل يعنى مزيداً من الحرية ولكنه يعنى فى الوقت ذاته مزيداً من الالتزام والمسئولية ، وفوق كل ذلك مزيداً من الثقة " .

ولا أتذكر أننا اضطررنا أن نعيد تجديد فترة الستة أشهر . وبعد فترة قصيرة من استخراج " إريك " لرخصة قيادة وامتلاكه سيارة خاصة به ، حصل على

حق تحديد موعد عودته للمنزل . وقد كان " إريك " شديد الحرص على العودة في الموعد الذى حدده بنفسه ، حتى أنه فى كثير من الأحيان كان يحدد لنفسه موعدًا يسبق كثيراً ذلك الذى كنت سأحدده أنا له ، ولكنى لم أخبره بذلك بالطبع .

٢٤ يوليو

لا يوجد ما يثبت صحة المفهوم الشائع القائل بأن الأطفال يجب أن يـذهبوا إلى الحضانة وهم مسلحون ببعض المهارات الأكاديمية الرئيسية بما فيها القدرة على التعرف على الحروف والأرقام والقدرة على كتابة أسمائهم . وقـد أشـارت الأبحاث التى أجريت مؤخراً إلى أن مثل هذه التوقعات ليست فقط مبالغاً فيهـا ولكنها قد تكون مدمرة . فالمحاولات المضنية لصقل مثـل هـذه المهـارات قبـل الأوان مـن شـأنها أن تتسـبب فـى مشـكلات مـا كانـت لتوجـد بـدونها . فـى الواقع ، إن عدداً كبيراً من الخبراء يعتقدون أن مثـل تلـك المحـاولات لتعلـيم الأطفال القراءة فى سن مبكرة للغاية قد خلفت الكثير من الصعوبات التعليمية . ومن الجدير بالذكر أنه فى الأنظمة التعليميـة الأوروبيـة حيـث لا يبـدأ التعلـيم الأكاديمى الأساسى قبـل سـن السادسـة ـ إن لم يكـن فـى السـابعة ـ تـنخفض بشكل ملحوظ معدلات إصابة الأطفال بصـعوبات تعليميـة وكـذلك عـدم القـدرة على القراءة بين البـالغين سـن السـابعة عشـرة (المعـدل الحـالى فـى الولايـات المتحدة طفل من بين كل خمسة أطفال وفى ارتفاع مستمر) .

٢٥ يوليو

كيف يستطيع الآباء حث أطفالهم على العناية بألعابهم ومتعلقاتهم ؟ الأمر بسيط ، توقف عن توفير الكثير من الألعاب والمتعلقات لهم .

عندما كنت فى الخامسة من عمرى ، كانت لدىّ مجموعة صغيرة من الألعاب : مجموعة " لينكولن لوجز " ، ومجموعة ألعاب " تينكر " ، ومسدس ، وبعض الجنود الصغيرة ، وقطار كهربائى . وظلت تلك المجموعة معى حتى صرت مراهقاً حينما اختفت من المنزل فجأة خلال إحدى نوبات النظافة التى تجتاح والدتى . ولقد كنت أعتنى بألعابى لأننى كنت أعرف أنه إذا ما تحطمت إحداها فلن يشترى لى أحد بديلاً لها . فى الواقع ، لقد كان تحطم إحدى ألعابى دليلاً ملموساً على عدم مقدرتى على تولى المسئولية مما لا يجعل والدىّ يقدمان على شراء أية ألعاب أخرى لى إلا بعد انقضاء فترة طويلة .

أما أطفال اليوم فليس لديهم ما يجعلهم يعتنون بألعابهم . فببلوغ سن الخامسة ، يكون الطفل الأمريكى قد تلقى نحو ٢٥٠ لعبة ! أى يحصل تقريباً على لعبة كل أسبوع بداية من مولده . وفى ظل هذه الظروف ، يكون من غير المجدى على الإطلاق أن يحث الآباء أطفالهم على العناية بمتعلقاتهم . لذا فإن الطفل يتلقى اللعبة ثم يزدريها ثم يدمرها ثم سرعان ما يحصل على أخرى .

إن مثل هذا الطفل يولد وفى فمه ملعقة من ذهب . واغفروا لى إذا ما أكدت أن ذلك ليس خطأه ، وإنما خطأ الآباء الذين من دون قصد وبحسن نية يزيدون من صعوبة عملية التربية .

٢٦ يوليو

إن متلازمة النظر بداخل القدر تمثل إحدى أكبر الدوائر المفرغة فى علاقة الوالد بطفله . فيقوم الوالد بتوجيه أحد الأوامر لطفله ، ولثقته بأن طفله لن ينصاع له بطريقة أخرى ، فإنه يظل واقفاً بجانب القدر يستحث طفله على عدم الطاعة . والطفل بدوره يقبل التحدى بما أنه وجد من يتحداه .

ولأن الآباء لا يدركون أن متابعة الإناء انتظاراً لغليان الماء لا يجعل الماء يغلى ، فإنهم يبدأون فى إطلاق بعض المسميات على أبنائهم مثل " عنيد " و " صعب الطباع " ، بينما الحقيقة ببساطة أن الطفل ينتهز أية فرصة يجدها أمامه . وأكثر الأماكن شيوعاً لحدوث متلازمة النظر بداخل القدر هى غرفة الطعام بعد السادسة مساءً فى أيام الدراسة ، حيث غالباً ما تجد الأم فى صراع مع طفلها حول الفروض المدرسية . وإذا ما طرح شخص ما على الأم هذا السؤال : " لماذا تجلسين فى نفس هذا المكان الليلة تلو الأخرى وتقودين نفسك للجنون ؟ " فسوف تجيبه : " لأن ابنتى لن تقوم بأداء فروضها المنزلية وحدها " . إن هذه الأم لا تدرك أن وجودها فى حد ذاته على مائدة العشاء يشتت انتباه طفلتها .

لكن الحل الأمثل لجميع المشكلات من هذا القبيل : توقف عن النظر بداخل الإناء . فعندما تريد من طفلك القيام بشىء ما ، أعطه التعليمات وانصرف مبتعداً . فيجب أن تتيح الفرصة أمام الماء داخل القدر للغليان . فإن مضى بعض الوقت ولم يزل الطفل متجاهلاً لتوجيهاتك ، فقم باتخاذ إجراء فورى . فإذا لم يقم الطفل بجمع ألعابه فى خلال خمس دقائق مثلاً ، فاحبسه فى غرفته لباقى اليوم (نعم ، حتى لو كانت الساعة الثامنة صباحاً) وضعه فى فراشه بعد العشاء مباشرة . والغرض من ذلك هو فرض عقوبة غير مؤلمة بالنسبة للطفل ولكنها ستظل قابعة فى ذاكرته .

٢٧ يوليو

كاستعارة ، من الممكن استخدام كلمة " عصا " كرمز للسلطة الأبوية ، كما كان يستخدم قديماً " الصولجان " كرمز لسلطة الحاكم ، والهراوة لسلطة رجل الدين . كما تعد العصا إحدى الوسائل التقليدية والقديمة لقياس الطول وكذلك إحدى الوسائل الفعالة لفرض القواعد على الأطفال . وترمز العصا كذلك لأساليب التهذيب الصارمة والحازمة .

ومن الأمثال القديمة التى ورد بها كلمة " عصا " فى هذا الإطار : لا تتردد فى تهذيب طفلك ؛ فضربه بالعصا لن يقتله . وقد يتساءل البعض عن نوع العصا التى قد نستخدمها لضرب الطفل ولا تعمل على إيذائه أو حتى فقدانه لحياته . لقد كان الخادمون يفقدون حياتهم إثر ضرب أسيادهم لهم بالعصا ، فلم لا يفقد كذلك الطفل الصغير حياته إثر مثل هذا الضرب ؟ إن هناك مخرجاً واحداً من ذلك التناقض الواضح وهو افتراض أن العصا المذكورة فى هذه الأمثال ليست عصا حقيقية وإنما مجرد رمز للأسلوب التربوى الحازم .

٢٨ يوليو

بعد الحرب العالمية الثانية أصيب الآباء بالحيرة بخصوص الطرق السليمة لتربية الأطفال . وكانت تلك الحيرة فى معظمها ناتجة عن المفاهيم السخيفة ـ مثل " الأسرة الديمقراطية " و " محورية الطفل داخل الأسرة " ـ التى أذاعها الخبراء فى المجتمع . فلقد استبدل هؤلاء الخبراء بحقائق التربية سخافات لا أساس لها من الصحة . لقد استبدلوا بالفطرة السلمية بعض الخرافات السيكولوجية . وفى خلال هذه العملية ـ هزوا ثقة جيل كامل من الآباء فى أنفسهم ، والذين شعروا كما لو أنه ليس من حقهم فرض أية سلطة على أبنائهم سوى تلك التى يتقبلونها فقط . لذا بدلاً من توقع الآباء انصياع أطفالهم لأوامرهم ـ الأمر الذى أكد لهم الخبراء أنه ليس من حقهم ـ أصبحوا ينشدون طاعتهم ويستجدونها . وقد اتخذ هذا الاستجداء أشكالاً متعددة منها الرجاء ، والمفاوضة ، والرشوة ، والتهديد ، والمساومة ، وإلقاء الخطب ، وفوق كل ذلك الجدل مع الأطفال . لكن لسوء الحظ فإن الأطفال لا يحققون لآبائهم أمنياتهم .

٢٩ يوليو

قال الرئيس " جون كينيدى " فى افتتاحية أحد خطاباته : " لا تسأل عما يمكن لبلادك أن تفعله من أجلك ، ولكن اسأل نفسك عما يمكنك فعله لبلادك " . بعبارة أخرى ، فالمواطن المسئول هو من يبحث عن الفرص ليساهم فى إصلاح النظام وليس من ينتظر اقتناص أية فرص للاستفادة منه . وما من شك أن الآباء هم من يبدأون فى غرس نبتة المواطنة الصالحة داخل أطفالهم . لذا فإن أساليب تربية الطفل يجب أن تعكس هذه المبادئ . فيجب أن نعلم أطفالنا أن المزيد من النفع يعود عليهم حينما يتعدى قدر إسهاماتهم للأسرة قدر ما يأخذونه منها . ولكن حينما يصبح هذا المبدأ معكوساً ، أى عندما يسمح الآباء لأطفالهم بالأخذ أكثر من العطاء ، تتخذ علاقة الأطفال بأسرهم صورة تطفلية . وما يسهم فى مزيد من التدهور لتلك العلاقة نقص الدافع لدى الأطفال وشعورهم بمحورية ذواتهم واعتقادهم الخاطئ بأنه فى الإمكان الحصول على أشياء بدون مقابل .

٣٠ يوليو

بدون قصد منهم ، يقوم الآباء الذين يساورهم الكثير من القلق بخصوص تعاطى أطفالهم للمخدرات أو الخمور ، بزيادة فرص اتجاه أطفالهم لمثل هذه المشكلات . ففى ظل هذه الظروف ، يصبح الإدمان إحدى الوسائل التى يلجأ إليها الأطفال لتأكيد استقلالهم وللحفاظ على مكانتهم المتميزة داخل الأسرة .

إننى أشعر أن ما يخشاه الآباء حقاً فيما يتعلق بالمخدرات هو أن إدمان أطفالهم قد يعكس مدى فشلهم فى تربيتهم . لكن الحقيقة هى أنه حتى اتباع أساليب تربية سليمة لا تشوبها شائبة لا يضمن عدم تعاطى الأطفال للمخدرات . أرجو منك الانتباه جيداً لما سأقوله : إن الآباء ليسوا مسئولين عن كل ما يقوم به أطفالهم . فليست مهمتنا أن نمنع أطفالنا من ارتكاب الأخطاء لأننا لن نستطيع ذلك ؛ فمهمتنا الحقيقية هى أن نتأكد من أنهم يتعلمون من أخطائهم .

٣١ يوليو

هناك ثلاثة أمور أساسية يجب على الآباء القيام بها لتعزيز مهارات أطفالهم التعليمية خلال فترة الحضانة :

- أولاً ، يجب أن يوفر الآباء لأطفالهم بيئة آمنة ومحفزة تعزز مهارات الاستكشاف والفضول لديهم ، فإن قام الأبوان منذ نعومة أظافر طفلهم بمكافأته على فضوله (بدلاً من إحباطه) وتغذية نهمه للاستكشاف (بدلاً من تقويضه) ، فسوف يكون الطفل راغباً - حينما يحين الوقت المناسب - في أن ينهل من المعرفة من الكتب كما كان يحب تفتيش الخزائن والأدراج وهو صغير .
- ثانياً ، يجب على الآباء القراءة لأطفالهم قدر المستطاع ، ويجب أن يكون ذلك بأسلوب شيق ، بحيث يقرأ الآباء الحكاية بطريقة تجعلها تنبض بالحياة . فلتجعل عيني طفلك تتسعان من فرط التأثر بروعة الكلمة المطبوعة !
- ثالثاً ، يجب على الآباء القراءة لأنفسهم . فالأبناء دوماً ما يقتدون بآبائهم . فإذا رأى الأطفال آباءهم يقرأون فسوف يرغبون في محاكاتهم في الوقت المناسب . أما إذا كان التلفاز هو وسيلة التسلية الوحيدة للآباء فإنها ستصبح كذلك بالنسبة لأطفالهم .

١ أغسطس

سرعان ما سوف تتحول الفروض المدرسية التى يؤديها الطفل فى المطبخ أو أى مكان آخر تجتمع فيه الأسرة إلى مسألة عائلية . فبذلك سوف ينصب جزء من اهتمام الأسرة - إن لم يكن كله - على واجبات الطفل معظم فترة المساء . فسوف يستحوذ الفرض المدرسى على انتباه الأسرة جاعلاً إياهم يغفلون مسئوليات أخرى أكثر أهمية (مثل الزواج) مبدداً بذلك طاقة أسرية كان من الممكن استغلالها فى أمور أهم وأكثر إثماراً (مثل التواصل والحميمية) . باختصار ، إن الأسرة التى تسمح لطفلها بأداء الفروض المدرسية على طاولة المطبخ إنما تتيح له فرصة ذهبية بأن يمسك بزمام الأمور فى هذه الأسرة . فالطفل يكون سيد الموقف فى هذه الأمسيات ، وكأنه يجلس فى منتصف إعصار وشيك الحدوث يستطيع أن يجعله يفسد كل شىء فقط إن ادعى عجزه عن أداء فروضه . وبمجرد أن يكتشف الطفل ما يستطيع أن يسببه من فوضى وقدر الانتباه الذى يستطيع الاستحواذ عليه فقط بادعاء عجزه عن أداء فروضه ، فإنه يستمر فى المزيد والمزيد من هذه الادعاءات . وأنا لا أعنى بذلك أن الطفل يتلاعب بك ؛ فهو لا يحب أن يكون عاجزاً ، إنه فقط لم يتعلم كيف يقاوم الإغراءات .

٢ أغسطس

فيما يلى بعض النصائح عن كيفية السيطرة على سلوك الطفل الصغير فى الأسواق التجارية والأماكن العامة الأخرى :

- فى البداية وضِّح لطفلك الصغير الهدف من الخروج حتى يتوقع ما سوف يحدث وما لن يحدث .
- لا تقطع لطفلك أية وعود بخصوص أى شىء مثل : " إن أحسنت السلوك فسوف اشترى لك كذا وكذا " . فمثل تلك المقايضات تعلم الطفل أن يتوقع دائماً مقابلاً لما سيقوم به من سلوك طيب .
- تستطيع أن توفر على نفسك الكثير من المتاعب إذا لم تعلم طفلك أن يتوقع دوماً الحصول على شىء ما فى كل مرة تخرجان فيها للتسوق . فحينها لن يكتسب طفلك عادة استجدائك لتشترى له لعبة أو أى شىء آخر حينما تخرجان للتسوق فقط ولكنه سيكون ممتناً للغاية ومندهشاً حينما تفاجئه وتشترى له هدية خاصة .
- مباشرة قبل ذهابك للتسوق أو لأحد المطاعم ، ذكر طفلك ببعض القواعد البسيطة مثل : " لا تتحرك من مقعدك وتحدث بصوت خفيض ولا تلمس الأشياء بيدك " .
- وعندما يكسر طفلك إحدى القواعد أو يكون بحاجة لسماعها مجدداً ، تحدث إليه على الفور بعيداً عن الأنظار لتذكره بالقاعدة أو تخبره بها .
- إذا ما بدأ طفلك فى الصراخ أو التصرف بهمجية ، خذه بسرعة إلى مكان بعيد فى المتجر واجلس معه حتى تنتهى نوبة غضبه أو إلى أن يستعيد سيطرته على نفسه . وكلما أسرعت بالسيطرة على طفلك كان ذلك أفضل .
- إن ضرب الطفل فى مكان عام لن يجلب عليك سوى المزيد من الصرخات ونظرات الازدراء من المارة . لكن إذا ما شعرت بضرورة ضرب طفلك فخذه بعيداً عن الأنظار وقم بضربه . إن ضرب طفلك على الملأ لا يعنى بالطبع أنك تسىء معاملته ولكنه فقط يثير حفيظة العامة .

- لحالات الضرورة القصوى ، أقترح أن يحمل الآباء معهم قناعاً من أنف ونظارة للاختفاء عن نظر العامة إذا ما اضطروا لاستخدام العنف مع طفلهم .

٣ أغسطس

يعتقد الكثير من الآباء أن الثبات فى التربية يعنى استخدام نفس الأسلوب التهذيبى فى كل مرة يسىء فيها الطفل السلوك بطريقة ما . وبالطبع هذا اعتقاد خاطئ ؛ فالثبات هو سلوك أكثر منه تقنية . ففى الواقع ، من غير المنطقى أن نفترض أنه سيكون باستطاعتك اتباع نفس الاتجاه فى كل مرة يسىء فيها الطفل السلوك على نحو معين ، بيد أنه باستطاعتك دوماً انتهاج نفس السلوك . بمعنى آخر ، بإمكانك إظهار استيائك والقيام بشىء ما يوحى بأن مقاليد الأمور مازالت فى يدك . وليس هناك داع لأن يكون رد فعلك متماثلاً فى كل مرة يسىء فيها الطفل السلوك . فتستطيع مثلاً أن تقول له عبارة بسيطة مثل : " لن أسمح لك بإساءة السلوك بهذه الطريقة مرة أخرى " .

عندما تكون بصدد التعامل مع إحدى المشكلات السلوكية ، فإن الطريقة التى تجابه بها المشكلة تفوق فى أهميتها ما تفعله إزاءها . فكل مشكلة لها العديد من الحلول الفعالة ، والحل الذى تنتقيه لا يشكل أهمية كبيرة ـ بل فى إمكانك حتى اختراع حل جديد ـ لأن الحل الحقيقى لأية مشكلة سلوكية لا علاقة له بالتقنيات أو الأساليب . إنما يكمن الحل الحقيقى فى الالتزام ، والإصرار ، والحل الذى اخترعته فى إطار التقنية التى اخترتها . لكن باختصار الالتزام هو الأساس الحقيقى للتربية المثالية .

٤ أغسطس

إن ارتباط الوالد بعلاقة رائعة مع طفله يولد لديه شعوراً بالاعتزاز والإشباع ، وهو الأمر الذى يجعل من عملية التربية أمراً يسيراً وهيناً - يا له من هراء ! أولاً ، إن الآباء الذين يستوعبون ويتبعون نصائحى - والمستخلصة من طرق التربية المجربة والفعالة الخاصة بالأجيال السابقة - لن يحظوا فى الغالب بعلاقات " رائعة " مع أطفالهم إلى أن يصل هؤلاء الأطفال إلى مرحلة المراهقة على الأقل . وحتى ذلك الحين سوف تتسم تلك العلاقة بالتقلب الدائم .

وفى كثير من الأحيان ، ستأتى العديد من اللحظات التى سيبغض فيها الأطفال هؤلاء الآباء ، وفى أحيان أخرى سيكون هذا الشعور متبادلاً . ولكن ليس من المفترض أن يهيم الأطفال بآبائهم عشقاً على أية حال . فدعنى أذكرك بضرورة أن تنشأ لديهم رغبة فى ترك المنزل ، ودعنى أؤكد لك أيضاً أن مثل هذه الرغبة ليست لها أية علاقة بحب طفلك لك .

أنا عن نفسى لم أكن متيماً بحب والدىّ . فأنا مثلاً لم أكن لأختارهما ليكونا صديقين لى . فلقد كانا دائماً مصدر إزعاج ونقد بالنسبة لى . ولقد كنت أحب والدى المزعجين والمحبطين ولكننى لم أكن أطيق صبراً على ترك المنزل - الأمر الذى يعنى أنهما قد نجحا فى أداء مهمتهما . فقد أقنعانى بأن بمقدورى توفير حياة أفضل لنفسى من تلك التى قد يوفراها لى . ولقد نجحت بالفعل فى ذلك !

أما آباء اليوم - وبكل المقاييس - فهم لا يبذلون جهداً كافياً لإقناع أطفالهم بما أقنعنى به والداى . لقد تزوجت وأصبحت مسئولاً عن أسرة وأنا فى العشرين من عمرى . فلقد كان متوسط سن الزواج الخاص بجيلى عشرين عاماً ، أما الآن فقد ارتفع هذا المعدل ليصبح خمسة وعشرين عاماً . وفى عهدى كان استمرار عيش الابن مع أسرته بعد سن العشرين أمراً شديد الغرابة ودليلاً على وجود علاقة غير سوية بين الابن ووالديه . أما فى الوقت الحالى فمن الطبيعى أن يستمر الابن فى العيش مع أسرته حتى هذه السن .

٥ أغسطس

إن لأمهات هذا الجيل وجهة نظر خاصة إزاء ملكيتهن لأطفالهن ، فهن يطالبن دوماً " بحق الملكية الكاملة " لعملية تربية الطفل خشية انهيار كل شيء إن فقدن السيطرة ولو قليلاً على تلك العملية . لكن باختصار ، ترغب الأمهات في حماية أنفسهن وليس أطفالهن .

وكنتيجة للقلق الدائم والشعور بالذنب اللذين تعاني منهما أمهات هذا الجيل ـ الأمر الذي لا يمت بصلة للتكوين البيولوجي للأنثى ـ فقد انتابهن شعور بأنهن يلعبن دور الأب والأم معاً . فهن يعتقدن أنهن يجب أن يتولين المسئولية كاملة وإلا فسوف ينهار كل ما فعلنه في تربية أطفالهن ، والذين سيدفعون بدورهم ثمن خطئهن هذا . لذا فلتتراجع الآن أيها الأب فالأم في مقعد القيادة !

أما دور الأب فقد أصبح لا يتعدى مجرد كونه مصدراً للمساعدة . فقد أصبحت مهمة الأب هي مساعدة الأم حينما تكون بحاجة لمن يحل محلها لتنعم ببعض الراحة أو حينما تكون في مأزق لا تعرف كيفية الخروج منه . وفي كلتا الحالتين ، فإن تدخل الأب يكون جزئياً ومؤقتاً ويتم بناء على توجيهات الأم فقط . عادة ما يخبرني الآباء في كل أرجاء الولايات المتحدة أن زوجاتهم يطالبنهم بمزيد من التدخل في تربية الأطفال ، ولكنهم حين يتدخلون بالفعل تتهمهم زوجاتهم بسوء التصرف . وليس من المدهش إذن أن الأمهات في كل أرجاء الولايات المتحدة يخبرنني أنهن لا يستطعن الثقة في أزواجهن في عملية تربية أطفالهن ـ إلا إذا أشرفن عليهم في أثناء ذلك .

٦ أغسطس

عادة ما يطرح على الناس هذا السؤال : " كيف نعرف إذا ما كان طفلنا هو محور أسرتنا أم لا ؟ " .

في الواقع ، من السهل معرفة ذلك . فعندما يكون الطفل هو محور الأسرة تصبح أهم علاقة فى هذه الأسرة هى علاقة الوالدين بالطفل وليس علاقة الزوج بالزوجة .

حينما ينصب كل تركيز الأبوين على الطفل فإن هذا هو ما أعنيه بمحورية الطفل . أما حينما يكون الزواج هو محور الأسرة فينصب تركيز الزوجين على بعضهما البعض ومسئوليات زواجهما . ولكن لا يمكن أن تسود إحدى الحالتين للأبد بالطبع . فحتى فى الأسر التى تضع الزواج فى المرتبة الأولى تأتى أوقات تستدعى تغيير الأولويات ليصبح الطفل هو من يحتل تلك المرتبة : حينما يكون الطفل مريضاً على سبيل المثال أو حين الإعداد لحفل عيد ميلاده أو حفل تخرجه . وهناك أوقات أخرى يصبح فيها الطفل محور اهتمام الأسرة بالفطرة . ومع ذلك ، فلا يجب أن يعتاد الأزواج تقلد دور الآباء طوال الوقت ، حيث إن دورهم الأساسى داخل الأسرة هو دور الزوج أو الزوجة .

يشعر الطفل بمزيد من الأمان حينما تكون علاقة والديه هى أهم علاقة فى الأسرة . فلا يوجد شىء يجعل الطفل يشعر بعدم الأمان أكثر من رؤيته لوالديه على خلاف . وعلى العكس من ذلك ، فإنه لا يوجد ما يجعل الطفل يشعر بالأمان أكثر من رؤيته لوالديه على وفاق . لذا فإن الوسيلة الوحيدة لتلبية احتياجات الطفل للأمان هى جعل الزواج محور اهتمام الأسرة .

٧ أغسطس

الآن بعد أن كبر طفلاى واستقل كل واحد منهما بحياته ، أدركت أنه فى كل مرة تقريباً كان يتهمنى أحدهما بتفضيل أخيه عليه ، يكون الاتهام إلى حد ما فى محله . على سبيل ، لقد أحببت ابنى " إريك " لحساسيته المفرطة واستعداده للمخاطرة وقدرته على تكوين الصداقات . وعلى الجانب الآخر ، فقد أحببت فى ابنتى " إيمى " خفة ظلها وفهمها للطبيعة البشرية وأعمالها الإبداعية . لكن للأسف فلكون طفلىّ مجرد أطفال فقد فشلا فى استيعاب أنه على الرغم من نظرتى المختلفة لكل منهما إلا أن مشاعرى نحوهما كانت متوازنة . لذا فعندما كنت أضحك على أحد تعليقات " إيمى " كان " إريك " يتهمنى بأننى أعتقد أنها أخف ظلاً منه - أى أننى كنت أحبها أكثر منه . كما كانت " إيمى " تشعر بالغيرة من أى اهتمام أبديه لأخيها . وبعد سنوات من شعورى بالذنب ، أدركت أن هذه الأوهام التى تسببت لى فى هذا الشعور سوف يأتى عليها وقت وتنتهى .

الخلاصة : شأنك شأن كل الآباء فأنت تفضل أحد أبنائك على إخوته . توقف عن إنكار ذلك ! تقبل تلك الحقيقة واعترف بها ثم استرخ . فتوقف عن محاولة تبرير تصرفاتك . وفوق كل شيء ، توقف عن أخذ أطفالك على محمل الجد ، فعندما يكبرون وينجبون أطفالاً لا يتوقفون عن اتهامهم بتفضيل أحدهم على الآخر - سوف يسامحونك . وعلى حد قول " أورسون ويلز " : " لن يتوقف النحيب حتى يحين الأوان " .

٨ أغسطس

إن الطفل البالغ أربع أو خمس سنوات من العمر يجب أن يتولى على الأقل مسئولية الحفاظ على نظافة غرفته والحمام الخاص به . أما الطفل البالغ من العمر ست سنوات فيمكن أن يتعلم كيفية استخدام المكنسة الكهربائية ويبدأ بغرفته . وببلوغ السابعة أو الثامنة يجب أن يكون الطفل مسئولاً مسئولية كاملة عن تنظيف غرفته وحمامه وبعض المهام الأخرى فى المنزل . ومرة كل أسبوع لابد أن يقوم طفل هذه السن بتنظيف حجرته وحمامه بالكامل ـ ويشمل هذا استخدام المكنسة الكهربائية وإزاحة الغبار وتغيير الفراش وتنظيف دورة المياه والحوض والمرحاض والخزانة .

أما الطفل فى التاسعة أو العاشرة من عمره فيجب أن يخصص نحو خمس وأربعين دقيقة من وقته فى أداء مهام منزلية يومية ، ونحو ساعتين فى أداء المهام فى يوم السبت مثلاً من كل أسبوع . ويمكن تقسيم تلك الفترة من المهام اليومية إلى ثلاثة أجزاء كل منها يستغرق خمس عشرة دقيقة ، بحيث يبدأ الطفل فى إنجاز الجزء الأول عند استيقاظه من النوم (مثلاً يرتب فراشه وينظف دورة المياه ويطعم الكلب) . وعند عودته من المدرسة يبدأ فى إنجاز الجزء الثانى (إفراغ الصحون من غسالة الأطباق ووضع كل شىء فى مكانه) . أما الجزء الثالث فيبدأ فيه بعد تناول العشاء (تنظيف المائدة وإخراج القمامة) .

وبالمناسبة ، فعند تقسيم المهام على الأطفال يجب أن تضع فى ذهنك أنه لا توجد مهام مقتصرة على الفتيات وأخرى مقتصرة على الأولاد . فكل أفراد الأسرة يجب أن يشاركوا فى أداء المهام المنزلية ، ومادمت أحد أفرادها فلابد أن تأخذ نصيبك منها .

وببلوغ سن الثامنة عشرة يجب أن يكون جميع الأطفال ـ سواء الإناث أو الذكور ـ قد اعتادوا على أداء كل أنواع المهام المنزلية . فيجب أن يكونوا قادرين على غسل وكى ملابسهم ، وطهى الوجبات الرئيسية ، واستخدام المكنسة الكهربائية ، وتطهير دورات المياه ، واستبدال فلاتر فرن الطهى ، وجز الحشائش ، وإزالة الأعشاب الضارة من الحديقة ، وما إلى ذلك . ويجب أن يكونوا مسئولين كذلك عن الإنفاق جزئياً على أنفسهم ووضع ميزانية

لمصروفاتهم . إن مثل هذا التدريب لا يهيئ الأطفال فقط للاستقلال ولكنه ينمى بداخلهم أيضاً حس التقدير لجهود آبائهم فى إدارة شئون المنزل ـ وهى جهود كانوا سيأخذونها كأمر مسلم به إن لم يتحملوا كل هذه المسئوليات .

٩ أغسطس

لقد هالنى خبر قرأته فى إحدى الجرائد وهو : يحاول الآباء اليوم جاهدين أن يكونوا آباءً أفضل عن طريق إلحاق أبنائهم فى الأنشطة الرياضية !

أليس صغار الأطفال نشيطون بطبعهم وليسوا بحاجة لممارسة الرياضة ليزدادوا نشاطاً ؟ أنا أعرف ذلك لأن طفلىّ كانا مفرطى النشاط . فعندما بلغا ثمانية عشر شهراً من عمريهما كانا يتسلقان أرفف الكتب ويغادران مهديهما بمفردهما ، ويقفزان فوق الأثاث ، ويقذفان الطعام ، ويجريان مبتعدين عنا داخل المحلات والمطارات والأماكن المزدحمة الأخرى .

وممارسة الرياضة ليست فقط غير ضرورية بالنسبة للرضع ولكنها قد تقضى على الصحة الذهنية لآبائهم ! فأستطيع أن أتوقع ما سيحدث من الآن : بمجرد أن يجتاح خبل ممارسة الرضع للرياضة سوف نسمع تقارير عن وثب أطفال يبلغون تسعة أشهر من العمر من أسِرَّتهم النقالة ، وهرب أطفال يبلغون اثنا عشر شهراً من نوافذ غرف نومهم ، وعدو أبناء السنة والنصف فى سعادة فى الشوارع بينما يحاول آباؤهم اللحاق بهم فى جنون .

١٠ أغسطس

من الطبيعى أن يجد الأطفال صعوبة فى عدم ارتكاب أية حماقات والاتسام بالواقعية . وكنتيجة لهذا ، فعندما يقوم آباؤهم بإصدار قرارات واقعية يكون رد فعلهم فى الغالب هو الصراخ ، وترديد عبارات من قبيل " إنى أكرهك ! " و " أتمنى لو لم تكن والدى ! " و " إنك أحمق وغبى ورائحة قدميك كريهة ! " .

وللأسف ، فإن معظم الآباء يأخذون تلك العبارات على محمل الجد ، ويأخذ رد فعلهم إزاءها منحى مبالغاً فيه يأتى فى أحد شكلين :

(١) بعض الآباء يعتقدون أن عبارات أبنائهم الغاضبة دليل على انهيار العلاقة بينهم وأنهم سيكبرون وهم يبغضونهم .
(٢) مجموعة أخرى من الآباء يعتقدون أن تلك العبارات ليست إلا دليلاً على عدم احترام أطفالهم لهم ؛ وهو سلوك يجب ردعه فوراً .

كلا الشكلين من رد الفعل يتسم بالحماقة ، الأمر الذى يؤكد أن الحماقات لا تقتصر فقط على الأطفال . ففى المقام الأول ، يتطلب الأمر أكثر من مجرد إصدار قرارات غير مألوفة لينمو الطفل وهو يحمل ذكريات مدمرة عن الطفولة .

فى المقام الثانى ، لا يعد الصراخ والعبارات الغاضبة دليلاً على عدم احترام الأطفال لآبائهم . أرجو أن تقرأ ما يلى بعناية : تلك العبارات ما هى إلا انعكاس لحماقة الأطفال التى تعد جزءاً لا يتجزأ منهم ، وهى لا تنطوى على أية مصداقية . أما إذا أصر الطفل على الاستمرار فى حماقته وبدا أنه لا يستطيع التوقف عن الصراخ فيجب أن تحبسه فى غرفته إلى أن يستعيد السيطرة على نفسه . فبما أن معظم الأطفال ينجحون فى استثارة حفيظة آبائهم سريعاً ، فمن الأفضل نفيهم إلى غرفهم إذا استمر صراخهم أكثر من خمس ثوان . أما إذا ما استمر الطفل فى ترديد العبارات الغاضبة لأنك صدمته بواقعية قراراتك وأخذ فى انتقاء أكثر الكلمات بذاءة ، فلا يكفى أن ترسله لغرفته بل يجب أن تضربه مرة أو مرتين على مؤخرته . ولكن عقاب الطفل بإرساله لحجرته ـ سواء بضربه أو بدون ضربه ـ وإفلات زمام الموقف من يدك

هما أمران مختلفان تماماً . فعبـارات طفلـك تلـك لا تسـتحق انفعالـك وخـروج الوضع عن سيطرتك . وتذكر أن صراخ الطفل ووقاحته ما هو إلا نتاج اصـطدامه بالواقع . فلا تنس أن للواقع أسناناً حادة .

١١ أغسطس

عندما تتدخل فى مشاحنات الإخوة التى لا تنتهى فإنك تعلمهم عن غير قصد كيفية انتهاج تصرفات حمقاء . ولكى تحول دون ارتكاب أطفالك لهذه الحماقات لابد أن تحملهم جميعاً تبعات المشكلة التى أوقعوا أنفسهم فيها .

اعقد اجتماعاً بينك وبين طفليك وقل لهما : " أتدرون شيئاً يا أطفال ؟ لقد توصلنا إلى طريقة تكفل لكما حرية العراك مع بعضكما البعض دون أن تقودانا إلى الغضب والضيق ! وقد أطلقنا على هذه الطريقة اسم " حِلاً مشاكلكما بنفسيكما " . من الآن فصاعداً ، فى كل مرة تسببان لنا الإزعاج بعراككما سوف نحبسكما فى حجرتيكما لمدة ثلاثين دقيقة . ولن نلتفت لصغائر الأمور ، مثل من بدأ المشاحنة أو من كان متجنياً على الآخر وما إلى ذلك . فسوف يمضى كل منكما ثلاثين دقيقة فى غرفته بغض النظر عن كل ذلك .

والآن اسمعانى جيداً : فى المرة الثالثة التى نضطر فيها لحبسكما فى حجرتيكما فى أى يوم لن يكون ذلك فقط لمدة ثلاثين دقيقة ولكن لنهاية اليوم . وسوف تغادران الغرفة فقط للذهاب لدورة المياه وتناول الطعام مع الأسرة . هل توجد أية أسئلة أخرى ؟ " .

والآن ، بدلاً من أن يتشاجر الأطفال مع بعضهم سعياً وراء تدخلك ، فإنهم سيتعلمون كيف يتعاونون مع بعضهم البعض حتى يبقوك بعيداً عن مشاكلهم . ياله من شيء رائع !

١٢ أغسطس

أثير الكثير من الجدل حول ضرورة مساندة الآباء لأبنائهم أكاديمياً . وكنتيجة لهذا يطرح الآباء دوماً هذا السؤال : " كيف يمكننا أن نقدم الدعم الأكاديمي لأطفالنا ؟ " .

إن أفضل طريقة لتقديم هذا الدعم وتعزيز جهود معلمي أطفالك هي أن ترتب أولوياتك . ففي المنزل ، ركز على إعداد طفلك للتعلم والتفوق عن طريق غرس القيم الثلاث بداخله : الاحترام والمسئولية وسعة الحيلة . وكما قلت مراراً ، فإن المعلمين لا يستطيعون القيام بما كان من المفترض أن يقوم به الآباء في المنزل . فالمعلمون ليس بأيديهم سوى استكمال ما بدأه الآباء بالفعل وتعزيزه .

تنقسم العملية التعليمية إلى شقين . يتمثل الشق الأول في مسئوليات المدرسة نحو الطفل ، أما الشق الثاني فيتمثل في مسئوليات الوالدين نحو الطفل . ولن يتقبل الطفل المسئوليات الملقاة على عاتقه إلا إذا تعاون الآباء والمدرسة معاً بشكل فعال .

١٣ أغسطس

تبدأ كل النزاعات مع الأطفال بإحدى طريقتين : (١) إما أن يتخذ الأب قراراً لا يعجب الطفل فيبدأ فى العبوس والتقطيب وبصوت يشبه صوت احتكاك الأظافر على سطح معدنى ، يسأل : " لماذا ؟!! " ، (٢) أو يتخذ الأب قراراً لا يعجب الطفل فيبدأ فى العبوس والتقطيب وبصوت يشبه صوت احتكاك الأظافر على سطح معدنى يسأل " ولم لا ؟!! " .

وتنشب تلك النزاعات لأن الآباء يعتقدون خطأ أن أطفالهم بذلك يطرحون عليهم أسئلة . لكنهم لا يطرحون أية أسئلة بل إنهم يستفزونك للعراك معهم ، وبقبولك لتلك الدعوة تكون قد خطوت داخل بحر من الرمال المتحركة . وكلما بذلت جهداً لشرح وجهة نظرك لطفلك غرست قدماك أكثر فى تلك الرمال .

ولن ينتهى أى جدال أو نزاع بينك وبين طفلك لصالحك . فلكى ينتهى أى جدال لصالحك لابد أن تنجح فى تغيير الطريقة التى يفكر بها الطرف الآخر فى الجدال . فنتيجة للمعلومة أو وجهة النظر التى تقدمها للشخص الآخر يبدأ بدوره بتبنى وجهة نظر جديدة أو أكثر نضجاً . ولكن الأطفال لا يستطيعون فهم وجهات نظر الكبار ، وعوضاً عن ذلك فإنهم يتبنون وجهات نظر غير عقلانية ويظلون متمسكين بها إلى أمد غير قصير . لذا وبصرف النظر عن مدى فصاحة الآباء أو رجاحة تفكيرهم ، فإنهم لا يستطيعون الفوز لأن الأطفال لا يمكنهم استيعاب أية وجهات نظر أخرى غير تلك الخاصة بهم .

١٤ أغسطس

إن الاستيعاب والتطبيق الصحيح لطرق التهذيب الأبوية إنما تساعد فى تعزيز التطور التدريجى لمهارات ضبط النفس لدى الأطفال . ويعنى ضبط النفس المقدرة على التنبؤ بالنتائج والعواقب وضبط سلوكنا على أساسها . ويعنى ذلك أن الأطفال لا يستطيعون تنمية مهارة ضبط النفس ما لم يكونوا قادرين على التنبؤ بعواقب أفعالهم . وبالطبع لن يحدث ذلك إن لم يتسم الآباء بالثبات وعدم التردد . بمعنى آخر ، يحول عدم الثبات دون نمو مهارة ضبط النفس لدى الأطفال . وكل ذلك يقودنا فى الواقع إلى حقيقة واحدة : لكى ينجح الآباء فى تهذيب أطفالهم لابد أن يكونوا قادرين على ضبط أنفسهم .

وضبط النفس والثقة سمتان تسيران جنباً إلى جنب ، بل إنهما فى الواقع مترادفتان . وكما أكدت مسبقاً ، فإن التهذيب الناجح لا يرتبط بالضرورة بالاختيار السليم للعواقب ، وإنما يرتبط بإظهار ثقتك فى نفسك لطفلك - أنك تعرف أين تقف وأين تريد منه أن يقف . وهذا يعنى أن الثبات ليس مسألة اتخاذ نفس الإجراء فى كل مرة يسىء فيها الطفل السلوك على نحو معين ، بل مسألة إظهارك لعدم استحسانك - بطريقة ودودة - لهذا السلوك السيئ . بعبارة أخرى ، الإطار الخاص بالتهذيب يأتى فى مرتبة تالية لجوهره .

١٥ أغسطس

بصفة عامة ، عندما يختلف الطفل مع أحد رموز السلطة من البالغين ، أعتقد أنه من الأفضل بالنسبة لأبويه أن يأتيا فى صف الشخص البالغ . فمن المهم أن يرى الأطفال دعم البالغين لبعضهم البعض خاصة فيما يتعلق بالأمور التهذيبية .

إن المعلمين المحنكين يخبروننى دوماً أنه منذ أكثر منذ ثلاثين عاماً كان الطفل إذا ما أحدث مشكلة بالمدرسة فإنهم كانوا يثقون بأن أبويه سيستطيعان استكمال جهودهم فى حل هذه المشكلة بالمنزل . لقد كان البالغون يدعمون جهود بعضهم البعض ، ولهذا فقد نجحوا فى إرساء مجموعة من المعايير الثابتة الخاصة بسلوك الأطفال وأدائهم الدراسى .

ونفس هؤلاء المعلمين يخبروننى أنه بمجرد أن يسمع آباء اليوم أن أبناءهم قد تلقوا عقاباً ما فى المدرسة نتيجة لسوء سلوكهم فإنهم يتحدون وينتقدون رد فعل المعلم ويدافعون عن ـ أو على الأقل يبررون ـ سلوكيات أطفالهم . وليس هذا من شأنه فقط أن يعلم الأطفال كيف يحدثون انقسامات بين البالغين ولكنه يتيح لهم الفرصة للإفلات بأفعالهم وعدم تحمل مسئوليتها .

حينما كان أحد طفلىَّ يأتى إلينا شاكياً من سوء معاملة أحد معلميه ، يكون أول سؤال نطرحه عليه هو : " هل يتلقى جميع زملائك نفس المعاملة التى تتلقاها أنت من معلمك ؟ " ودائماً ما تكون إجابته : " لا ، إنه يختصنى أنا فقط بهذه المعاملة ! " ، فنقول له : " إذن فلابد أنك تقوم بشىء غير لائق يستثير حفيظته . سوف ننتظر منك إيجاد حل لهذه المشكلة وبسرعة وإلا فسوف نذهب لمعلمك ونتعاون معه على إيجاد حل لها " . وتكون تلك هى آخر مرة نسمع فيها الطفل يشكو بخصوص ذلك الأمر .

قليل فقط من المعلمين هم من لا يكترثون لمصلحة الأطفال ، فعندما تقول المعلمة إن الطفل قد أساء السلوك يكون قد أساء السلوك حقاً بنسبة ٩٩٪ ، وعلى الرغم من أننا نقول دوماً إن المعلم كان بإمكانه معالجة الموقف على نحو مختلف ، إلا أن تصرفه دوماً ما يكون هو الأمثل .

١٦ أغسطس

أخبرنى أحد الآباء أنه عندما عاد ابنه البالغ من العمر خمسة عشر عاماً إلى المنزل وآثار التدخين واضحة عليه ، أخذه جانباً وقال له : " اسمعنى جيداً يا بنى ، أريدك أن تعرف أنه ليس بمقدورك أن تدخن أو تتعاطى المخدرات أو أية مشروبات كحولية بدون علمى . وأنا لن أعاقبك على ما فعلت كما لن أبدأ فى التلصص عليك وملاحقتك فى كل مكان . فإن كنت ترغب فى تعاطى المخدرات فلتقم بذلك . ولكن الآن وقد علمت أنك لا تستطيع إخفاء ذلك عنى وأننى لن أمنعك من تعاطى المخدرات فبإمكانك تعاطيها هنا فى المنزل ، ما رأيك ؟ " .

أجاب الابن المذهول على والده متلعثماً : " أبى ، إننى لن أقوم بالتدخين هنا فى المنزل أمامك وأمام أمى ! " .

أجابه الأب : " ولم لا ؟ فسوف نكشف أمرك فى كل الأحوال " .

" لأننى سوف أشعر بالحرج ، كما أننى سأبدو أحمق " .

رد الأب : " إنك سوف تشعر بالحماقة بسبب سخافة هذا الأمر . وأريد أن أؤكد لك حقيقة واحدة بسيطة . لن تجد شخصاً بالغاً واحداً قد ندم لأنه لم يجرب تعاطى المواد المخدرة حين كان مراهقاً . فكر فى هذا الأمر " .

كان هذا هو كل ما قاله الأب بخصوص هذا الموضوع . ولابد أنه كان كافياً ، لأن الابن لم يدخن مجدداً . أما إذا كان الأب قد بالغ فى رد فعله فلا أحد كان ليعلم ما كان يمكن أن يحدث . وكما اعتادت جدتى أن تقول : " انفخ القليل من الهواء فى شرارة صغيرة وسوف تشتعل النيران فى غابة كبيرة " .

باختصار ، إن الآباء الذين غرسوا فى أبنائهم المبادئ السليمة وأقاموا معهم علاقات جيدة قبل أن يبلغوا سن المراهقة ليس لديهم الكثير للقلق بشأنه . نعم إن أطفالهم قد يرتكبون أخطاء ولكنهم سيثبتون دوماً لآبائهم أنهم يستحقون الثقة التى وضعوها فيهم .

١٧ أغسطس

قد أكون فظاً بعض الشيء فيما سوف أقوله ، ولكن الحقيقة هي أن الطفل إما أن يكون عنصراً فعالاً ومشاركاً في الأسرة أو يكون عنصراً طفيلياً . والعنصر الطفيلي هو الكائن الحي الذي يلازم كائناً آخر - عادة ما يكون أكبر منه حجماً - ويعيش عالة عليه دون أن يقدم له سوى أقل القليل ، هذا إن قدم له أي شيء على الإطلاق . أي أن هذا الكائن يحصل على شيء ما دون مقابل . وبالمثل ، فإن الطفل الذي لا يتحمل أية مسئوليات بصفته عضواً من أعضاء الأسرة إنما يتلقى رسالة قوية فحواها : " بإمكانك دوماً الحصول على شيء ما دون مقابل " .

وبالطبع فإن فكرة الحصول على شيء ما دون مقابل هي فكرة واهية لا أساس لها من الصحة ، والطفل الذي ينمو في كنف هذه الفكرة سوف يذهب إلى المدرسة وهي عالقة بذهنه . فسوف يتوهم أن التعليم - شأنه شأن أي شيء آخر - هو شيء يمنحه إياه شخص ما . وهذا ليس صحيحاً بالطبع . فالتعليم مثله مثل الثقة بالنفس هو شيء تجتهد للحصول عليه . نعم قد تجد من يتيح لك الفرصة ولكن انتهازك لتلك الفرصة أم لا هو أمر يرجع لك وحدك .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : كيف تريد من طفلك أن يختار ؟

١٨ أغسطس

لم يقم الأمريكيون بأية تضحية تُذكر لبلادهم منذ الحرب العالمية الثانية . فلم تكن هنالك أية ظروف طارئة قومية استدعت تخصيص أماكن للمعدات العسكرية أو تهجير السكان . ولكن بسبب الحروب ومختلف الإحباطات التى عانت منها البلاد اضطرت الأجيال التى عاشت قبيل الحرب العالمية الثانية القيام بمثل هذه التضحيات . ولكن كل جيل من هؤلاء كان مستعداً للتضحية . فكان الآباء يغرسون مبادئ المواطنة الصالحة ـ احترام السلطة الشرعية وحب الوطن أكثر من الذات ـ فى أطفالهم منذ صغرهم ، لذا فعندما كان يحين وقت التضحية كان الجميع يقدمونها دون تقاعس أو تردد . فى الواقع لقد كانت تلك الأجيال تعتبر التضحية واجباً مقدساً ، لذا فقد كان عدد من كانوا يجبرون على أداء الخدمة العسكرية قليلاً للغاية . فبعد أن عاش هؤلاء الأبناء فى كنف أسر عرفت كيف تهذبهم وترعاهم على النحو الصحيح ـ وبالتالى أعدتهم لحمل راية الحرية فى بلادهم ـ أصبحوا مستعدين تماماً للتضحية بأى شيء لحماية تلك المبادئ والحريات .

وقد مضى أكثر من خمسين عاماً دون أن تمر البلاد بأية أزمة قومية على غرار الحرب العالمية الثانية وما قبلها من أزمات . وفى خلال هذه السنوات الطويلة اتسم أسلوب تربية الطفل الأمريكى باللين لدرجة أنه إذا حدثت أية أزمة قومية فلن نجد على الأرجح من يرغب فى تحمل المسئولية والدفاع عن قضيتنا ، ولكن سنجد عوضاً عن ذلك الكثيرين ممن سيكونون أكثر من مستعدين للتضحية بالكيان الأمريكى لإنقاذ الموقف . لقد كان الأمريكيون محظوظين حقاً خلال النصف الثانى من القرن الماضى لأنهم لم يضطروا لمجابهة أزمات مثل تلك ـ ولكن مثل هذا الحظ لا يمكن أن يدوم أبداً .

١٩ أغسطس

هناك دوماً الكثير من البدائل للضرب . لكن فى هذه الحالـة يصـبح السـؤال هو : فـى حالـة حـدوث مشـكلة هـل سـيكون الإجـراء البـديل بـنفس فاعليـة الضرب ؟ بعد أن قمت بتربية طفلين والعمل طوال خمسة وعشـرين عامـاً علـى مساعدة أسر أخرى على تربية أطفالها خلصت أن ضـربة خاطفـة علـى مؤخرة الطفل أكثر فاعلية من ألف كلمة . فيعزز الضرب ـ الـذى يعـد محفـزاً ـ شـعور الطفل بسلطة أبويـه ويجعلـه يـدرك مـا قـد يترتـب علـى انتهاجـه سـلوكيات سيئة .

٢٠ أغسطس

على مدار الأعوام القليلة الماضية ، أجريتُ استطلاعين غير رسميين للرأى ألقيت من خلالهما الضوء على مشكلة " ليس لدىّ ما أفعله " . فى الاستطلاع الأول ، سألت آباء من بلدان أجنبية تمثل جميع قارات العالم المأهولة بالسكان هذا السؤال : " هل الأطفال فى بلادكم يتذمرون دوماً من شعورهم بالملل وبعدم وجود شيء يفعلونه ؟ " والإجابة دائماً ما تكون بالنفى المصحوب بدهشة من صدور مثل تلك الشكوى من طفل . لقد اكتشفت أن الشعور الدائم بالملل لا يمت بصلة لكون الطفل طفلاً ولكن لكونه طفلاً أمريكياً .

وفى الاستطلاع الثانى سألت أناساً قاموا بتربية أطفالهم فى فترة الأربعينيات والخمسينيات ـ مثل والدى ـ هذا السؤال : " هل كنا ـ أثناء طفولتنا ـ نشكو دوماً من الملل ومن عدم وجود شيء نقوم به ؟ " وكانت الإجابة التى أجمع عليها الجميع : " قد نكون قد سمعناكم تشكون من هذا الأمر فى بعض الأحيان ولكن ليس كثيراً . ماذا تعتقد أننا كنا نفعل ؟ فى تلك المناسبات النادرة التى كان يتوافر لدى أحدكم فيها الجرأة للشكوى من عدم إيجاد شيء يقوم به ، كنا نخبره ببساطة أن يبحث عن شيء يفعله أو سنجد نحن له ما يفعله " . وكان مثل ذلك الرد كفيلاً بأن يقضى على تلك الشكوى . إذن فالشعور بالملل هو أمر لم يستفحل سوى فى هذا الجيل من الأطفال الأمريكيين . حاول أن تتخيل تبعات ذلك الأمر حين دخول الولايات المتحدة فى عصر الاقتصاد العالمى حيث ستعم الفائدة فقط على هؤلاء الأكثر إبداعاً والأوسع حيلة .

٢١ أغسطس

أجد الأمر مدعاة للسخرية عندما يقلق الآباء - من جانب - على مقدرة أبنائهم على مقاومة ضغط أقرانهم فى مرحلة المراهقة ولكنهم - من جانب آخر - يحرصون على توفير كل ما يمتلكه هؤلاء الأقران لأطفالهم . ولعل هذا هو خير مثال على أن المرء قد يرتكب سلوكين متناقضين تماماً دون علم .

٢٢ أغسطس

على الرغم من أن أحد استخدامات " أبقراط " لكلمة " عصا " توحي بالتأكيد على أنها كانت أداة ضخمة تستخدم للتهديد ، إلا أن تلك الكلمة كانت تستخدم قديماً أيضاً للدلالة على الأداة البدائية التى كانت تستعمل لدرس الحبوب على نحو معين دون أن تدمرها . ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن درس الحبوب يعنى فصل الجزء المفيد من الحبة عن القشرة . دعنا الآن نطبق نفس المثال على تربية الأطفال ، ففى ذلك الحين سوف يكون التهذيب بمثابة عملية مطولة لفصل السلوكيات الإيجابية عن تلك السيئة . علاوة على ذلك ، ففى أثناء عملية الدرس لابد ألا يستخدم المرء قدراً كبيراً من القوة حتى لا يدمر المحصول . إذا انتقلنا بهذا المعنى إلى التربية . فسيكون التفسير أن نتيجة ضرب الأطفال بشدة أو كثرة ضربهم تكون دوماً سلبية .

٢٣ أغسطس

في وقت ما بين عام ١٩٥٠ والوقت الحاضر حدث تغيير جذرى في اتجاهاتنا الخاصة بتربية الأطفال . وخلال تلك الفترة تغيرت المصطلحات الخاصة بالتربية لتعكس ذلك التغيير . فعلى سبيل المثال ، أصبحنا نستخدم مصطلح " تقدير الذات " بدلاً من مصطلح " الثقة بالنفس " . كما اخترعنا فى هذه الفترة مهنة جديدة ألا وهى مهنة " خبراء التربية " . فقبل ذلك كان هؤلاء الخبراء مجرد آباء عاديين . أما خبراء التربية الجدد فهم يحملون درجات علمية ويجلسون فى مكاتبٍ فارهة . إنهم يجلسون وراء مكاتب ضخمة ويأخذون فى التحدث بينما يَحُكون لحاهم . وبعد ذلك " العون " الذى قدموه للآباء ، لم تصبح تربية الأطفال أمراً معقداً فقط ولكنها ازدادت صعوبة .

٢٤ أغسطس

في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تم تأليف العديد من الكتب التي تدور حول ثقة النفس لدى الأطفال . وقد كان الإقبال شديداً على شراء تلك الكتب في ذلك الحين . وقد أكد مؤلفو هذه الكتب أن الطفل لا يستطيع أن يثق في ذاته إلا إذا أظهر والداه بعض الاحترام له . وبإمكان الوالد إظهار الاحترام لطفله بمعاملته كندٍ له . كما أقر هؤلاء المؤلفون أن سلامة الصحة النفسية لدى أية أسرة يعتمد على كونها ديمقراطية أم لا . وقد أوضحوا أنه بداخل الأسرة الديمقراطية لا يوجد فرد أقوى من الآخر .

ولكن مثل تلك الأسرة الديمقراطية كانت ومازالت وستبقى دوماً مجرد خرافة . وبإمكانك أن تتظاهر ـ إن كان ذلك سيجعلك تشعر على نحو أفضل ـ بوجود نظام ديمقراطي في منزلك ، ولكنك ستكون قد حايدت الصواب . فلكي تتسم أية أسرة بالديمقراطية لابد أن يخوض أفرادها الكثير من الأحاديث والكثير من المناقشات غير الضرورية (والتي عادة ما تأتي بنتائج عكسية) والكثير من الشروح غير الضرورية بالإضافة إلى سؤال الأطفال كثيراً عن آرائهم . ظاهرياً ، قد يبدو ذلك منتهى الديمقراطية ، ولكن إن توغلت داخل ذلك الإطار الخارجي فسوف تكشف الستار عن حقيقة غير قابلة للجدل : بداخل تلك الأسر التي تدعي الديمقراطية يوجد دوماً شخص له القول الفصل . وتلك الحقيقة البسيطة لا تجعل لما يسمى بالأسرة الديمقراطية أي وجود . علاوة على ذلك ، فصاحب ذلك القول الفصل لابد أن يكون شخصاً بالغاً وإلا فسوف يعاني كل فرد من أفراد هذه الأسرة من مشكلات .

٢٥ أغسطس

أهم ما يمكن أن يمنحه أب وأم عاملان لطفلهما هو حياة عائلية قوية . وأنا لا أعنى بهذا أن ما تقضيه مع طفلك من وقت ليس مهماً ، ولكننى فقط أشير إلى أن الأهم أن تمضى وقتاً مع شريك حياتك . فإن لم يكن يتوافر لديك سوى ثلاث ساعات لتمضيها مع أسرتك على مدار خمسة أيام فى الأسبوع ، فهذا سبب أدعى لأن ترتب أولوياتك الأسرية فى خلال ذلك الوقت . فمما لا شك فيه أن الطفل يحتاج لانتباه والديه ، وكلما كان هذا الطفل صغيراً احتاج لمزيد من الانتباه . ولكن الأبوين أيضاً يحتاجان لقضاء وقت معاً كزوج وزوجة ، كما ينبغى أن يراهما أطفالهما وهما يقضيان هذا الوقت معاً . فليس بإمكان الطفل أن يدرك أن علاقة أبويه هى حجر الأساس داخل الأسرة إن كان فى كل اجتماع لهما مع الأسرة يتصرفان من منطلق كونهما أباً وأماً .

٢٦ أغسطس

لا يمكن أن نعتبر مشاهدة التلفاز أحد الأنشطة التى تجمع شمل الأسر . إن الناس عادة ما يتحدثون عن فوائد مشاهدة التلفاز بصحبة بعضهم البعض ، ولكن الحقيقة أن هذين الأمرين لا يجتمعان معاً ـ المشاهدة والصحبة . فأنت حينما تشاهد التلفاز تركز حاستى السمع والبصر لديك على ما تشاهده . لذا فيمثل التلفاز العقبة الأكبر فى طريق التواصل الأسرى . فمن الممكن أن تكون جالساً بجانب أحد أفراد أسرتك تشاهدان التلفاز ولكن المسافة الحقيقية بينكما تبلغ مئات الأميال .

٢٧ أغسطس

أنا لا أؤيد مطلقاً عادة ضرب طفل لم يبلغ العامين على ظهر يده لقيامه بلمس شيء ما كان يجب أن يلمسه (ولكن يجب أن أعترف بأنه لا يوجد ما يثبت أن مثل هذا الضرب أكثر تدميراً أو إذلالاً من أسلوب ضرب المؤخرة الذى أؤيده دوماً . إننى فقط لا أحب هذه العادة . ولكونى مؤلف هذا الكتاب فمن حقى الاعتراض على شيء ما لأنه فقط لا يستهوينى) . وأنا لا أؤيد أيضاً تلك العادة حتى وإن كانت لمنع الطفل من الإمساك بشيء ساخن . فإن كان لديك متسع من الوقت لضرب يد طفلك ، إذن فأمامك وقت كاف للإمساك بيده وجذبها بعيداً وأنت تقول له بحدة " لا ! " . وعند هذه اللحظة ، ووفقاً لقدرات الطفل اللغوية ، يجب عليك إما أن تشتت انتباه طفلك عن هذا الشيء أو تحاول أن تشرح له السبب فى ضرورة ابتعاده عن هذا الشيء .

٢٨ أغسطس

فى الكثير من الأوقات حينما يسيء طفل ما السلوك يتحمل أبواه عن غير قصد تبعات هذه المشكلة ؛ سواء كانت تلك التبعات عاطفية حيث تجدهم يشعرون بالغضب والإحباط والقلق والإحراج والذنب ، أو كانت تبعات عملية ، فيبدأون فى تدارك عواقب الخطأ الذى ارتكبه الطفل .

إن الطفل لا يمكن أن يتحمل مسئولية خطأ ارتكبه إلا إذا تحمل عواقبه . لكن حينما يتحمل الأبوان نصيب الأسد من عواقب سلوك الطفل السيئ العاطفية والمادية ، فإنهما بذلك يعلنان مسئوليتهما عن هذا السلوك . وبالتالى تصبح المشكلة مسئوليتهما الخاصة ويجب أن يبحثا عن مخرج لها . ولكن كلما اجتهدا فى إيجاد حل لهذه المشكلة شعرا بمزيد من الإحباط لأن الشخص الوحيد القادر على حلها هو المتسبب فيها - أى الطفل .

لكن مثل تلك المشكلات تتطلب من الآباء سن قانون يسمى بـ " قانون المعاناة " : **لا يجب أن يعاني الآباء مطلقاً من جراء خطأ ارتكبه الطفل أو شيء فشل فى القيام به مادام الطفل قادراً على المعاناة وحده والتألم لما فعله** . بعبارة أخرى ، عندما يسيء الطفل السلوك لابد أن يتحمل وحده العواقب المادية والمعنوية لما فعله . فالطفل لن يتقدم أية خطوة لحل المشكلة التى أوقع نفسه فيها ما لم توضع على كاهله عواقب فعلته . باختصار ، حينما يرتكب الطفل خطأ لابد أن يشعر بالمعاناة لما فعله ولابد أن يطالبه أبواه باتخاذ الخطوات اللازمة لحلها .

٢٩ أغسطس

تتسم الطفولة المتوسطة بأنها أكثر المراحل هدوءاً في علاقة الآباء بأطفالهم ، ولكنها بالطبع لا تدوم أبداً . فبمجرد أن يبدأ الطفل مرحلة البلوغ يصبح ولاؤه الأول لأصدقائه بعد أن كان لوالديه . فيصبح هؤلاء الأصدقاء محور اهتمام الطفل وينظر إليهم كمثال يحتذى به . في ذلك الحين يشعر الآباء بأنهم يفقدون السيطرة على أبنائهم ، ويأبون التنازل عن حقهم في أطفالهم دون قتال . لذا فكلما حاول الطفل الابتعاد عن والديه والهرب من شباكهما للحاق بركب زملائه ، زاد قلق والديه بخصوص تأثير هؤلاء الزملاء عليه واعتبراهم ألد أعدائهما ، مجبرين طفلهما على تقديم فروض الطاعة والولاء لهما فقط . لكن إن لم يبد الآباء استعداداً لدعم حاجة أطفالهم للاستقلال (في حدود معينة بالطبع) ، سيقوم هؤلاء الأطفال بتحدى آبائهم وعمل كل ما يحلو لهم .

الواقع أن معظم الأطفال في بداية مرحلة المراهقة يرغبون في الحصول على قدر من الحرية يفوق كثيراً القدر الذى يستطيعون تحمل تبعاته . ومع ذلك ، فإن العديد من الآباء ـ إن لم يكن معظمهم ـ لا يوفرون لأبنائهم قدراً كافياً من الحرية يستطيعون من خلاله أن يتعلموا عن طريق المحاولة والخطأ كيفية اتخاذ قرارات اجتماعية وشخصية سليمة . لكن هؤلاء الآباء الذين يؤمنون أن مهمتهم هى منع أطفالهم من ارتكاب أية أخطاء هم من يرتكب أطفالهم في النهاية أسوأ وأبشع الأخطاء .

وعلى الجانب الآخر ، فإن الآباء الواثقين من قدرتهم على السيطرة على أطفالهم هم من لا يجدون أية صعوبة في التخلى عن هذه السيطرة . إذن فالمفارقة تكون كالتالى : كلما نجح الآباء في إرساء دعائم سلطتهم بفاعلية في السنوات الأولى من حياة الطفل ، زاد استعدادهم لاحقاً لتقبل انفصال أطفالهم عنهم ووضع حجر الأساس للاستقلال بذواتهم . باختصار ، إن الوقت المناسب لتوجيه طفل في مرحلة المراهقة يبدأ قبل دخوله هذه المرحلة بعشر سنوات . فحاول أن تؤدى المهمة على النحو الصحيح منذ البداية وستقل احتمالات ارتكابك لأية أخطاء فيما بعد .

٣٠ أغسطس

حينما كان الآباء يقولون قديماً لأطفالهم : " سوف تتحملون وحدكم تبعات فعلتكم هذه " ، فإنهم كانوا يعنون أيضاً : " إننا لا نشارككم فى تحمل مسئولية أخطائكم ، لذا ابحثوا لكم عن طريقة لحلها بأنفسكم " . والتمسك بمثل هذا الموقف كان يوفر على الآباء عناء الدخول فى مجادلات مع أطفالهم .

لقد تحدثت كثيراً مع آباء قاموا بتربية أطفالهم قبل الحرب العالمية الثانية . وقد أخبرونى جميعاً بأنهم لم ينخرطوا قط فى مشاحنات أو جدالات مع أطفالهم . علاوة على ذلك ، فإن أطفالهم لم يراجعوهم قط فى أية قرارات يأخذونها قائلين لهم : " لماذا ؟ " أو " لِمَ لا ؟ " . فهم كانوا يتقبلون ببساطة أية قرارات يصدرها آباؤهم ، سواء استهوتهم هذه القرارات أم لا . وهذا يؤدى بنا إلى أحد استنتاجين : إما أنه لا يوجد - كما أكدت مسبقاً - ما يسمى بالطفل " كثير الجدال " بطبعه ، أو أن " جينات " الجدل قد انتقلت إلينا من عالم آخر فى منتصف الخمسينيات وأخذت فى الانتشار مثل البكتيريا منذ ذلك الحين .

٣١ أغسطس

لدىّ قاعدة مكونة من شقين ستوفر عليك عناء تبرير كل القرارات التى تتخذها لأبنائك . وأنا أطلق عليها " قاعدة توفير الجهد " .

الشق الأول : لن تجد من الكلمات ما يكفى لإقناع طفلك بصحة قراراتك ما لم ينضج هذا الطفل بدرجة كافية . وفى هذه الحالة ، يكون من مصلحة الطفل أن يجيبه والده إذا سأل عن سبب قراره بهذه الإجابة : " لأننى قلت ذلك " أو أية عبارات أخرى من هذا القبيل .

الشق الثانى : حينما يكبر الطفل بالقدر الكافى ليفهم السبب وراء قرارك ، سوف يكون قادراً على أن يتوصل إليه بنفسه .

لذا فلتوفر جهدك لشىء يستحق .

١ سبتمبر

دعونى أقص عليكم الآن حكاية " الثلاث فتيات الصغيرات " :

كانت الثلاث فتيات الصغيرات يعشن فى ثلاثة منازل متجاورة . وقد تصادف أنهن قد ولدن فى نفس اليوم ويذهبن إلى نفس المدرسة وحصلن تقريباً على نفس الدرجات . وقد اعتقد الكثيرون ممن لا يعرفونهن جيداً أنهن أخوات . وقد كان آباؤهن من ناحية أخرى يعملون فى نفس الشركة ويحصلون على نفس الدخل . وقد كانت العائلات الثلاث يرتادون نفس دور العبادة ويذهبون لقضاء إجازاتهم معاً .

كان ذلك بالنسبة لأوجه التشابه بين تلك العنزات ، أما من حيث أوجه الاختلاف ، فوالدا الفتاة الأولى لا يسمحان لها باللعب بعيداً عن ساحة المنزل دون رقابة أحد البالغين . أما والدا الفتاة الثانية فيسمحان لها باللعب خارج ساحة المنزل ولكن ليس خارج مربعهم السكنى . بينما يسمح والدا الفتاة الثالثة لها باللعب خارج المربع السكنى ولكن ليس خارج المنطقة السكنية .

كل شىء فيما عدا ذلك كان متشابهاً لدى الفتاة الثلاث . وهناك تفسير واحد فقط لحقيقة رسم كل والد لحدود مختلفة تماماً لابنته عن الوالد الآخر : إن الحد الذى يرسمه كل والد يفصل بين الحيز الذى يشعر أن طفله سيكون بمأمن فيه والحيز الذى قد يتعرض فيه للخطر . وقد رسم كل والد منهم هذا الحد فى مكان مختلف . وليس باستطاعتنا الجزم بأن أحد هذه الحدود أفضل من الآخر . فجميعها فى الحقيقة تؤدى الغرض المطلوب منها على أكمل وجه ـ ألا وهو وضع حدود فاصلة . ومع ذلك فإن تلك الحدود توجد فى ثلاثة أماكن مختلفة . فكل والد كان يرسم الخط حيث يريده أن يكون وليس حيث ينبغى أن يكون (لا أحد يعلم فى الحقيقة أين ينبغى أن يكون هذا الخط) ، أو حيث يجزم العلماء بأنه ينبغى أن يكون ، أو حيث يحدده أطباء النفس لتعزيز ثقة الطفل بنفسه . إنهم لا يرسمون هذا الخط فى المكان الذى يؤكد " الخبراء " أنه ينبغى أن يكون فيه . ففى كل حالة من الحالات السابقة ، كان كل والد يرسم هذا الخط فى المكان الذى يشعر بأنه ينبغى أن يكون فيه ـ فقط لأنه أراد هذا ، هذا كل ما فى الأمر .

٢ سبتمبر

إن الوالد الذى يجد نفسه يقول لطفله دوماً : " كم مرة يجب علىّ أن أخبرك بالقيام (أو عدم القيام) بكذا وكذا ؟ " يجب أن يدرك أن تلك العبارة تعنى ببساطة أنه قد فشل فى إقناع طفله بالقيام بالمهمة المخولة إليه من أول مرة . ومن الواضح أن تلك ليست مشكلة الطفل ولكن مشكلة الوالد نفسه ، وسوف يستمر مثل هذا الوالد فى الشكوى من اضطراره لتكرار الأوامر مراراً لطفله حتى يقبل القيام بها .

٣ سبتمبر

حينما كان الهدف من تربية الطفل تقديم مواطن مسئول للمجتمع ، لم يكن من المحتمل أن يفقد الوالدان رؤيتهما لمشهد الغابة - أى التزامهما تجاه المجتمع والثقافة العامة ككل - ليركزان على رؤية الأشجار وحدها - أى التزاماتهما تجاه أطفالهما . لقد كان الآباء قادرين على تحقيق التوازن بين الرؤيتين ، فكانوا يدركون أن الطريقة الوحيدة لتنمية المجتمع هى تربية طفل قوى الشخصية .

أما الآن حينما أصبح الهدف من تربية الطفل تقديم مواطن واثق من نفسه للمجتمع ، حدث اختلال لهذا التوازن . فبسبب تخصيصهم للكثير من الوقت والاهتمام للاحتياجات النظرية لشجرة واحدة ، فقد آباء اليوم منظورهم الكامل للغابة . وتكمن المشكلة فى أنه حينما يفقد الآباء رؤيتهم للغابة تفقد " الأشجار " رؤيتها لها كذلك . وتكون النتيجة أن يكبر هؤلاء الأطفال وهم غافلون عن التزاماتهم تجاه مجتمعهم وثقافتهم بشكل عام . وتعد هذه كارثة فى حد ذاتها ونذيراً بأن هناك قنبلة موقوتة على وشك الانفجار .

٤ سبتمبر

سألنى أحد رجال الصحافة ذات مرة عما أعتقد أنه أكبر خطأ يرتكبه الآباء بحسن نية فى أثناء تربيتهم لأطفالهم . وبينما كنت أفكر فى إجابة مقنعة ، طرأ إلى ذهنى حفيدى " جاك هنرى روزموند " البالغ من العمر خمسة عشر شهراً ، وسرعان ما توصلت للإجابة ! فعلى الرغم من أننى مقتنع بأنه يستطيع فهم خمسة تعليمات على الأقل من كل عشرة أوجهها له ، إلا أنه لا ينصاع فى الحقيقة إلا لواحد منها فقط . وإذا ما أمرناه بعدم القيام بشىء ما ، فإنه يقوم به على الفور ، كما تنتابه نوبات من الغضب إذا لم نلب أحد طلباته . إلى الآن ، كل ذلك طبيعى ومتوقع من طفل عمره خمسة عشر شهراً ، حيث تتوافر له جميع الأسباب ليقتنع بأن والديه وجدا خصيصاً فى هذه الحياة لخدمته والعمل على راحته . فى الواقع ، من الطبيعى أن يكون الأطفال فى مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة محور اهتمام وانتباه آبائهم . فأنت كوالد مسئول عن العناية الكاملة بطفلك فى هذه المرحلة ـ أى لمدة عامين . لكن من المفترض بعد ذلك أن تكف عن تدليل طفلك وتصبح أنت محور انتباهه .

لكن المشكلة هى أن العديد من آباء اليوم لا يقومون أبداً بتولى دفة القيادة فى حياة أبنائهم . إنهم يبلون بلاء حسناً فى تربية أطفالهم خلال أول عامين ، ولكن يبدأ زمام الأمور فى الإفلات من بين أيديهم لأنهم لا يضعون أبداً الأمور فى نصابها الصحيح . فبعد انقضاء مرحلة الطفولة المبكرة بفترة طويلة تجد هؤلاء الآباء لا يزالون يدللون أطفالهم ويعملون على خدمتهم ويعززون من اعتقادهم بمحوريتهم . إن مثل هؤلاء الآباء لا يدركون أنهم لابد أن يبذلوا قصارى جهدهم لتغيير المفاهيم التى اعتنقها أطفالهم فى هذين العامين . فمثل ذلك الجهد يعد أحد الأركان الأساسية فى عملية تهذيب الطفل وتنشئته اجتماعياً ومساعدته على الاستقلال .

٥ سبتمبر

إن الآباء الديكتاتوريين المحبوبين لا يجدون أية لذة أو متعة في التسلط على أطفالهم . إنهم فقط يدركون أن من واجبهم تجاه أطفالهم فرض سيطرتهم عليهم .

لكن في ظل هذا النظام الديكتاتوري القائم على الحب كلما نضج الأبناء تمتعوا بمزيد من المسئولية والمميزات . أما في ظل النظام الديكتاتوري المستبد ، فلا يتمتع الأطفال بأية مميزات .

إن الآباء لا يستطيعون تهذيب أطفالهم بفاعلية ما لم يكونوا مصدراً للحب والحنان . دعنا نصغ الأمر بطريقة أخرى ، إن الطفل لن يسعى لإسعاد شخص لا يمكن إسعاده .

وبالمثل ، فإن الآباء لا يستطيعون حب أطفالهم بصدق إلا إذا كان بمقدورهم تهذيبهم بفاعلية . أو بعبارة أخرى ، إن الطفل لا يستطيع تكوين رابطة قوية مع شخص لا يشعر بحبه له .

أكدت لى إحدى الأمهات من " بريمنجهام " فى ولاية " كاليفورنيا " أن طرق التربية القديمة ليست فقط سهلة التطبيق ولكنها أيضاً فعالة ! وقد روت لى أحد المواقف التى حدثت لها مع ابنها البالغ من العمر ثمانى سنوات ، والذى شعر بأن القميص الذى ابتاعته أمه لأخيه " أفضل " من القميص الذى ابتاعته له . وفى صباح اليوم التالى رفض الطفل ـ الذى مازال ممتعضاً ـ تناول إفطاره ، و " نسى " ترتيب فراشه ، وتباطأ فى ارتداء ملابسه ، وكانت النتيجة أنه لم يلحق بأتوبيس المدرسة .

ويبعد منزل الأسرة عن المدرسة مسافة ميل ونصف ميل فقط . وفى ذلك الصباح كانت درجة الحرارة ٢٨° مئوية ، لذا فقد قرر أبواه أنه سيذهب إلى المدرسة سيراً على الأقدام (وقد ذهبت أمه معه حفاظاً على سلامته) . وبعد أن قطعا مسافة نصف ميل تقريباً ، قال لها : " أنا لست غاضباً لأننى لم ألحق بالأتوبيس ، فالسير للمدرسة ممتع حقاً " . وقد قال هذه العبارة ـ كما أخبرتنى والدته ـ قبل أن ينحل رباط حذائه وتبدأ القشعريرة تسرى فى ساقيه إلى أن انتشرت فى سائر جسده .

وقد كتبت والدته تقول : " بحلول الوقت الذى وصلنا فيه إلى المدرسة كانت يداه باردتين للغاية وكان غير سعيد بالمرة . وقد اصطحبته إلى غرفة الراحة واقترحت عليه تدفئة يديه عن طريق وضعهما تحت الماء الجارى الدافئ . وقبل أن أغادر ذكرته أنها مسئوليته وحده أن يتمكن من اللحاق بالأتوبيس كل يوم وأنه فى المرة التالية التى لا يلحق فيها بالأتوبيس سوف أمشى أنا وهو إلى المدرسة لمدة خمسة أيام عقاباً له " .

ومنذ ذلك الحين وهو يلحق الطفل بالأتوبيس يومياً . تقول الأم : " أما الشىء المحير فقد كان عدد الآباء الذين أبدوا إعجابهم بالطريقة التى عالجت بها هذا الأمر ، ولكنهم فى الوقت ذاته أقروا عجزهم عن تطبيقها بأنفسهم ! " . بالفعل ، لا يوجد الكثير من الآباء ممن يمتلكون

الجسارة الكافية لترك أطفالهم يعايشون العواقب الحقيقية المترتبة على عدم شعورهم بالمسئولية ، وعدم الاكتراث سواء كانت طريقة تهذيبهم لأبنائهم ستلقى استحساناً من أقرانهم أم لا . منى كل التحية لهذه الأم على قوة عزمها ومشاركتها إيانا قصتها عن الحب - من النوع قديم الطراز (وبالتالى الأفضل !) .

٧ سبتمبر

سألنى أحد الصحفيين مؤخراً عما حدث لهذا الجيل من الآباء ليصبح بهذا القدر من التساهل . وقد أوضحت له فى الحال أن المصطلح الذى استخدمه لا يعكس بدقة ما حدث من تغيير فى ثقافة تربية الطفل . فإذا افترضنا أن آباء اليوم قد أصبحوا متساهلين ، فذلك يعنى أنهم على استعداد أن يوفروا نسبة من الحرية لأطفالهم لم تكن متوافرة للأطفال من الأجيال السابقة ، فيعنى التساهل ارتكاب المرء لسلوكيات مستهترة اعتقاداً منه أنها التصرف الأمثل .

وبوصفى شخصاً يلقى نحو مائتى عرض تقديمى فى العام ويتحدث مع آباء من كل أنحاء البلاد أستطيع أن أجزم أن صفة التساهل بكل ما تحمله من معنى تنطبق على الآباء الذين أقابلهم . ومع ذلك ، فلا يتكون لدى الانطباع بأن معظم هؤلاء الآباء متساهلون . فالوصف الأكثر دقة لهم هو " عدم الحزم " . فالمشكلة هى أن آباء اليوم يتسمون باللطف الشديد وحسن النية ، فهم يدعون أطفالهم يتطاولون عليهم ليس لأنه ينبغى لهم ذلك ولكن لأنهم لا يشعرون بأن من حقهم منعهم بحزم من التطاول عليهم .

كلا ، إن آباء اليوم ليسوا متساهلين ، بل إنهم مترددون وغير قادرين على التفوه بكلمة " لا " والتمسك بها . إنهم يعلمون فى قرارة أنفسهم أن أطفالهم لا يجب أن يتمتعوا بمثل هذا القدر من الحرية ويخشون من تبعات ذلك . بل إنهم يخشون أكثر من قول كلمة " لا " لأطفالهم . باختصار ، إن آباء اليوم ضعاف الشخصية . أما الجانب المشرق فهو أنه يمكن تدارك هذا الأمر فى أى وقت . وأنا أعرف ذلك لأننى اعتدت أن أكون ضعيف الشخصية ذات يوم .

٨ سبتمبر

سأروى لكم الآن حكاية " إيمى " ومشروعها العلمى الخاص بالصف السادس الابتدائى : ذات مساء خلال النصف الأول من العام الدراسى جاءتنى " إيمى " مفزوعة ، لقد كان من المفترض أن تسلم " إيمى " مشروعها العلمى فى صباح اليوم التالى ولكنها لم تكن قد بدأت فيه بعد وطلبت منى اصطحابها للمتجر لشراء مستلزمات المشروع كما طلبت منى مساعدتها .

أخذت أفكر لمدة دقيقة ثم قلت لها : " حسناً ، يا " إيمى " إنك لست محظوظة الليلة لأننى نسيت كيف أقود السيارة " .

" كلا ، إنك لم تنس ! " .

قلت : " أنت محقة يا " إيمى " ، إننى لم أنس ، ولكننى لن أصطحبك إلى المتجر وكذلك والدتك . ولكن بإمكاننا إصطحابك فى خلال الأيام القليلة المقبلة حينما يسمح وقتنا بذلك . وأعتقد أن ذلك يعنى أنك ستسلمين مشروعك العلمى بعد عدة أيام " .

" ولكننى سوف أحصل على درجة سيئة ! " .

قلت لها : " أنا متأكد من هذا يا " إيمى " . فى الحقيقة ، إن لم تعطكِ مدرستك درجة سيئة فسأكون أول ولى أمر فى التاريخ يطالب بحصول طفلته على درجة سيئة " .

أخذت " إيمى " فى التوسل إلىّ والانتحاب وبدت وكأن ثقتها فى نفسها قد تهشمت فى معترك الحياة ، ولكننى رفضت المساومة أو الرجوع عن موقفى (وكذلك فعلت " ويلى ") . وقد اصطحبنا " إيمى " إلى المتجر بعد يومين ولكن لم نقدم لها يد العون فى مشروعها . وقد قامت " إيمى " بتسليم المشروع بعد الموعد المتفق عليه ، وقد وفرت علىّ معلمتُها زيارة للمدرسة بإعطائها درجة سيئة . ومنذ ذلك الحين لا تنتظر " إيمى " أبداً للحظة الأخيرة حتى تبدأ فى القيام بفروضها المدرسية .

وتلك هى الطريقة التى تحفز بها أطفالك . فأنت لا تجدف قواربهم بدلاً عنهم ـ هكذا اعتادت الجدة أن تقول .

٩ سبتمبر

هل ينخرط طفلك فى نوبات من الغضب فى المحال التجارية ؟ إن لدىّ حلاً فعالاً لمشكلتك هذه ! وهو يسمى " الخدعة الذكية " : خطط للقيام برحلة إلى المتجر عندما لا تكون بحاجة لشراء أى شيء (هذا صحيح ، حينما لا يكون فى نيتك شراء شيء) . وفى أثناء تظاهرك بأنك ترغب فى شراء شيء ما ، قم باتخاذ جميع الإجراءات التى كنت ستتخذها إن كنت ذاهباً بالفعل لشراء شيء ما ، واصطحب طفلك معك فى هذه الرحلة . وقبل أن تدخل المتجر أخبر طفلك فى هدوء أنه إذا ما قام بأى تصرف مزعج مهما كان بسيطاً فسوف تعود به على الفور إلى المنزل حيث سيمضي به بقية اليوم دون الحصول على أية مميزات (كمشاهدة التلفاز أو حضور الأصدقاء) كما سيذهب إلى الفراش مبكراً .

والآن بدلاً من أن تبذل قصارى جهدك لدرء إحدى نوبات الغضب فسوف تتمنى أن ينخرط طفلك فى إحداها . وحينما يتحقق مرادك ـ وصدقنى سوف يتحقق ـ قل لطفلك ببساطة : " لقد أخبرتنى لتوك أنك تريد الذهاب إلى المنزل ، فهيا بنا " . أمسك بيده وامض به فى الحال خارج المتجر . اصطحبه مباشرة إلى المنزل ونفذ كل ما هددته به . ولا تقم أبداً بأية حال من الأحوال بإعطاء طفلك فرصة ثانية أو تتفاوض معه فى عواقب سلوكه بغض النظر عما سوف يعدك به أو توسلاته لك .

وأؤكد لك أنك بذلك سوف تستحوذ على انتباه طفلك . ومن الآن فصاعداً بدلاً من أن تغضب حينما يسيء طفلك السلوك سوف تتحلى بالهدوء وستنجح فى اتخاذ الإجراء الحاسم . وبالطبع لأنك فاجأته بقرارك هذا فسوف يكون رد فعله دراميا . فهو على الأرجح سوف ينتحب ويخبرك أنه لا يريد أن يكون طفلك بعد الآن ثم ينتحب مجدداً . فقط قل له فى ذلك الحين : " سوف أكون مستاء أيضاً إن اضطررت للعودة إلى المنزل وقضاء بقية اليوم بداخله " .

وفى خلال الأسابيع القليلة التالية ، خطط للقيام برحلات غير ضرورية للمتجر قدر استطاعتك مع تنفيذ نفس الخطة فى كل مرة . وفى خلال شهر ، لابد أن يكون طفلك قد أصبح نموذجاً يحتذى به فى التحلى بأخلاق التسوق . وفى الوقت ذاته ، لابد أن تؤجل رحلات التسوق الحقيقية قليلاً . وتذكر أن هناك دائماً ثمناً لابد أن تدفعه مقابل كل شىء . بيد أن الثمن هذه المرة لن يكون مؤلماً قط .

١٠ سبتمبر

إذا ما كان هناك درس قيم علمه إيانا أنصار الأسرة الديمقراطية المتمركزة حول الطفل فهو أن السلطة ليست حقاً مكتسباً للآباء ، وإنما هي شيء يجب المطالبة به ثم التصرف من خلالها . علاوة على ذلك ، بمجرد أن يكتسب الوالد حق ممارسة سلطته ، لابد أن يعمل على تدعيمها من وقت لآخر عسى أن تخفت أو تتلاشى . فالأب الحازم هو من يؤكد لأطفاله على أساس يومي أنه هو من يمتلك زمام السيطرة على حياته وحياة طفله ومجريات الأمور في حياتهما . إن مثل ذلك التأكيد اليومي يشكل قلب الالتزام الأبوي بتوفير الرعاية والحماية للطفل تحت أي ظرف . ويشكل تأكيد هذا الالتزام جوهر شعور الطفل بالأمان . فالطفل بديهياً يدرك أن الوالد الذي لا يؤكد سلطته لا يمكن الاعتماد عليه وبالتالي لا يمكن احترامه أو طاعته . ولقد قام " خبراء " التربية الحديثة عن دون قصد بتعزيز تلك الفجوة بين الآباء وأبنائهم . فلقد أقنع هؤلاء الخبراء الآباء بألا يمارسوا سلطتهم على أطفالهم . وسوف يكون من العدل لو أن مثل هؤلاء الخبراء يقومون بدفع ثمن نصائحهم السخيفة ، ولكن للأسف فإن الأطفال هم الخاسرون الحقيقيون .

١١ سبتمبر

إن الشكوى من مدى صعوبة تربية الأطفال هى السمة المميزة لهذا الجيل من الآباء ، والذين لا يكفون عن التذمر والشكوى من أطفالهم . وما أسهم فى تعزيز تلك السمة الفكرة القائلة بأنه ما لم تستنفد تربيتك لأطفالك كل طاقتك فأنت إذن لا تبذل الجهد الكافي فى تربيتهم . ولكن الحقيقة ببساطة أن الوالد الذى يعمل بكد لكى يبنى ثقة أبنائه فى أنفسهم إنما يسقط سريعاً فى هاوية إهمال الذات .

فى الواقع ، إن تربية الأطفال أمر بسيط وهين ؛ فما تتطلبه من فطرة يفوق ما تتطلبه من ذكاء ، كما أن نجاحها يعتمد فى الأساس على ثقة الوالد فى نفسه وليس على قدر تضحيته ، إنها تتطلب آباء يحترمون ذواتهم وليس آباء يبذلون قصارى جهدهم لبث الشعور بالثقة فى وحوشهم الصغيرة . فليس من الضرورى - بل لا ينبغى - أن تستهلك تربيتك لطفلك كل وقتك وتدمر أعصابك . فالتربية ما هى إلا ممارسة عملية على الرغم من أنها تحتمل الكثير من الأخطاء إلا أنها تحقق نتائج إيجابية فى النهاية . فالأطفال ما هم إلا مقاتلون صغار وليسوا أشخاصاً ضعفاء . أكرر ثانية ، إنهم ليسوا أشخاصاً مغلوبين على أمرهم تتخبطهم أحداث الحياة وبحاجة إلى آباء يحوطونهم من كل جانب عسى أن يصيبهم مكروه .

١٢ سبتمبر

أجريت العديد من الحوارات مع آباء آسيوين ، والذين وصلوا جميعاً إلى الأراضى الأمريكية مؤخراً . وقد عبروا لى جميعهم ـ دون استثناء ـ عن مدى استيائهم من سلوكيات الأطفال الأمريكيين ، وقلقهم من تأثير هؤلاء الأطفال على أبنائهم . وقد اكتشفت خلال تلك الحوارات أن هؤلاء الآباء يتبنون مفاهيم تربوية مختلفة تماماً عن تلك الخاصة بالآباء الأمريكيين .

أول تلك المفاهيم أن الطفل يجب أن يبدى لأبويه مزيداً من الاهتمام والانتباه أكثر من ذلك الذى يجب أن يبديه أبواه له . فهم يدركون جيداً أنه ليس من الممكن تهذيب طفل لا يعيرك اهتماماً . وهم يدركون أيضاً أنه كلما أعار الآباء أطفالهم مزيداً من الانتباه ، أعارهم أطفالهم انتباهاً أقل .

ثانياً ، لا يجب على الآباء بذل أى جهد لإقناع أطفالهم بالتعاون . فحيث إن تعاون الأبناء مع آبائهم يعنى ضمنياً أنهم متساوون ، فلا ينبغى مطلقاً أن يستجدى الآباء تعاون أطفالهم . ولكنهم بدلاً من ذلك لابد أن يتوقعوا منهم الطاعة .

ثالثاً ، لا يجب أن يبرر الآباء قراراتهم أو تصرفاتهم لأطفالهم . بالتالى يجب أن يوجهوا استفسارات أبنائهم ناحية العالم من حولهم لسبر أغواره ، ولا يشجعونهم على الاستفسار عن كل شىء يقررونه أو يقولونه بـ " لماذا " و " لِمَ لا " . فى الحقيقة ، إن الآباء الآسيويين مذهولون من كم الوقت الذى يهدره الآباء الأمريكيون فى مثل هذه السخافات .

أخيراً ، فإن هؤلاء الآباء لا يتقبلون أن يسىء أطفالهم السلوك . لذا ، فإنهم لا يرشونهم أو يتوعدونهم . كم من الرائع حقاً وجود آباء يدركون أن الأطفال يشعرون بالإشباع الذاتى حينما يرشوهم أحد أو يتوعدهم !

ولكن المحزن فى ذلك الأمر برمته هو أن الأطفال الأمريكيين كانوا قديماً مهذبين ومطيعين كالأطفال الآسيويين . لكن الجانب المشرق هو أنه مازال بإمكاننا إنقاذ أنفسنا .

١٣ سبتمبر

طوال سنوات يفسر الساسة الأمريكيون السبب فى تفشى حالات الإحباط والعنف وإدمان المخدرات والكحوليات بين المراهقين الأمريكيين بأنه " اهتزاز فى الثقة بالنفس " . فكل ما يفعله المراهقون هو أنهم يُنفسون عن نظرتهم المتدنية إلى أنفسهم عن طريق الإدمان أو ارتكاب أية حماقات أخرى . إذن فإن المسئول الحقيقى عن هذه المشكلة هو والدا الطفل أو المجتمع ككل ، وإذا افترضنا أنه بإمكاننا أن نجعل هؤلاء الأطفال الذين يحدق بهم الخطر يستردون ثقتهم بأنفسهم ، فقد نستطيع التخفيف من وطأة هذه المشكلات .

لكن المثير للدهشة أن معدلات الزيادة الجنونية فى إدمان الكحوليات والمخدرات والعنف قد تزامنت مع نهوض حركة تعزيز الثقة بالنفس . وقد ندد أنصار تلك الحركة بأسلوب " توجيه اللوم " ، والذى يلقى على عاتق أحد الأشخاص مسئولية ارتكاب سلوك مرفوض اجتماعياً . فهم يدعون أن " إلقاء اللوم " بمثابة اعتداء نفسي على حق المرء فى الشعور بالثقة فى نفسه . علاوة على ذلك ، كما يصرح أنصار هذه الحركة ، فلو أننا بذلنا جهداً كافياً " للفهم " فسوف يكون السبب الأسرى أو الاجتماعى لسلوك المرء واضحاً أمام أعيننا . لا عجب إذن أن النتائج التى خلفتها هذه النظرية السيكولوجية كانت لها آثار مدمرة على الأطفال الأمريكيين .

إننا نعرف منذ قديم الأزل أن السلوكيات الخاطئة تستوجب العقاب - والذى من شأنه أن يجعل صاحب السلوك السيئ يشعر بالخطأ الذى ارتكبه ويتولد بداخله إحساس بالذنب . بمعنى آخر ، إذا ما قمت بارتكاب خطأ ما ، فلابد أن تشعر بتأنيب الضمير . فالعقاب يولد الشعور بالذنب ، ذلك الشعور الذى يدفع صاحبه لتصحيح خطئه . إن الأمر بهذه البساطة : إن لم تتم معاقبة مسيء السلوك فإنه لن يندم من تلقاء نفسه على فعلته . ولكن هذا ليس كل ما فى الأمر ؛ فالعقاب لا يؤدى فقط للشعور بالذنب ولكنه يسهم فى حل المشكلة . وهذا يعنى أن المشكلة التى يعانى منها الشباب الأمريكى لن تجد طريقها للحل مادامت النوايا الحسنة والأفكار العاطفية تتغلغل فى أساليب تربيتنا لأطفالنا .

إن الأمر يتطلب عقولاً واعية لتربية عقول الأطفال الصغيرة .

١٤ سبتمبر

أعتقد أن الوصف التفصيلى لوظيفة الأجداد سيكون شيئاً مقارباً لما يلى :

- تقوم بإسداء النصح حينما تشعر بضرورة ذلك ، ثم تتظاهر بأنك لا تكترث كثيراً سواء اتبع والد الطفل نصائحك أم لا .
- سوف تنتهز أكبر عدد ممكن من الفرص لتحيط والدى الطفل علماً بأنه سيقوم بأشياء من أجلك لا يقوم بها من أجلهما أو لم يقم بها بعد . على سبيل المثال ، إذا لم يكن الطفل يخلد إلى النوم فى منزل والديه إلا حينما يهز فراشه أحدهما ، فبإمكانك أن تعلمه كيف يخلد للنوم دون هدهدة .
- سوف تنتهز أيضاً أكبر عدد ممكن من الفرص لتوضح للأبوين أن حفيدك قد فعل شيئاً أمامك قبل أن يفعله أمامهما ، وقد يكون ذلك الأمر الزحف ناحيتك أو مساعدة نفسه على الوقوف أو المشى . وفى هذا الصدد ، يكون الأهم بالنسبة لك أن تكون أولى كلمات الطفل هى " جدى " أو " جدتى " .
- سوف تضحك على أفعال الطفل التى تجعل أبويه يشعران بالقلق أو الإحباط أو الإحراج . وأنت لا تقوم بذلك للاستهزاء من والدى الطفل أو التقليل من شأنهما ولكن لتذكرهما بألا يأخذا أفعال الطفل على محمل الجد .
- عندما يكون حفيدك معك سوف تتعمد كسر روتينه اليومى والسماح له بالقيام بالأشياء التى لا يسمح له والداه بالقيام بها ، ولكن حينما تكون بالقرب من أبويه فلابد أن تساندهما دوماً سواء كنت راضياً عن قراراتهما بشأن الطفل أم لا .
- سوف تخبر الجميع كم من الرائع أن يكون للمرء أحفاد ، وسوف تشجع الناس على الزواج والإنجاب فى مرحلة مبكرة من الحياة حتى يحظوا بأحفاد وهم لا يزالون بصحتهم وعافيتهم .
- فوق كل شىء ، فسوف تذكر أبوى الطفل دوماً ـ وقدر استطاعتك ـ بأن مهمتك هى تدليل حفيدك فى حين أن مهمتهما هى عدم تدليله ، وسوف تتظاهر بالسخط الشديد إن ضبطتهما يقومان بمهمتك بدلاً منك .

سؤال : تكفلنا أنا وزوجي برعاية فتاة يتيمة ، وبعدما بلغت الثالثة عشرة من عمرها بدأت في طرح أسئلة عن أبويها الحقيقيين ، لا نملك عن معظمها أية أجوبة . إنها ترغب في معرفتهما وأن تبقى على الاتصال بهما . قد نستطيع التوصل لأبويها من خلال المعلومات المتوافرة عنهما في أوراق الكفالة ، ولكننا لا نعلم إن كان هذا هو الوقت المناسب لصغيرتنا لتبدأ عملية البحث عن جذورها أم لا .

إجابة : ليس بإمكان طفل في الثالثة عشرة من عمره اتخاذ قرارات ناضجة ومتعقلة فيما يتعلق بمثل هذه الأمور . وبخلاف ما يعتقده الكثيرون ـ بمن فيهم العديد من المتخصصين ـ فأنت لا تستطيع إجراء حديث واقعي وعقلاني مع مراهق صغير .

وفي أغلب الظن ، فإن طفلتك لا تختلف كثيراً عن غيرها من الأطفال في هذه المرحلة السنية . فقد توصلت بكل بساطة إلى أنكما أكثر الآباء إحراجاً وحماقة وإرهاقاً . فليس غريباً على الإطلاق أن يبدأ الأطفال المكفولون في هذه المرحلة المحرجة في أن يتخيلوا أن كل شيء في حياتهم الآن كان سيكون رائعاً فقط لو أن آباءهم الحقيقيين لم يهجروهم مطلقاً . وهذا بالطبع مجرد هراء ، ولكنه يدفع آباء الكفالة إلى الوقوع في حالة من القلق والتوتر . والطفل المكفول بدوره يلعب على الوتر الحساس لدى أبويه ، ويصبح تهديده الضمني لهما ـ إن لم يكن العلني ـ هو : إن لم تحققا لي كل ما أرغبه ، فسوف أبحث عن والديّ الحقيقيين وأذهب لأعيش معهما .

ولست في حاجة إلى القول بأن هذا ليس هو الوقت المناسب لمساعدة طفلتك على إيجاد والديها الحقيقيين وتكوين روابط واهية معهما . فما يجب عليك أن تفعليه هو أن تجيبي على الأسئلة التي تعرفين إجابتها ، وتجيبي عن الأسئلة التي لا تعرفين لها إجابة بـ " لا أعرف " . اشرحي لها أن أبويها أينما كانا لهما الآن حياتهما الخاصة وربما يكون لهما أسرة أخرى وأبناء آخرون . أخبريها أنها حين تتخرج من المدرسة الثانوية سوف يكون لديها مطلق الحرية في البحث عن والديها الحقيقيين ، وأنك سوف تقدمين لها أية مساعدة تريدها . وبحلول ذلك الوقت سوف تكون قد نضجت بما فيه الكفاية لاتخاذ قرارات عقلانية بشأن مثل هذه الأمور .

١٦ سبتمبر

سألنى زوجان من " إيوا " ذات مرة عن مفتاح التهذيب الناجح لطفل الثانية . لقد كانا بدون شك يبحثان عن تقنية سحرية تحل لهما جميع مشاكلهما . وقد أجبتهما : " فليكن تركيزكما على زواجكما أكثر من تركيزكما على طفلكما ، فالتهذيب الفعال يتطلب فهماً وإدراكاً حقيقياً بأن الزواج هو أهم علاقة بداخل الأسرة ، فهو يحتل مرتبة مركزية بداخلها ويدور كل شىء آخر حوله " . بخلاف ما يظنه معظم الناس ، فإن التهذيب الناجح (لأى طفل فى أية مرحلة عمرية) لا يعتمد على تقنية وإنما يعتمد عوضاً عن ذلك على ما أطلق عليه " فلسفة الأسرة " .

فإن كان الأب والأم لديهما طفل واحد يستولى على كل انتباههما وكانت علاقة الطفل بأحد أبويه أو كليهما تستهلك وقتاً وجهداً أكثر من ذلك الذى تستهلكه علاقة الزوجين ببعضهما البعض (بمعنى آخر ، حينما يكونان أبوين أكثر من كونهما زوجين) ، يصبح من السهل بالنسبة للطفل أن يفرض سطوته عليهما . فالأبوان لا يمكن أن يتسما بالحسم إلا إذا كانت تصرفاتهما نابعة من اتحادهما معاً .

أما فى الأسرة التى يعولها فرد واحد ، فمن المهم ألا يتقلد الوالد دور صديق الطفل أو أخيه ، كما لا يجب أن يكون الطفل هو محور حياته . فيجب أن يكون لهذا الوالد حياة خاصة به منفصلة تماماً عن مسئوليات تربية طفله . فالأب الذى يكرس حياته لطفله لن يستطيع قط اتباع أساليب حازمة فى تربيته ، كما لن يستطيع مثل هذا الوالد أن يعزز نمو حس الاستقلال بداخل الطفل .

١٧ سبتمبر

يجب أن يتتبع الآباء دوماً الطريقة التى ينفق بها أبناؤهم مصروفهم ، كما يجب أن يتمسكوا بحقهم فى رفض إنفاق هذا المال بطريقة لا تنم عن المسئولية أو لا تتناسب مع قيم ومبادئ الأسرة . فلابد أن ينتهز الآباء كل الفرص الممكنة كى يعلموا أطفالهم كيف يكونون مستهلكين أذكياء ـ أى كيف يقدرون جودة الأشياء ، ويفاضلون بينها ، وكيف يشترون الأفضل ، وما إلى ذلك .

أتذكر أنه حينما بلغ ابنى " إريك " الثامنة من عمره ادخر مصروفه الذى كان دولارين فى ذلك الوقت واشترى سيارتين صغيرتين بلاستيكيتين ـ من ذلك النوع الردىء الذى يتحطم إلى قطع صغيرة بعد إخراجه من عبوته بثلاثين دقيقة ـ كانتا ضمن معروضات الألعاب فى أحد محال البقالة . وبمجرد أن اكتشفنا ما فعله " إريك " بمصروفه جعلناه يعود إلى المتجر لإعادة واحدة منهما ويسترد ثمنها . وبعد عدة أيام سألناه عن السيارة الأخرى التى احتفظ بها ، فقال : " لقد انكسرت " وعلى وجهه نظرة تستجدينا بألا نقول له : " ألم نقل لك ذلك " . ولقد تعلم " إريك " الدرس .

١٨ سبتمبر

إن الخطط التحفيزية المعتمدة على المكافآت تحمل فى طياتها قنبلة موقوتة . فالطفل إن آجلاً أو عاجلاً سيشعر بالإشباع ولن يكترث كثيراً للمكافآت . ففى حين أن المكافأة قد تمثل فى البداية عنصر إغراء بالنسبة للطفل يجعله يحسن من سلوكه أو أدائه الدراسى ، إلا أنه حينما يشعر بالإشباع ـ بمعنى آخر حينما يمل الطفل من كثرة المكافآت ـ فإن اهتمامه بالمكافأة سيتدنى وكذلك سيهبط أداؤه .

وفى ذلك الحين ومن أجل الدفع بأداء الطفل مجدداً يجب على الكبار تقديم عرض آخر للطفل يتسم بأنه أكثر إغراء من الأول . وبذلك يكون الشخص البالغ هو المسئول الأول عن الحفاظ على أداء الطفل فى مستوى معقول . وليس من الممكن أن يشجع هذا النهج الطفل على تقدير القيمة الحقيقية لتطور الأداء أو تحسين السلوك .

إن الآباء أو البالغين باتباعهم أنظمة التحفيز المعتمدة على المكافآت إنما يخاطرون بتعليم الأطفال أن سوء السلوك أو تدنى الأداء هو تذكرة الحصول على أشياء ومميزات خاصة . فلا يستغرق الأمر الكثير من الوقت حتى يدرك الأطفال أن الكبار لا يقدمون مثل هذه العروض للأطفال ذوى السلوك الطيب والأداء المرتفع . الاستنتاج : السلوك السيئ مربح حقاً .

١٩ سبتمبر

بسبب تدخل الخبراء ، أصبح آباء اليوم ـ ممن يرغبون في أداء مهمتهم على أكمل وجه ـ مصابين بالذعر من احتمال قيامهم بشيء ما يؤذي نفسيات أطفالهم الرقيقة ويسبب لهم أزمة عاطفية مزمنة . وكنتيجة لذلك ، أصبح العديد من الآباء حسني النية خائفين من القيام بأي شيء قد يجعل أطفالهم غير سعداء ولو حتى مؤقتاً . والمفارقة هنا أن جيل اليوم من الآباء هو الجيل الذي كان يخشى الكبار عندما كان صغيراً ثم أصبح يخشى الأطفال عندما كبر . فعلى مدار ثلاثين عاماً انقلبت العلاقة بين الآباء والأطفال . وضحايا هذا الوضع المعكوس هم الأطفال الذين لن يتعلموا بذلك قط كيفية احترام السلطة ولن يعرفوا بالتالي كيف يحترمون ذواتهم ؛ وكيف يحترمون الآباء الذين يعيشون في عالم مضطرب يتمركز فيه الأطفال ؛ والأسرة التي تفتقد دفة قوية ورباناً حازماً ؛ وأخيراً البلاد التي أصبحت تتأرجح على أساسات متهالكة . ولن تعود تلك الأمور التي تزداد سوءاً إلى نصابها الصحيح إلا حينما يمتلك الآباء الجرأة الكافية ليخبروا كلاً من أطفالهم والخبراء بأن يجلسوا ولا يتفوهوا بكلمة واحدة .

٢٠ سبتمبر

عندما كنت فى المدرسة الثانوية لم يكن هناك فى هذا العالم مكان للأمور الوسط . فلم يكن هناك سوى لونين : الأبيض والأسود ؛ أى لم يكن هناك متسع للظلال الرمادية . وبالنسبة لفتيٍ فى مقتبل عمره كان أهم ما يعنينى تلك القضايا الخاصة بكون الشاب إما جاداً أو لعوباً . فكان الجادون من الشباب (وكنت واحداً منهم) ينضمون إلى نوادى الشطرنج ، ومجموعات المناظرات ، وكانوا يقودون سيارات أمهاتهم ، ويرتدون النظارات ، ولا يغادرون منازلهم فى عطلات نهاية الأسبوع . أما اللعوبون من الشباب فكانوا يجيدون ممارسة الرياضات العنيفة مثل المصارعة وكرة القدم ، ويقودون السيارات السريعة ، ويتجرعون كميات كبيرة من المشروبات الكحولية ، ويواعدون الفتيات . وبتلك الطريقة تم وضع حد فاصل يفصل بين " الرجال " والفتيان .

ولكننا لم نستوعب ذلك الأمر ، وكذلك لم يستوعب الفتيان اللعوبون أنه تحت ذلك المظهر الشجاع (أو التظاهر به) ترقد رغبة ملحة فى إقامة علاقات عاطفية مع الفتيات . وما زاد من تلك المشكلة سوءاً تجاهل العديد من آبائنا لحقيقة وصول مشاعرنا العاطفية إلى حد الذروة أو محاولاتهم الخرقاء لإمدادنا بمعلومات زائفة عن الحب والزواج .

ولكى نضع حداً لهذا العذاب ، كنا نؤكد لآبائنا أنهم قاموا بأداء مهمتهم على أكمل وجه ، وكنا نفر هاربين من أمامهم . وبالطبع ، لم يعالج جميع الآباء تلك المشكلة بهذه الطريقة السطحية ، ولكن بحلول الوقت الذى تزوج فيه العديد من الشباب من جيلى كانوا بمثابة طاقات شبابية غير موجهة .

٢١ سبتمبر

عندما بدأ ابنى " إريك " ـ والذى يبلغ السابعة والعشرين من عمره الآن ومتزوج من امرأة تدعى " نانسى " هى زوجة الابن التى طالما تمنيتها ـ يظهر اهتمامه بالفتيات ، تذكرت كم المعاناة والإخفاقات الذى مررت به أثناء مراهقتى ، ووعدت نفسى أن يكون ابنى أكثر استعداداً لدخول عالم الفتيات . وللنجاح فى أداء هذه المهمة بدأت أحدد أهدافى وأنتقى الاستراتيجيات المناسبة وأضع خططاً للطوارئ .

وقد سألت عما أريد أن أفعله من أجل " إريك " ، وكانت الإجابة ببساطة : كل ما لم يفعله أبى من أجلى ، ويشمل ذلك :

- حوارًا مفتوحًا وصريحاً بخصوص كل ما يتعلق بالزواج ، وكذلك العلاقة بين الرجل والمرأة بوجه عام .
- أن أساعده على احترام ذاته وجميع من ينتمون إلى الجنس الآخر (فعدم احترام الذات يتجلى فى عدم احترام الآخرين والعكس) .
- فهماً لقواعد التعرف بالفتيات ، بما فى ذلك تقدير واحترام مخاوف وآمال وتوقعات ـ سواء الضمنية أو الصريحة ـ آباء الفتيات المراهقات .

وكان علىّ أن أتقبل كذلك أن مهمتى تلك قد تبوء بالفشل وأنه ليس هنالك تقنية بعينها تضمن نجاحها . ولكننى قررت أن أبذل كل ما فى وسعى لنجاحها وألا أقبل أبداً تحمل مسئولية أخطاء ابنى . وقد أدركت أيضاً أن نجاح هذه المهمة لا يعتمد على الذكاء بقدر اعتماده على الحس المرهف والفطرة السليمة . ولكى أستطيع تلبية احتياجات " إريك " فى هذا الصدد لم يكن ينبغى علىّ فقط البقاء على مقربة منه بقدر استطاعتى ولكن كان يجب أيضاً أن أخصص وقتاً لقضائه معه على أساس منتظم . وقد تعلمت من خلال خبرتى المهنية أن الفتيان المراهقين الذين لا تربطهم علاقة صحية بأحد البالغين يتبنون فى الغالب أفكاراً مشوهة عن معنى الرجولة الحقة . لذا ففى خلال

سنوات مراهقة " إريك " تعمدت أن أكون له بمثابة القدوة التى يحتذى بها ولعبت معه الجولف وكنا نذهب إلى حفلات " الروك آند رول " معاً . وبالطبع لم تخل علاقتنا من الخلافات ، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تشع بالحيوية .

٢٢ سبتمبر

بخصوص " الحوار " ، توصلت إلى أن ما يحتاجه " إريك " منى ليس سيلاً من المعلومات عن " حقائق الحياة " ، وإنما الحرية الكافية للتعبير عن كل تساؤلاته ومخاوفه . فالثقافة الزوجية من شأنها أن تساعد المراهق على السيطرة على رغباته ونزواته . لذا فبعد بلوغ " إريك " الثالثة عشرة من عمره بفترة قصيرة بادرت بفتح باب الحوار بيننا ، وقد حرصت على أن أكون قدوة يحتذى بها إلى أن شعرت أن الوقت قد حان لأقول له :

" أنت تعلم يا " إريك " أنه كلما تقدمت بك السنوات ازداد اهتمامك بالفتيات وأصبح لديك العديد من التساؤلات لتطرحها . لذا فحينما تريد أن تستفسر عن أى شيء أو تتناقش مع أحد فى أمر يتعلق بالرجال والنساء أرجو أن تأتى إلىّ أو لوالدتك . فنحن نود أن تتوجه بتساؤلاتك تلك لنا وليس لأحد من أصدقائك لأنه قد يمدك بإجابة غير صحيحة . وتذكر أنه لا يوجد ما يسمى بالسؤال الغبى " . ثم عدت مرة أخرى للعب دور القدوة .

وقد استشعرت بأنه تنفس الصعداء لأن الحوار بيننا لم يكن يدور حول الطيور والنحل . ويبدو أن خطتى قد نجحت حيث أتى إلينا بالفعل أكثر من مرة ليطرح علينا بعض الأسئلة . وقد كنت أنا و " ويلى " ننتهز هذه الفرص ليس فقط لتوفير الإجابات ولكن لإضافة القليل من التعليقات المحورية .

وإن كنت قد تعلمت أى شيء من خلال كل ذلك فهو أنه ليس بإمكاننا تنمية ثقافة أبنائنا الخاصة بالعلاقة الزوجية على طريقة " ألق بالمعلومة واجر " التى كان يتبعها والداى ، أو على طريقة المحقق " جو فرايداى " والذى قال : " الحقائق يا سيدتى ، الحقائق هى أهم شىء " . فتنمية تلك الثقافة عبارة عن عملية إبداعية لا تهدف فقط إلى الأخذ بيد الفتى المعنى ولكن لبناء مجتمع صحى . بمعنى آخر ، لا يجب عليك قط إغفال مشهد الغابة والتركيز على رؤية الأشجار . وقد اكتشفت أيضاً ـ الأمر الذى جعلنى أشعر بالرضا إلى حد كبير ـ أنه لا علاقة بين كون الفتى " لعوباً " ونجاحه فى إقامة علاقة عاطفية ، فأخطاء الآباء لا يجب أن يتوارثها الأبناء .

٢٣ سبتمبر

منذ بدأت كتابة عمود خاص بى فى إحدى الجرائد عام ١٩٧٦ ، أصبح من الواضح بالنسبة لى أن الطب النفسى بات أقرب إلى كونه أحد الأحزاب السياسية منه إلى حقل علمى . على سبيل المثال ، بالرغم من الادعاء بأنه يقوم على مجموعة من الحقائق ، فإن الطب النفسى فى الحقيقة ليس أكثر من مجرد مجموعة من النظريات الافتراضية (والقابلة للتغيير) حول السلوك الإنسانى . والإيمان بصحة مثل هذه النظريات يتطلب إيماناً حقيقياً بعلم النفس . وتلك النظريات هى التى تشكل الإطار الفكرى لعلم النفس ومبادئه ، وكما هى الحال فيما يتعلق بأى حزب سياسى أو دينى منظم ، فإنه يشكل موضع خلاف دائم بين علماء النفس المتخصصين . وعلى الرغم من ذلك توجد قاعدة متعارف عليها مفادها أنه لا يستطيع أحد طرفى الخلاف داخل الحقل نفسه اتهام الطرف الآخر بأنه جانب الصواب . فبإمكان الشخص التشكيك أو النقد أو عدم الاتفاق فى الرأى ولكن ليس بإمكانه أبداً الاستهزاء أو السخرية . وبالتالى ، فإن الخلاف ما بين أعضاء المهنة الواحدة غالباً ما يكون مغلفاً بالاحترام للشىء موضع الخلاف ويكون فى نطاق حدود معينة متفق عليها . فعلماء النفس قد يسخرون من الأفكار والمعتقدات السائدة فى مجال الطب النفسى ، ولكن ليس بإمكانهم السخرية من مفاهيم ونظريات علم النفس ـ ليس بدون التعرض لعقوبة ما .

وأنا أعرف ذلك لأنه قد صدر علىّ حكم بخيانة مهنتى . فيرى أبناء مهنتى أن آرائى حول تربية الطفل والحياة الأسرية غير صحيحة من الناحية النفسية . فهى بمثابة وصمة فى جبين الطب النفسى وغالباً ما تكون عرضة للنقد اللاذع . بيد أن كل ما حدث هو أننى أعلنت ازدرائى للمفاهيم الجديدة الخاصة بتربية الأطفال والتى عمل على انتشارها المتخصصون النفسيون منذ الخمسينيات . علاوة على ذلك ، فلقد تماديت كثيراً بافتراض أن الأجيال السابقة من الآباء قد أحسنوا تربية أطفالهم . فمادام هنالك علماء نفس يؤمنون بأن أفكارهم الخاصة بتربية الأطفال أفضل كثيراً من تلك الخاصة بأسلافنا ، فسيظل هنالك علماء نفس يعتقدون أننى شخص مزعج ويعلنون عدم رضائهم عن أية أفكار لا تتفق ونظرياتهم الفلسفية . وفى ذلك الصدد فقد تقبلت اتهامى

بالخيانة . وأنا لم أتقبل هذه التهمة فقط ولكنني فخور بها وسوف أظل خائناً حتى يخرج علم النفس رأسه من الرمال ويتحرر من قيوده . وأنا لا أتعجل حدوث ذلك .

٢٤ سبتمبر

لقد قمت بتهديد صناعة الصحة النفسية فى الولايات المتحدة لأننى حاولت من خلال عملى إقناع الآباء أن بمقدورهم حل ٩٨ ٪ من مشكلات تربية أطفالهم بأنفسهم دون حاجة لمساعدة المتخصصين . وعلى الجانب الآخر ، فقد بذل إخصائيو الصحة النفسية جهداً خارقاً لإقناع الآباء بأنهم لا يستطيعون تربية أطفالهم دون اللجوء إليهم . أنا أسلم أن بعض إخصائيى الصحة النفسية بإمكانهم فى بعض الحالات تقديم يد العون ، ولكن ما وجه التميز فى ذلك ؟ فزميلك فى العمل أو حلاقك أو جدتك أو جارك أو صديقك المقرب بإمكانه تقديم نفس المساعدة . وبخلاف الحال مع الطبيب وطبيب الأسنان وميكانيكى السيارات ، فليس هناك دليل أن متخصص الصحة الذهنية استطاع تحسين الأوضاع فى المجتمع الأمريكى للأفضل . باختصار ، إن حدثت معجزة ما جعلت هؤلاء المتخصصين يختفون من على وجه البسيطة ، فسوف تستمر الحياة ولن تزداد معاناة أحد من جراء هذا . فثق فى كلامى ، ولا تنس أننى طبيب نفسى أيضاً . فأنا إن اختفيت من على سطح الأرض سوف تستمر الحياة على الرغم من أن " رصيد خفة الظل " فى العالم سوف يجابه انخفاضاً طفيفاً .

٢٥ سبتمبر

يقوم الآباء بوضع القواعد ويقوم الأبناء باختبارها . إن اختبار تلك القواعد هى الطريقة الوحيدة أمام الطفل للتأكد من مدى جدية الآباء بخصوص تطبيقها . فتهديدك لطفلك قائلاً " تلك هى القاعدة " ليس كافياً ، فالأطفال شأنهم شان المفكرين لابد أن توضح لهم الأمور عملياً .

وعندما يخالف الطفل إحدى القواعد ، فينبغى على أبويه أن يفرضا عليه أحد أشكال التهذيب . فمثل ذلك الأمر يستحوذ على انتباه الطفل ويبعث له بهذه الرسالة : " أرأيت ، ما كنت أخبرك به هو الحقيقة " . إذن فعندما يلتمس الطفل الحزم من أبويه يدرك أن بإمكانه الاعتماد عليهما . وكلما شعر الطفل أن بإمكانه الاعتماد على والديه ، زاد شعوره بالأمان . أما إن خالف الطفل إحدى القواعد وبدلاً من أن يتخذ أبواه إجراء حاسمًا معه أخذا فقط يهددانه أو يثوران عليه دون فعل أى شىء ، فسوف يضطر الطفل لكسر القاعدة مجدداً ومجدداً ومجدداً . والتحدى السافر للقواعد بهذه الطريقة يهدر طاقة الطفل . إنه يهدر طاقة ووقتاً غاليين كان يمكن أن يستغلهما الطفل فى القيام بأنشطة إبداعية وبناءة ومفيدة . ولأن الحزم يوفر على الطفل عناء كسر القواعد المتكرر ، فإنه يساعده أيضاً على النضوج .

٢٦ سبتمبر

بعد أن أثبت لكم أن الأطفال ليسوا بحاجة إلى الحجج والبراهين وأن عبارة " لأننى قلت ذلك " هى الحجة الوحيدة المناسبة معهم ، فقد حان الوقت لأخبركم بأننى أعتقد أنه لا بأس ـ فى أغلب الحالات ـ من أن توفر للطفل حجة أخرى بخلاف " لأننى قلت ذلك " وهذا إن طلب ذلك . نعم هذا صحيح ؛ ففى الواقع ، ليس من اللائق أن يكون ردك " لأنى قلت ذلك " على كل استفسار لطفلك . فسوف تبدو فى النهاية مثل الاسطوانة المشروخة . لذا فلتوفر لطفلك بعض الأسباب ، ولكن من فضلك ضع فى اعتبارك أمراً واحداً : **إن لم تلق القاعدة التى وضعتها أو الشرح الذى قدمته قبول طفلك ، فإن " لأننى قلت ذلك " هى الحجة الوحيدة المناسبة معهم ، فقد حان الوقت لأخبركم بأنى أعتقد أنه لا بأس ـ فى أغلب الحالات ـ أن توفر لطفلك حجة أخرى بخلاف " لأننى قلت ذلك " وهذا إن طلب ذلك .**

دعنا نواجه الأمر ، إن لم يلق أحد قراراتك قبول طفلك فإنك لن تستطيع بعد ذلك مطلقاً أن تقنعه بوجهة نظرك ليقول لك " لقد فهمت الآن يا أبى ! كيف كان هذا الأمر غائباً عنى ! هذا مدهش ! منذ دقيقة واحدة كنت مختلفاً تماماً معك معتقداً أنك أسوأ شخص على وجه الأرض ، ولكنك استطعت فقط ببعض الكلمات أن تثبت لى كم كنت غبياً ! شكراً لك يا أبى ، أنت عظيم حقاً ! " .

إن هذا لم يحدث أبداً ولن يحدث مادام طفلك لم يزل طفلاً . لماذا ؟ **لأن الأطفال ليس بإمكانهم فهم وجهات نظر الكبار .**

لذا قم بتبرير أى قرار اتخذته ولكن لا تتوقع من طفلك أن يوافقك الرأى . وحينما يختلف معك لا تحاول أن تساعده على الفهم لأنه لن يستطيع وكل ما ستتمخض عنه محاولتك هو نزاع بينكما . فقط قل له : " أعرف أنك لا توافقنى الرأى ، ولو أننى كنت مكانك لاختلفت معى أيضاً " . ثم استدر واترك الغرفة .

٢٧ سبتمبر

أنا مقتنع بأن رب الأسرة فى حقبة الخمسينيات لم يكن كما هو شائع عنه " قاسيًا " أو " غير عابئ " أو " غير مبال " . لقد كان الأب فى تلك الفترة منشغلاً دوماً فى عمله وزوجاً مخلصاً ورب أسرة . وبالمقارنة بزوجته ، التى كانت متواجدة دوماً فى المنزل ، فقد كان الزوج أقل تواجداً ـ ولكن كان ذلك بسبب كثرة مسئولياته وليس بسبب عدم قدرته على الانسجام والتناغم مع أطفاله .

لكن المدهش حقاً هو الطريقة التى انتشرت بها هذه الخرافة فى وسط علم النفس المعاصر . قال لى أحد الآباء مؤخراً : " لا أريد أن أكون مثل والدى . فقد كان منشغلاً دائماً عنا ، وحتى حينما كان معنا فى المنزل ، كان منعزلاً " .

فسألته : " متى توصلت إلى تلك النتيجة ... أن والدك كان منعزلاً عنكم ؟ " .

فأجاب : " ماذا تعنى ؟ " .

قلت : " أعنى ، هل توصلت لهذه النتيجة عندما كنت طفلاً أم حينما بلغت ؟ " .

أجاب : " لقد توصلت لهذه النتيجة مؤخراً " .

فسألته : " إذن عندما كنت طفلاً لم تكن حانقاً من مسألة انعزال والدك عنكم ؟ " .

أخذ يفكر لدقيقة ثم قال : " لا أعتقد ذلك " .

فسألته : " ما المشكلة إذن ؟ " .

فكر مجدداً ثم قال : " إذن ما تحاول أن تقوله لى إنه لم يكن هنالك ما يعيب أبى وأننى اقتنعت بعكس ذلك مؤخراً ؟ " .

قلت : " هذا صحيح ، وأنا متأكد تقريباً أنه كان نعم العائل ونعم الزوج ونموذج الرجولة الحقة وعضوًا محترمًا فى مجتمعه " .

فقال : " نعم كان كذلك ، إذن أخبرنى كيف وصلت إلى استنتاجى بأنه لم يكن أباً جيداً ؟ " .

أجبته : " أنا متأكد أنك كنت تقرأ كثيراً فى الفترة الماضية " .

٢٨ سبتمبر

هل يحاول طفل اليوم صاحب عبارة " لا أجد شيئاً أفعله " إخبارنا بشيء ما ؟ بالتأكيد ، ولقد حان الوقت لمعرفة ما هو هذا الشيء . وإذا كان بإمكان هذا الطفل التعبير عن ملله بتعبيرات البالغين لكان قال شيئاً من هذا القبيل : " أعلم يا والدىّ أنكما قد وفرتما لى كل هذه الألعاب لأكون سعيداً ، وقد نجحتما فى ذلك إلى حد ما . ففى كل مرة تشتريان لى لعبة جديدة أشعر بالسعادة ولكن لفترة قصيرة . ولكن بشرائكما لى كل هذه الألعاب فقد أقنعتمانى دون قصد منكما بأننى لا أمتلك المقدرة على شغل وقتى وتسلية نفسى .

وكان يجدر بكما أن تحاولا إقناعى بأن مقدرتى على شغل وقتى لا علاقة لها بكم الأشياء والألعاب التى بحوزتى (مشيراً لألعابه) ، ولكن بكم الأفكار التى توجد هنا (مشيراً لرأسه) . إنكما بكل حسن نية جعلتمانى أومن فى متجر الألعاب بدلاً من الإيمان فى نفسى . الآن بعدما شرحت لكما كل هذا فإن لدىّ استفساراً واحداً قد يكون أهم الأسئلة التى سأطرحها عليكما على الإطلاق : متى ستكفان عن القيام بذلك ؟ "

٢٩ سبتمبر

إن الدرجات التى تحرزها فى المدرسة ليست هى التى تجعلك ناجحاً فى الحياة . والمثير للدهشة أن المعلمين دائماً ما يسألوننى عن هذا الأمر فى جلسات التدريب التى أعقدها لهم . وعندما يستفسرون عن هذا الأمر فإننى عادة ما أقوم بطرح عدة أسئلة :

" كم منكم احتاج أن يستخدم ما درسه فى المدرسة عن الجبر على أساس منتظم ؟ " ويرفع عدد قليل من الأشخاص من جمهور مكون من مائة شخص أيديهم للإجابة على هذا السؤال .

" الكيمياء ؟ " عدد قليل من الأيدى .

" الأدب ؟ " نحو عشرة أشخاص .

" التاريخ ؟ " ربما خمسة أشخاص .

وعند هذا الحد أقوم بتغيير مجرى الحديث قائلاً : " كم منكم يعتقد أنه من الضرورى إدارة الوقت بفاعلية كل يوم تقريباً لتحقيق النجاح ؟ " فيرفع الجميع أيديهم .

" من فضلكم أبقوا أيديكم مرفوعة إذا ما كنتم تعتقدون أن النجاح يتطلب تحمل مسئولية أشياء كنتم تفضلون عدم القيام بها " . مازالت جميع الأيدى مرفوعة .

" أبقوا أيديكم مرفوعة إذا كنتم تعتقدون أن المبادرة هى أحد أهم عوامل النجاح " . مازالت جميع الأيدى مرفوعة وقد أنهكت لذا فإننى أطلب منهم إنزالها .

ما أرمى إليه هو أننا سواء أدركنا هذا أم لا فإن معظم المواد التى يدرسها الطفل فى المدرسة لن تفيده بشىء بعد ذلك فى حياته العملية . ولكن ما سوف يشكل أهمية بالنسبة له هو ما تعلمه فى عملية الكفاح للتميز فى إحدى المواد . ويجب أن يوضع فى العبارة السابقة خط تحت كلمة " الكفاح " . بمعنى آخر ، كلما بذل الآباء جهداً ، قل كفاح الأبناء ، وقل تعلمهم شيئاً مما ينبغى لهم أن يتعلموه لتحقيق النجاح فى حياتهم .

٣٠ سبتمبر

منذ السبعينيات من القرن العشرين أصبحت الثقة بالنفس إحدى العبارات التى تتردد كثيراً على مسامعنا . فطوال عشرين عاماً أو أكثر ومجتمع المتخصصين يؤكد للآباء أن أهم واجباتهم هى تعزيز وحماية ذلك الكيان النفسى الغامض . ونفس ذلك المجتمع كان هو المسئول عن خلق الانطباع بأن الثقة بالنفس هى شىء يستطيع البالغون منحه للأطفال عن طريق وهبهم قدراً وافراً من الاهتمام والثناء . وكلما غمرت أطفالك بمثل هذه الأمور - كما يقول الخبراء - ازداد شعورهم الإيجابى تجاه أنفسهم وتقديرهم لذواتهم (المعنى : ازدادت سعادتهم) . ولكن الثقة بالنفس ليست شيئاً نستطيع منحه للأطفال ، بل هى شىء يكد الأطفال لاكتسابه وسبر أغواره . إنها ليست شيئاً يمكن للآباء توفيره لأبنائهم ، وإنما هى شىء مكتسب شأنها شأن كل الأشياء القيمة فى الحياة . وزيادة ثقة الطفل بنفسه لا تعتمد على كم الجهد الذى يبذله الأبوان للثناء على الطفل أو للقيام بالكثير من أجله أو لمنحه الكثير من الاهتمام ، ولكنها تزداد بتعلم الطفل كيفية الاعتماد على نفسه . إن الثقة بالنفس التى تتغذى على الكثير من الاهتمام والثناء ليست ثقة بالنفس بالمرة ، وإنما هى تمركز حول الذات والذى لابد أن يخرج الطفل من براثنه حتى ينضج .

١ أكتوبر

تساعد المهام المنزلية على تنمية العديد من القيم بداخل الأطفال ، منها حس المسئولية وضبط النفس وقيم أخرى ثمينة . أما المصروف فيساعد على تنمية مهارات إدارة الأموال لدى الطفل . ولكن ينبغى على الآباء عدم الخلط بين الأمرين .

فدفع أموال للطفل فى مقابل قيامه بالأعمال المنزلية يخلق لديه اعتقاداً بأنه إذا لم يكن بحاجة للمال فبإمكانه رفض القيام بالمهمة المخولة إليه . كما أن رشوة الطفل بالمال تنتقص من قدر القيم التى من الممكن أن يتعلمها الطفل من خلال قيامه بالمهام المنزلية . فالمهمة التى يتلقى الطفل مقابلاً لها لا تصبح مشاركة من أجل المشاركة ولكن مشاركة من أجل المال .

باختصار ، يجب على الأطفال القيام بالمهام المنزلية من أجل شىء واحد فقط ، هو الخضوع لرغبة آبائهم والذين يدركون جيداً أهمية القيام بمثل هذه المهام . فالآباء الذين يغرون أبناءهم بالمال لكى يتعاونوا معهم إنما يقومون دون قصد بالانتقاص من قدر سلطتهم . وينتهى الأمر بالطفل وقد تعلم كيف يتلاعب بالآخرين دون أن يتعلم شيئاً عن ضرورة احترام السلطة ، والمسئولية ، وضبط النفس .

٢ أكتوبر

سؤال : هل لا بأس من أن يتيح الأبوان لطفلهما فرصة كسب أموال إضافية عن طريق القيام بأعمال أكثر من تلك المتوقعة منه ؟

الإجابة : بالتأكيد . ففي حين لا ينبغي على الآباء دفع مال لأطفالهم مقابل قيامهم بالأعمال المنزلية - مثل إخراج القمامة وإطعام الحيوان الأليف وهكذا - فإنه لا بأس أبداً من عقد الآباء صفقة مع أبنائهم للقيام بأعمال إضافية ، ولكن الصفقات من ذلك النوع يجب أن تكون حالات استثنائية وليس القاعدة . فلابد ألا يغفل أحد هذه الحقيقة : داخل الأسرة لا يوجد عائد مادى مقابل القيام بالمهام المنزلية ، ولكننا نقوم بها فقط لأنه يجب أن يقوم بها شخص ما .

٣ أكتوبر

أن يكون للطفل أكثر من جليس - كل له شخصية مختلفة وتوقعات مختلفة وقواعد مختلفة وطرق تهذيب مختلفة عن الآخر - لا يعد أمراً مربكاً بالنسبة له على الإطلاق . ولكن ما قد يربكه فعلاً هو أن يضع له جليسه قاعدة ما وبعد لحظات يضع له نقيضها . وأنا واثق من تلك الحقيقة بل وأسديها لك من منطلق تجربة شخصية . فحينما كنت طفلاً صغيراً قضيت وقتاً كبيراً مع كل من : جدتى لأمى ، وجدتى لأبى ، وأمى ، و " مى " جليسة الأطفال التى كانت ترعانى بينما كانت أمى فى العمل . وقد اعتادت إحدى هذه السيدات تدليلى ، وكانت أخرى لا تطيق صبراً على تصرفاتى ، وأخرى كانت متساهلة ، بينما كانت واحدة منهن قاسية علىّ ولكنها فى ذات الوقت تغمرنى بحبها . ومع ذلك فلم يسبب لى هذا التناقض الواضح فى شخصيات من قاموا برعايتى أى إرباك . وفى خلال وقت قصير ، استطعت أن اكتشف ما أستطيع فعله لأحوز على رضا كل منهن وكيف أتجنب سخطهن ، وكيفت سلوكياتي وفقاً لذلك . فبغض النظر عن كل شىء فالأطفال أذكياء بالفطرة ولم أكن شاذاً عن هذه القاعدة .

٤ أكتوبر

يجنى الأطفال الكثير من الفوائد عند ممارستهم لمختلف الهوايات . فلأن الهوايات تتيح للأطفال فرصة تحقيق الإنجازات ، فإنها تساعدهم على الشعور بالكفاءة الذاتية . وتعد الهوايات كذلك إحدى الوسائل التعليمية . فمثلاً عن طريق ممارسة الروكيت يتعلم الطفل بعض الأمور عن الدفع والديناميكا الهوائية . وعن طريق جمع الطوابع يتعلم القليل من المعلومات التاريخية والجغرافية . إن الهوايات بصفة عامة تعلم الأطفال كيف يضعون أهدافاً ويتخذون قرارات صعبة ويحلون كل أنواع المشكلات . فالهوايات تغذى المهارات الإبداعية والتخيلية ، كما أنها تساعد الأطفال على التعبير عن اهتماماتهم وإظهار مواهبهم . إن قائمة فوائد ممارسة الهوايات طويلة حقاً ، لذا ، باختصار ، فإن الهوايات هى أحد العوامل الرئيسية لتعزيز نمو الطفل .

٥ أكتوبر

عادة ما يخلط آباء المراهقين بين هروب أبنائهم المؤقت ومغادرتهم المنزل تماماً . وفى الواقع إن عدداً قليلاً للغاية من المراهقين هم من يغادرون منازلهم بلا عودة - ويكونون فى العادة ممن يتعرضون للإيذاء والاضطهاد . وعلى الجانب الآخر ، فإن عدداً كبيراً من المراهقين يهربون مؤقتاً من منازلهم ولكن بنية العودة . فإبان شعور المراهق بالغضب من والديه ، يبحث عن مأوى مؤقت له فى منزل أحد أصدقائه . فهو يعرف أن هروبه هذا سوف يدفع والديه للعدول عن أحد قراراتهما أو الاستسلام لرغبة الابن . وإذا ما استسلم الوالد لرغبة الابن ، فسوف يلجأ المراهق لتلك الوسيلة لإنهاء أى خلاف بينه وبين والده فى المستقبل . هذا ويهدد الكثير من المراهقين بالهروب دون أن يقوموا بذلك . وكلما أخذ الآباء مثل هذه التهديدات على محمل الجد زاد احتمال تنفيذ الأبناء لها . أما المراهق الذى يهدد بالهرب دون رجعة من المنزل ، فلابد أن يخبره والداه أن له مطلق الحرية فى القيام بذلك وأن هربه هذا لن يغير من الأوضاع فى المنزل . ويجب أن يوضح الآباء لأبنائهم كذلك أن الهرب من أمام المشكلات إنما يؤكد أنهم ليسوا ناضجين بالقدر الكافى وبالتالى لا يستحقون الحصول على امتيازات معينة . وفى أغلب الأحوال لن يزيد رد فعل المراهق عن التجهم والبقاء فى المنزل .

٦ أكتوبر

لا يجب أن يكون لضرب الأطفال أى وجود على الإطلاق فى المدارس ، سواء الحكومية أو الخاصة . فما لم يحدث فى إطار من الثقة والود ، فلن يكون للضرب أية فاعلية تذكر . وفى أغلب الحالات يكون الوالدان هما الشخصين الوحيدين ممن تربطهما مثل هذه العلاقة بالطفل ، لذا فهما الشخصان الوحيدان اللذان يملكان الحق فى ضرب مؤخرة الطفل . فبدون وجود علاقة حميمية لن يتعدى الضرب كونه مجرد أسلوب " اضرب واهرب " .

إن ضرب الأب لطفله وفقاً لمعايير معينة هو نوع من أنواع تأكيد السلطة ، بيد أن ضرب المعلم للطفل هو دليل على شعوره بالإحباط . فضرب المعلم لتلاميذه ما هو إلا دليل على فشله فى السيطرة على فصله .

ومما لا شك فيه أن مسألة تهذيب الأطفال فى المدارس الآن تمثل مشاكل لم تكن تمثلها منذ ثلاثين أو أربعين عاماً مضت . ولكن الضرب ليس هو الأسلوب المناسب لحل هذه المشكلة . فلن يعود النظام إلى الفصول الدراسية إلا حينما يضع المعلمون أمام أعينهم معايير خاصة ، ويعاود الناس النظر بعين الاحترام لمهنة التدريس ، وحينما نعاود استخدام المعايير التعليمية الرفيعة مما يعمل على تعزيز جدية العملية التعليمية فى أعين التلاميذ ، وأهم من كل ما سبق حينما يعيد آباء الأطفال المشاغبين ترتيب أولوياتهم ، وبدلاً من الدفاع المستميت عن أبنائهم حينما يسيئون السلوك فى المدرسة يبدأون فى مؤازرة جهود المعلمين ويحملون أطفالهم مسئولية سوء سلوكهم داخل الفصل الدراسى .

٧ أكتوبر

فيما يبدو أن متخصصى علم النفس الحديث قد أصبحوا أكثر اهتماماً بشرح الجوانب النفسية الديناميكية للمشكلة من المساعدة على حلها بأسرع وقت ممكن . ووفقاً لإحدى النظريات التى درستها فى الجامعة ، فإن مثل هذا الاتجاه الذى يعالج السلوك الخارجى إنما يشبه وضع " ضمادة " فوق المشكلة . وفى النهاية ـ كما تنص النظرية ـ تقع تلك الضمادة من فوق الجرح . ويدعي أنصار هذا الاتجاه أن أسلوب العلاج النفسى الديناميكى إنما يتطلب شهوراً ـ أو حتى سنوات ـ من تطبيق ما أطلق عليه " علم الآثار النفسية " (التنقيب بداخل ماضى الإنسان للكشف عن أية بقايا نفسية) ، ولكن مفعوله مؤكد ، ويدوم طويلاً . وطالما كنت أحد المعارضين لذلك الاتجاه وخاصة عند استخدامه مع الأطفال . ففى تقديرى ومن خلال تجربتى (ويوجد الكثير من الدلائل الإكلينيكية التى تدعم صحة كلامى) ، فإن معالجة سلوكيات الأطفال السيئة باستخدام المسارات النفسية الديناميكية إنما يعد إهداراً للمال والوقت وقد يزيد من حدة المشكلة بدلاً من أن يعملِ على حلها .

٨ أكتوبر

بعض الكلمات فى مجال التربية أسيء استخدامها وفهمها مثل كلمة " صارم " . فهذا المصطلح لم يكتسب سمعة سيئة فقط ، ولكن تشوهت معالم معناه الأصلى . منذ زمن ليس ببعيد (قبل أن تصبح إحدى صيحات الموضة أن نقوم على خدمة أطفالنا ونتركهم يتطاولون علينا) كانت الصرامة فى تربية الأطفال تعتبر من الفضائل . فعندما نعود بالزمن إلى الوراء حينما كان الأطفال لا يزالون أطفالاً وكانت مقاليد السلطة فى أيدى الآباء ، سنجد أن كلمة صارم كانت تعنى ببساطة وضع القواعد والتأكد من أن الأطفال سوف ينصاعون لها . فما العيب فى ذلك ؟ لا شيء على الإطلاق .

إن الآباء الصارمين حقاً يسدون أبناءهم صنيعاً بطرق عدة :

- ينجحون فى توضيح توقعاتهم لأبنائهم تاركين مساحة ضئيلة لسوء الفهم .
- يتسمون بالحزم ، فقد تضطر دولة عظمى لتغيير أحد قراراتها ولكن الآباء الصارمين لا يفعلون هذا قط . لذا فيدرك أبناؤهم جيداً أين يقف آباؤهم وأين يريدون منهم أن يقفوا .
- إنهم يعلمون أطفالهم ألا يتوقعوا من موقف ما أكثر من قدر مساهمتهم فيه . وبالتالى يتوصل الأطفال تدريجياً إلى مجموعة من الطرق الصحيحة والمجربة التى يستطيعون من خلالها خوض حياة مثمرة ومُرضية .

إذن فأسلوب التربية الصارم لا غنى عنه لتقديم مواطن صالح للمجتمع .

٩ أكتوبر

مشكلة آباء اليوم أنهم يأخذون أطفالهم على محمل الجد . لكن منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً أو أكثر إذا حدث وتعمد طفل فى العاشرة من عمره الكذب فقد كان يتعرض للعقاب دون أن يعتقد أى شخص أن سلوكه هذا خارج عن المألوف . ففى الغالب لن يسعى أحد لمعرفة التفسير النفسى وراء سلوك الطفل هذا ، حيث إن تفسير سلوكه هذا كان ـ ومازال ـ معروفاً وهو : الحماقة ، والتى تعد جزءاً لا يتجزأ من شخصية الطفل ، وأنا لا أقصد بعض الأطفال ولكن جميعهم ، فالأطفال جميعاً ـ بلا استثناء ـ حمقى .

كما يأخذ آباء اليوم أنفسهم كذلك على محمل الجد . وكلا الأمرين ـ أن تأخذ نفسك وطفلك على محمل الجد ـ وثيقا الصلة ببعضهما البعض بالطبع .
إن آباء هذا الجيل يضعون على عاتقهم أعباءً تفوق قدرتهم على التحمل . فهم يعتقدون أن كل شىء يفعله أطفالهم هو نتاج تربيتهم ـ وبالطبع يعد هذا مجرد وهم . لكن باستطاعتك سماع الحقيقة من شخص مثلى أصبح جداً الآن : فى ظل أفضل الظروف لا يمتلك الآباء سوى قدر ضئيل من السيطرة على حياة أطفالهم .

فالأطفال هم مجرد بشر فى النهاية ، وقد ميز الله تعالى جميع البشر بنعمة الإرادة الحرة التى قد تكون أيضاً نقمة لصاحبها . ولكن هذا الخليط من الحماقة والإرادة الحرة يؤدى بالطفل إلى انتهاج سلوكيات غير متوقعة تماماً وصعبة الفهم . فإذا ما أصبح من عادة الطفل ارتكاب السلوكيات الحمقاء ، فيجب على أبويه التنقيب عن السبب فى ذلك داخل أنفسهم . أما ارتكاب الحماقات بشكل عرضى ـ حتى وإن كانت شديدة الوطأة ـ فلا يشير إلى شىء يمكن أن يؤاخذ عليه الوالدان .

١٠ أكتوبر

فى الأسرة التى تجعل الزواج محوراً لها ، يتوقع الأبوان الكثير من أطفالهما . فأولاً وقبل أى شىء ينتظر الأبوان من أطفالهما الاعتماد على أنفسهم . كما لاحظت أن أطفال هذه الأسر أكثر انصياعاً لأوامر آبائهم وأكثر تعاوناً وأكثر إحساساً بالمسئولية وأكثر استقلالاً وإنجازاً .

أما فى الأسرة التى تجعل الطفل محوراً لها فينتظر الأبوان من نفسيهما الكثير ، كما ينتظر منهما أطفالهما الكثير أيضاً . فمثل هؤلاء الآباء يحتل أطفالهم المكانة الأولى فى حياتهم ويقومون بالكثير من أجلهم . وكلما قدموا لهم المزيد ، زادت طلبات أطفالهم ورغباتهم وانتحابهم . وكلما قدم الآباء المزيد ، أصبح الأطفال أقل طاعة وتعاوناً ومسئولية وإنجازاً واعتماداً على الذات . فى الواقع ، إن الأمر بسيط حقاً . كلما قدم الآباء الكثير لأطفالهم ، أصبحوا أقل اعتماداً على أنفسهم وأقل مشاركة فى الشئون الأسرية . هل تريد من طفلك أن يصبح جوهرة تتلألأ فى تاج أسرتك ؟ لا تقدم له الكثير .

١١ أكتوبر

أنا مقتنع تماماً بأنه من الأفضل بالنسبة للطفل أن يرعاه أحد والديه فى الثلاثة أعوام الأولى من حياته . وبالطبع هذا لا يحدث الآن لكونه أمراً غير لائق ، كما من الممكن أن يثير كلامى هذا حنق عدد غير قليل من النساء .

ولكننى أحث أية قارئة شعرت بالحنق أن تعيد قراءة الجملة الأولى . فلاحظى أننى لم أخص النساء بحديثى . فالأمر سيان بالنسبة لى إن كان الشخص الذى يتولى رعاية الطفل هو أبوه أو أمه أو إن رتب كلا الوالدين جدول أعمالهما بحيث يقسمان مسئوليات رعاية طفلهما عليهما مناصفة .

ومع ذلك فأنا مدرك تماماً أن النساء أكثر حساسية تجاه ذلك الأمر من الرجال . وكنتيجة لهذا ، فإنهن سيشعرن وكأننى أنتقدهن . وفى ظل المفاهيم الاجتماعية الحمقاء السائدة اليوم ، عندما ينتقد أحد مجموعة من النساء يوصم بأنه عنصرى . ولكن لا بأس فقد اتهمت بصفات أبشع من ذلك .

فأنا حينما أقول إن رعاية الأبوين للطفل فى مرحلة الرضاعة والفطام أفضل - أفضل كثيراً فى الحقيقة - من إلحاقه بإحدى دور الرعاية ، يتم تفسير كلامى على أن المرأة التى تختار أن تعود لعملها ذى الدوام الكلى بعد إنجابها تكون قد اتخذت القرار الخاطئ - فى حين أنه قد لا يكون أمامها خيار آخر خاصة إن كانت تسهم براتبها فى الإنفاق على المنزل . وإلى هؤلاء النساء أقول : " اخترن دار الرعاية بحرص " .

فى استطلاع للرأى أجرى فى عام ١٩٩٥ ، اعترفت أم من بين كل أربع أمهات بأنها لم تكن مضطرة للعمل خارج منزلها ، بل إنها فقط رغبت فى ذلك . وسوف أكون صريحاً : أنا لا يعجبنى هذا الكلام .

إننى أساند محاولات المرأة فى تحقيق ذاتها تماماً كما أشجع محاولات الرجل . فأنا أومن أن أفضل الآباء هم الناجحون فى حياتهم العملية والذين استطاعوا تحقيق ذواتهم . بيد أن تحقيق النجاح هو إحدى سمات النضوج ، فمن ينجح فى تحقيق ذاته لا يمكن أن يكون متهوراً أو متمركزاً حول ذاته (فهو لا يقول " أنا أريد كذا ، إذن فسوف ... ") ، حيث إنه لا يهمل قط احتياجات الآخرين ولا يسعى للارتقاء على حساب غيره . بمعنى آخر ، تحقيق الذات ليس مرادفاً لإشباع الرغبات . لذا ، فإن كان لابد أن يتخلى

أحد الوالدين أو كليهما عن إشباع رغباتهما قليلاً من أجل توفير رعاية منزلية لطفل صغير ـ فليكن ذلك . فأكثر من أى شىء آخر ، يحتاج الأطفال لأبوين يستطيعان اتخاذ قرارات حكيمة ومسئولة .

١٢ أكتوبر

قال لى أحد الآباء مؤخراً : " إننى أعمل بكد لكى أوفر لطفل حياة رغدة . علاوة على ذلك ، فتماماً كما أراد والدى لى ، فأنا أرغب بأن يحظى طفلى بأكثر مما حظيت أنا به " .

فى المقامٍ الأول ، ليس عذراً أن تقول إنك تعمل لكى توفر لطفلك حياة رغده . ثانياً ، ما أرادت الأجيال السابقة توفيره لأبنائهم ليس المزيد من الأشياء التى لم يحظوا بها كأطفال ولكن المزيد من الفرص . فضلاً عن ذلك ، فقد كانوا مدركين أن المرء لا يستطيع تقديم فرصة على طبق من فضة لأحد الأشخاص ، إنه فقط يستطيع أن يسلحه بالمهارات الضرورية كى يجد تلك الفرصة بنفسه . **بيت القصيد : كلما قدم الأبوان الكثير لطفلهما ، عجز الطفل فى النهاية عن القيام بالكثير من أجل نفسه .**

١٣ أكتوبر

هل تريد أن يكبر طفلك دون أن يفقد أياً من القدرات العقلية التى ولد بها ؟ من أجل تعزيز تلك القدرات - وإبقائها على هذا الحال - لابد أن يكون الطفل نشيطاً . فكلما حظى الطفل فى سن العامين بمزيد من الفرص كى يستكشف البيئة من حوله ، ازداد ذكاءً وفطنة . وإليك وصفتى الخاصة لإعداد " طفل ذكى " : هيئ لطفلك مختلف البيئات والتجارب التى تساعده على الاستكشاف . وبالطبع يا عزيزى القارئ لا يدخل التلفاز ضمن التصنيف السابق ، فالتلفاز يخلق مجالاً إلكترونياً يقوض رغبة الطفل فى الاستكشاف والتجربة . ولكى أثبت لك صحة كلامى ، فقط راقب أحد الأطفال وهو يشاهد التلفاز . هل ترى النظرة الجوفاء المرتسمة على وجهه ؟ هل ترى اليدين المرتخيتين ؟ هل تلاحظ كيف أنه لا يمارس أى سلوك إبداعى وبناء ؟ إنك تراقب طفلاً يهدر وقتاً ، والوقت هو كل ما يمتلكه العقل البشرى كى ينمى قدراته .

١٤ أكتوبر

منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً ، كان إذا حدث وأساء الطفل السلوك بالمدرسة يوقع عليه معلمه عقوبة ما وهو واثق تمام الثقة أن والدى الطفل لن يدعما قراره فقط ولكنهما سيواصلان ما بدأه فى المنزل . وهكذا يرغم الجميع الطفل مسىء السلوك على الشعور بالندم لما فعله ، ويتفقون معاً على ضرورة شعوره بالندم . فعلى سبيل المثال حينما كان " بيلى " يسىء السلوك كان يعاقب بشكل ما ، وحينها لم يكن البالغون يسألون : " لِمَ أساء " بيلى " السلوك ؟ " وإنما يسألون : " ماذا يجب فعله بشأن سلوك " بيلى " السيئ ؟ " .

ولكن كان هذا يحدث قبل أن يقنعنا إخصائيو الصحة الذهنية بأن السلوك السيئ لا يتطلب تصحيحاً بل فهماً . فهم يدعون أن السلوك السيئ يتمخض عن ضعف الثقة بالنفس والتى تنتج عن أخطاء جسيمة يرتكبها والدا الطفل (خصوصاً والدته) سواء عن قصد أو دون قصد . ففجأة أصبح " بيلى " غير مسئول عن أية سلوكيات ينتهجها . فسلوكه السيئ ـ وخاصة إن كان سافراً ـ هو مجرد دليل على التوتر والضغط اللذين يعانيهما فى منزل أسرته الذى لا يوفر له بيئة دافئة ومعززة لقدراته . فأبواه ينتظران منه الكثير ولا يمنحانه سوى القليل ويستخدمان فى تهذيبه طرقاً قديمة الطراز ولا يبديان له انتباهاً كافياً أو يجعلانه يشعر بالمسئولية إزاء خلافاتهما الزوجية .

لذا ، فحينما ينتهج " بيلى " اليوم سلوكاً سيئاً فإن المجتمع يلقى اللوم على والديه وليس عليه هو . وكنتيجة لهذا ، فإنهما لا يتقبلان أى تقرير يوضح إساءة طفلهما للسلوك . وإن جاءهما مثل هذا التقرير فإنهما يسعيان للدفاع عن طفلهما بدلاً من تصحيح سلوكه . حتى إنهما فى الغالب يدعيان أن طفلهما غير قادر على ارتكاب مثل هذا السلوك . علاوة على ذلك ، فطالما أنه لن يرغم أحد قط " بيلى " على الشعور بالندم ، فإن أية محاولة تهذيبية يقوم بها أحد معلميه أو البالغين الآخرين لحمله على الشعور بالخزى أو الندم سوف يعتبرها والداه اعتداء إجرامياً سافراً على نفسية طفلهما الرقيقة .

١٥ أكتوبر

لا ينبغى أن تعترض على كل اختيارات ابنك المراهق لأصدقائه إن كان اعتراضك هذا نابعاً من اعتبارات نمطية أو تفضيلات شخصية أو آراء والدى أحد أصدقاء طفلك . فإن كان اعتراضك قائماً على أحد هذه الأسباب فمن الأفضل أن تبقيه لنفسك .

لكن لابد أن تعبر عن مخاوفك وتراقب الأمور عن كثب ... إن كانت هناك دلائل توحى بأن ثمة مشكلة سوف تحدث عما قريب . ففى ظل مثل هذه الظروف عبر عن مشاعرك لابنك المراهق : " قد تكون كل مخاوفى هذه لا أساس لها من الصحة ، ولكن يجب أن أخبرك بأننى لست سعيداً بصداقتك مع فلان وفلان " . واشرح لطفلك السبب فى ذلك وما تنتظره منه : " سوف أراقب العلاقة بينك وبين أصدقائك هؤلاء عن قرب أكثر مما أفعل عادة . وإن أردت أن تمنعنى من التدخل فى علاقاتك بأصدقائك ، فبإمكانك القيام بذلك عن طريق التصرف بمسئولية والبقاء بمنأى عن المتاعب " .

ويجب أن تتدخل فوراً وتضع بعض الحدود على علاقة طفلك بصديقه ... إن وجدت أن صديق طفلك كثير الوقوع فى المتاعب فى مواقف بعينها أو كان هو وابنك المراهق دائمى الوقوع فى بعض المتاعب الصغيرة معاً . وتعد مثل تلك المشكلات غير ذات أهمية ، وكل ما تتطلبه منك هو وضع بعض الحدود المنطقية على علاقة الصديقين . على سبيل المثال ، إن لم يكن صديق ابنك المراهق يمتلك رخصة قيادة ، فلا تسمح لابنك بأن يركب معه سيارته . وإن تم القبض على صديق طفلك بتهمة سرقة المعروضات من المحال التجارية ، فلا تدع طفلك يذهب معه إلى أى محل تجارى إلا إذا كان ذلك بصحبة شخص بالغ . وإن كانا يهربان من المدرسة معاً ، فافصلهما عن بعضهما البعض لفترة . وقد ترغب فى وضع علاقتهما " تحت المجهر" : " من الآن فصاعدا سوف أراقب علاقتكما جيداً . وإن حدثت أية مشكلة ، فسوف أجعلك تقطع علاقتك بصديقك هذا . لذا فراجعا نفسكيما جيداً قبل ارتكاب أية حماقة " .

ويجب أن تقطع علاقة طفلك بصديقه هذا تماماً ... إن وجدت أنه مثير للشغب والمشكلات ، أو إن كان هو وطفلك يقعان فى مشكلات كبرى معاً .

وسوف تساعدك هذه الإرشادات على تحديد رد فعلك الأول إزاء الصـداقات التى تثير الريبة فى نفسك . فى البداية ، اتخذ أكثر الإجراءات تحررية . وإن بدأت المشكلات فى التفاقم ، فانتقل إلى الخطوة التالية المناسبة .

أحد زملائي في مجال علم النفس - والذى سمع عن أفكارى المهرطقة - أرسل لى خطاباً يحدثنى فيه عن مدى الأفكار الرائعة والتقدم الذى أحرزه علم النفس فى مجال تربية الأطفال . حقاً ؟ لقد لاحظت فعلاً أنه منذ انتشرت الأساليب الحديثة فى التربية زادت معدلات الإصابة بالاكتئاب والانتحار بين الأطفال ، وزاد استخدام العنف بين الأطفال وبعضهم البعض ، وزادت مشكلات التهذيب فى المدارس ، وزاد ارتكاب الأطفال لأعمال تتسم بالعنف فى حق آبائهم ومعلميهم ، وزادت معدلات الانقطاع عن المدرسة فى المرحلة الثانوية ، وزاد ارتكاب الشباب للجرائم بشكل عام . هل هذا هو التقدم الذى أحرزه علم النفس ؟ لا أعتقد هذا .

كما أخذ نفس هذا الزميل يتذكر " بكل أسى " حال العديد من الأطفال قديماً والذين عانوا جراء تصدعات وشروخ العملية التعليمية بسبب وجود نظام يتسم بالجهل ونقص المنهج العلمى ، وعاجز عن سبر أغوار مشكلاتهم التعليمية والسلوكية . من الواضح أن هذا الزميل لا يعرف أن معدلات الأداء الدراسى فى حقبة الخمسينيات كانت هى الأعلى فى تاريخ الولايات المتحدة كما بلغت ثقافة خريجى المدارس الثانوية ذروتها فى تلك الفترة . وإذا ما كان معلمو ورجال التعليم اليوم يعالجون مشكلات الأطفال على نحو أفضل ، ألم يكن من المنطقى أن نلحظ تقدماً فى معدلات الأداء الدراسى ؟ إلا إذا كان أطفال اليوم يجابهون كماً كبيراً من المشكلات لم يكن الأطفال منذ أربعين عاماً يعرفون عنها شيئاً - الأمر الذى يجعلنى أود طرح نفس السؤال : أية أفكار رائعة وتقدم تتحدث عنهما ؟

إن مثل هذه الدعاية لأساليب التربية الحديثة التى يحمل لواءها المتخصصون النفسيون هى بكل بساطة مجرد تضليل . فالحقيقة هى أن جميع البشر خطاءون ؛ فكل شىء نفعله ليس معصوماً من الخطأ - لذا فإن أسرنا ليست معصومة من الخطأ (جميعها !) وطرق تربيتنا لأطفالنا ليست معصومة

من الخطأ . فلم يكن منزل الجدة خالياً من العيوب والأخطاء شأنه في ذلك شأن منزل جدتها أو حفيدتها . فعلم النفس - مع خالص احترامي وتقديري له - لم يجعل منا آباء أفضل ، وليس بإمكانه ذلك حتى يظهر بعض الاحترام للجدة .

١٧ أكتوبر

فيٍ أفضل الأحوال ، فإن الضرب لا يعدو كونه مجرد أحد الأشكال الحادة نسبياً للتواصل غير اللفظى . إنه يمثل إحدى وسائل جذب انتباه طفل يحتاج لأن ينتبه فوراً لأحد والديه ، أو القضاء على سلوك يتصاعد سريعاً ، أو توضيح وجهة نظر ما يحتاج الطفل لسماعها . إن ضربة سريعة وفجائية على مؤخرة الطفل تبعث له برسالة فحواها " توقف ! " أو " الآن اسمعنى جيداً ! " . وبعد السيطرة على السلوك السيئ ـ نوبة غضب على سبيل المثال ـ والاستحواذ على انتباه الطفل ، من الضرورى أن يتبع الوالد هذه الضربة بإجراء معين . فالضرب ما هو إلا مجرد خطوة أولى فى وسيلة تهذيبية مكونة من خطوتين . باختصار ، إن الضرب ليس وسيلة تهذيبية فى حد ذاته وإنما مجرد خطوة تمهيدية لاتخاذ إجراء أكثر حسماً .

١٨ أكتوبر

لقد نجح أنصار حركة تحرير المرأة فى إقناع أعداد كبيرة من النساء (والرجال أيضاً) أنه لا يوجد أى تعارض بين السعى وراء تحقيق الذات فى الحياة المهنية وبين تربية الأطفال . حينما كنت أقرأ عن أحد اللقاءات التى أجريت مع امرأة عاملة متزوجة ولديها طفلان أحدهما فى الثالثة من عمره وآخر لم يتعد السبعة أشهر استوقفتنى إحدى العبارات التى قالتها وهى : " عندما أنجبت طفلى الأول أخذت إجازة وضع مدتها ثمانية أسابيع ، أما حينما أنجبت طفلى الثانى فأخذت إجازة مدتها ستة أسابيع . وقد كان بإمكانى أن آخذ فترة إجازة أطول ، ولكن لم يكن هذا فى صالح حياتى المهنية " .

أستميحك عذراً ! هل ألقيت بطفليك فى إحدى دور الرعاية بأقصى سرعة ممكنة (بعد ستة أسابيع !) فقط لكى تحققى ذاتك فى العمل ؟ من هم الأطفال ؟ هل هم مجرد هواية ؟ لقد تمت استضافة هذه المرأة كقدوة تحتذى بها غيرها من السيدات ـ مثال حى على أنه لا اختلاف تماماً بين رعاية الطفل على يد أبويه أو على يد أشخاص غرباء . فالمهم هو أن تسعى النساء لتحقيق أحلامهن !

إن المرأة الخارقة التى أجرى معها هذا اللقاء تمثل مجتمع أسدل غشاوة فوق عينيه . إنها تجسد الخرافة القائلة بأن الطفل لا يتضرر مطلقاً حينما يحاول والداه الحصول على الكعكة وتناولها أيضاً . فلأن التضحية الذاتية قد أصبحت إلى حد ما أحد أنواع التحقير من شأن الذات ، فقد أصبحنا أمة مكونة من أسر مفككة وذات أولويات معكوسة وكل فرد من أفرادها فى حالة دائمة من العجلة ومستنفد الطاقة والجهد . أما الأسر التى لا ينطبق عليها هذا الوصف ـ تلك التى تتمسك بالأعراف والتقاليد ـ فقد أصبح ينظر إليها بعين الريبة والشك .

١٩ أكتوبر

إن انفصال الآباء عن أطفالهم عادة ما يكون مصحوباً بمشاعر القلق لكلا الطرفين . فهو عادة ما يكون مرعباً بالنسبة للطفل وغير مريح بالنسبة لوالديه على افتراض أنهما يتسمان بالحساسية المفرطة والحرص . إن مشكلة الانفصال ـ الانتقال من حالة الاعتماد على الغير إلى حالة من الاكتفاء الذاتى والثقة بالنفس ـ هى جزء لا يتجزأ من عملية النضج .

فى كتابه " The Road Less Traveled " أكد طبيب النفس " سكوت بيك " أن العديد من الناس لا يتقبلون الآلام الطبيعية المصحوبة لوجودنا فى هذه الحياة . فهم حينما يجابهون مشكلة ما إما يحاولون حلها بتعجل دون صبر وفطنة أو يتجاهلونها تماماً . والآباء الذين يضربون أطفالهم لأنهم يبكون عندما يحين موعد خلودهم للفراش إنما يقعون تحت التصنيف الأول ، أما الآباء الذين يسمحون لأطفالهم بمشاركتهم الفراش إنما يقعون تحت التصنيف الثانى . وكلا التصنيفين من الآباء قد أغفل حقيقة مهمة .

فنوم الطفل فى فراشه إنما يعزز بداخله فكرة كونه فرداً مستقلاً وذا كيان منفصل . علاوة على ذلك ، فعندما ينام الأبوان فى غرفة مستقلة عن غرفة الطفل يؤكدان له أن الزواج ليس كياناً مستقلاً وحسب بداخل الأسرة بل إنه أهم علاقة بها . والطفل الذى ينام مع أحد والديه أو كليهما قد لا يستوعب تلك الحقيقة ويعتقد أن الزواج ما هو إلا علاقة ثانوية داخل الأسرة . لكن من المهم أن يدرك الطفل أن علاقة والديه حصرية وبالتالى فإنها لا تشمله . وهذا الانفصال من شأنه أن يضع الزواج فى مركز الأسرة ويجعله محور ارتكازها . وهذا التقبل لحقيقة محورية الزواج داخل الأسرة يساعد الطفل الصغير على التخلى عن اعتقاده بمحوريته واكتسابه حساً بالاستقلال والانتقال بأمان نحو التحرر . بالتالى ، فإن ما قد يبدو على أنه أحد مظاهر الدفء ـ فراش الأسرة ـ قد يعمل فى الحقيقة على تقويض استقلال الطفل والحيلولة دون نموه العاطفى . أليس كذلك ؟

٢٠ أكتوبر

لا يمكن أن تجعل طفلك محور اهتمامك وتتوقع فى الوقت ذاته أن يبدى لك قدراً كافياً من الانتباه . وإن لم يبد لك طفلك قدراً كافياً من الانتباه فسوف تعانى من مشكلة مزمنة فى تهذيبه ، كما أنه لن يحترم العناصر الممثلة للسلطة . فإن عجز طفلك عن التخلى عن اعتقاده بمحورية ذاته ، وهو الأمر الذى ساعدته أنت على اكتسابه فى العامين الأولين من حياته ، فهو لن ينجح فى التكيف اجتماعياً أو التحرر (حتى إن غادر منزلك فى السن المناسبة لذلك) .

إن هذا الخطأ الذى يرتكبه الآباء بحسن نية ـ معاملة الطفل دوماً وكأنه لم يتخط سن العامين ـ يترتب عليه شخصاً راشداً يعتقد أن بإمكانه الحصول على رغيف الخبز مزبداً من كلتا الناحيتين ، والحصول على الكعكة وتناولها أيضاً ، والحصول على شىء ما دون مقابل . وهذا الوصف ينطبق بالطبع على شخص ناضج سنياً فقط وليس عاطفياً أو روحياً . ومثل هذا الشخص لن ينهض بحياته فقط ليصبح شخصاً ذا قيمة ، ولكنه لن ينهض بمجتمعه أيضاً . فى الحقيقة ، إن هذا ينذر بنهاية حتمية للقيم والصفات الشخصية الحميدة التى طالما تمتع بها المواطن الأمريكى : سعة الحيلة ، والوقوف فى وجه الشدائد ، وحسن الجيرة ، والاستعداد للتضحية بالذات من أجل الصالح العام ، واستعداده لمساعدة من هم أقل حظاً فى الحياة ، والتمتع بأخلاقيات مهنية عالية .

وكما اكتشفت أنا وزوجتى ـ متأخراً بعض الشىء ـ فإن توقفت عن محاولة نيل رضا أطفالك وهم أطفال ، فسوف يزيد تقديرهم واحترامهم لك حينما يكبرون . حاول إثبات ذلك لنفسك .

٢١ أكتوبر

حينما بلغ " إريك " السادسة عشرة من عمره ، طالب بأن يحظى بمزيد من الحرية . وقد أراد على وجه التحديد أن نسمح له بقيادة السيارة .

وقد كنت أنا و " ويلى " نرى ما يحدث غالباً للمراهقين الذين يحظون بمزيد من الحرية دون أى تمتع بحس للمسئولية . فقد رأينا مراهقين يدمرون سيارات آبائهم ، وآخرين يتخطون دوماً السرعة المسموح بها ويحصلون على الكثير من المخالفات المرورية من جراء ذلك ، وآخرين يسببون الضرر لأنفسهم وللآخرين . كما سمعنا الكثير عن مراهقين يقودون السيارات وهم مخمورون ، وآخرين يتم اعتقالهم وهم تحت تأثير المخدرات ، وآخرين تسببوا فى تشويه سمعتهم وسمعة أسرهم . كل تلك الأحداث التراجيدية كانت نتاج شىء واحد فقط : منح المراهق شيئاً دون مقابل .

ولكى نحول دون حدوث مشكلات مشابهة ، أخبرنا " إريك " أنه إذا رغب فى القيادة فلن يتحتم عليه فقط شراء البنزين من ماله الخاص ولكن دفع جزء من مبلغ التأمين الشهرى على السيارة . وطالما أن مصروفه لا يكفى سوى لشراء الملابس والتمتع بمختلف الأمور الترفيهية الأخرى ، فقد كان ذلك يعنى أنه ينبغى أن يبحث له عن وظيفة ـ الأمر الذى قد يولد بدوره مزيداً من المشكلات . وقد اشترطنا عليه ـ فى البداية على الأقل ـ ألا يزيد عدد ساعات عمله على خمس عشرة ساعة فى الأسبوع . كما أخبرناه أننا سندفع مبلغ التأمين الخاص به طوال شهرين إلى أن يجد وظيفة مناسبة بدوام جزئى . وبعد انقضاء هذه الفترة إن ظل بلا عمل فلن يقود السيارة .

وبعد أقل من شهر ، وجد " إريك " عملاً فى إحدى الصيدليات حيث كان يقوم بترتيب الأرفف . وكان " إريك " بعد أن يدفع مبلغ التأمين يتبقى له من راتبه مبلغاً لا بأس له (أقل من نصفه تقريباً) ليفعل به ما يحلو له . ألم نكن محظوظين حقاً ؟

وبعد ذلك اشترطنا على " إريك " شرطاً آخر . فقد قلنا له أن بإمكانه الاستمرار فى العمل بهذه الوظيفة فقط إن ظلت درجاته مرتفعة . وعن طريق الربط بين الدرجات والوظيفة وقيادة السيارة ، استطعنا أن نهيئ لابننا مناخاً مقارباً لذلك الذى يعيش فيه البالغون . وبقيامنا بذلك ، أتحنا لـ " إريك "

الفرصة كى يتدرب على معايشة سلبيات وإيجابيات الاكتفاء الذاتى . وقد أثبت لنا أنه قادر على تحمل المسئولية التى خولناه إياها . فقد عرف كيف يستغل وقته وماله أفضل استغلال . وقد تحسنت درجاته كثيراً فى آخر عامين له فى المدرسة الثانوية . وهو الآن فى السابعة والعشرين من عمره وسجله القيادى لا يشمل أية مخالفات مرورية .

٢٢ أكتوبر

فى كل يوم تقريباً يعود الطفل إلى المنزل من المدرسة وبحوزته ملحوظة من معلمه تبدأ بـ " عزيزى ولى الأمر ... " يشرح " للوالدين " فيها الفرض المنزلى الذى يحتاج إلى تدخله . وقد وضعت كلمة " الوالدين " بين علامتى تنصيص لأن كل معلم يعلم جيداً أنه فيما عدا المنازل التى يتولى شئونها والد بلا زوجة تكون تلك الرسالة فى الغالب موجهة للأمهات . لذا ، فتعتبر الأمهات تلك الملاحظات وكأنها اختبار لهن . والأمهات اللاتى ترحب بالمساعدة فى أداء مثل هذه الفروض يجتزن هذا الاختبار بنجاح ، وبالتالى ينظر إليهن بعين التقدير . أما الأمهات اللاتى يرفضن التعاون فى إنجاز هذه الفروض أو لا ينجزونها على النحو الذى يجب إنجازها به فيوصمن بعدم الإحساس بالمسئولية . لذا فلأن مثل تلك الفروض تضع سمعة الأمهات على المحك ، فإنهن يقبلن القيام بها دون جدال . فهن يعرفن أن الجميع يترقب نتائج الاختبار الذى يخوضونه .

حتى الأمهات اللاتى يعرفن أنه لا ينبغى أن يتدخل الآباء ويساعدون أطفالهم فى إنجاز الفروض المدرسية لا يترددن فى قبول هذه المهام الملقاة على عاتقهن . وكما اعترفت لى إحدى الأمهات مؤخراً قائلة : " لم يكن والداى يساعداننى فى أداء الفروض المدرسية وأعتقد أننى لا ينبغى أن أساعد طفلى فى مثل هذه المهام ، ولكن أخشى إن ساعدت جميع الأمهات الأخريات أطفالهن فى فروضهم المدرسية ولم أقم أنا بذلك ، أن يتأخر بذلك مستوى طفلى الدراسى عن مستوى أقرانه . وبصراحة ، أخشى أيضاً مما ستظنه معلمة طفلى بى إن اكتشفت حقيقة الأمر " .

وما يدهشنى حقاً هو أنه من بين جميع المعلمين الذين من المفترض أنهم يتسمون بالحكمة لا يبدو أن أحدهم قد لاحظ أنه فى الماضى حينما كان متوقعاً من أحد الأطفال أداء أحد الفروض المدرسية أو مشروع علمى معين أو بحث نهاية الفصل الدراسى بنفسه ـ دون الحصول على أية مساعدة ـ كان يحدث أحد أمرين : أولاً ، الكثير من الأطفال ينجزون فروضهم بنجاح ويسلمونها فى الموعد المحدد . ثانياً ، معدلات الأداء الدراسى بوجه عام تكون أعلى من المتوقع . باختصار ، حينما كان متوقعاً من الأطفال أداء فروضهم المدرسية

بأنفسهم دون مساعدة أحد ، كان أدائهم الدراسى أفضل كثيراً ! ولكن ليس ذلك هو المهم فى أيامنا هذه ؛ فالمهم حقاً هو اتباع فلسفة تعليمية تبدو جيدة - بغض النظر عما إن كانت فعالة أم لا .

٢٣ أكتوبر

منذ أكثر منذ ثلاثين عاماً تخشى المؤسسات التعليمية الحكومية أن يكتشف دافعو الضرائب أنه فى الوقت الذى تضاعفت فيه المصروفات التعليمية ثلاث مرات (لتصل إلى نحو ١٩٩٤ دولاراً) تدنى أداء الطلاب فى المدارس بشكل ملحوظ . هذا وتبذل مؤسسة التعليم القومية (NEA) مجهودات مضنية لإقناع دافعى الضرائب بأن المعلمين لا يتلقون الرواتب التى يستحقونها وأن التعليم فى حاجة ماسة لمزيد من التمويل المادى . لكن الحقيقة هى :

- إذا ما وضعنا فى الاعتبار أنهم يعملون تسعة أشهر فقط فى السنة (يتخللها إجازة ديسمبر التى تصل لأسبوعين) لمدة ست أو سبع ساعات فقط فى اليوم (يتخللها وقت الغداء والتحضير) ، سنجد أن هؤلاء المعلمين يتلقون رواتب مجزية مقارنة بزملائهم من خريجى الكليات الأخرى .
- قدر كبير وغير متجانس من الأموال التى تخصصها الحكومة للتعليم يضيع فى رواتب ومكافآت الإداريين . وفى حين أن المدارس الخاصة والدينية ـ وهو الأمر الذى يعوز إليه نجاحها ـ لا تهدر أموالها فى مثل هذه الإداريات ، وتخصصها بدلاً من ذلك للنهوض بالفصول الدراسية ، تهدر المدارس الحكومية مبالغ طائلة على مجموعة من الإداريين يمثلون عبئاً على العملية التعليمية . إن المدارس الحكومية ليست فى حاجة لمزيد من الأموال بل فى حاجة لترشيد نفقاتها .

٢٤ أكتوبر

ببلوغ الطفل عامه الثانى ـ وأحياناً قبل ذلك ـ يكون قد أدرك أن والديه يخضعان لسلطة الطبيب الخاص (أو طبيب العائلة) واستنتج ـ بشكل يتناسب مع عقليته ـ أنهما لا يستطيعان مراجعته فى أى شىء يقوله ناهيك عن تحديه . باختصار ، ينظر الأطفال إلى أطبائهم بعين الاحترام والتبجيل بغض النظر عما إن كانت تلك النظرة مغلفة بمشاعر الرهبة أم لا .

فعند حملك الطفل فى هذه السن على فعل شىء معين أخبرته أن الطبيب هو من أمر بذلك سيعمل ذلك على سرعة انصياعه ويقلل من حدة مقاومته . ويخبرنى الآباء أن تلك الحيلة السحرية تنجح دوماً مع الأطفال وتحثهم على التعاون فى الكثير من الأشياء مثل الخلود إلى الفراش وجمع ألعابهم فى موعد محدد من اليوم والابتعاد عن أماكن الخطر ـ فكل ما عليهم فعله هو استخدام العبارة السحرية " لقد قال الطبيب ... " .

وقد ناقشت هذا الأمر مع العديد من أطباء الأطفال وقد اتفقوا جميعاً أنه لا ضرر من استخدام هذه الحيلة مادامت تساعد فى تجنب العديد من صراعات القوى ، كما أشار معظمهم إلى أنهم ماداموا يتفقون مع الآباء فى تلك الأشياء التى يطلبونها من أطفالهم ، فلا يستطيع أحد اتهام الآباء الذين يستخدمون هذه الحيلة بخداع أطفالهم .

لقد جربت تلك الحيلة للمرة الأولى مع ابنتى " إيمى " والتى تبلغ من العمر الآن ثلاثة وعشرين عاماً . وسرعان ما أتت مفعولها معها ، وعندما كبرت قليلاً لتدرك أن أبويها هما من كانا يصدران تلك التعليمات وليس الطبيب لم تفقد الثقة بنا أو تتعرض للإحباط أو تنقم على طبيبها أو أى رد فعل سيئ آخر . ومنذ ذلك الحين وأنا أوصى مئات الآباء (بل الآلاف إن حسبنا قراء عمودى اليومى) باتباع تلك التقنية والتى كانت دوماً تؤتى ثمارها معهم . فقد كانوا يبلغوننى دوماً بنجاحها كما لم يبد أنه حينما كبر أطفالهم ـ ليدركوا خداع آبائهم لهم ـ أنهم أصيبوا بالصدمة جراء كذب آبائهم عليهم أو أية اضطرابات نفسية أخرى .

٢٥ أكتوبر

قالت لى امرأة من " دوبيوك " ذات مرة : " إن ابنى البالغ ثمانى سنوات من عمره مصاب باضطراب نقص الانتباه " .

يا إلهى ، إن هذه المرأة تعتقد أن كل خلجة من خلجات طفلها مصابة بهذا الاضطراب الذى تغلغل بداخله وجعل منه فريسة له . وأنا لا أشكك فى صحة هذا التشخيص ، فطالما شخصت أنا هذا المرض بنفسى ، ولكننى قلت لهذه الأم : " لا تسمحى لهذا التشخيص بأن يضللك . فمثل هذا الاضطراب لا يتغلغل سوى فى ١٠٪ فقط من كيان طفلك ، أما التسعين بالمائة الأخرى فلا يشوبها شائبة . فإن لم تحاولى إقناع نفسك بتلك الحقيقة ، فلن يؤدى ذلك إلا لتعريض قواك وقوى طفلك العقلية للخطر " .

ومن الواضح أنه لم يسع أحد لطمأنة هذه الأم بتلك الطريقة ، فبغض النظر عما قاله لها مَنْ شخَّص حالة الطفل بالتفصيل ، فيبدو أنه ترك فى نفسها انطباعاً بأن هذا الاضطراب قد تمكن من طفلها تماماً . وبالتالى فإن مثل هذا التشخيص لم يساعدها على إدراك ما بطفلها أو فهم ما يعانى منه . لقد جعلها هذا الطبيب ترى طفلها وكل تصرفاته من خلال عدسة معتمة الرؤية وباهتة . وكنتيجة لرفع هذه العدسة دوماً أمام ناظريها فقد أصبحت صورة طفلها التى تتراءى لها غير واضحة . فهى لا تدرك أن طفلها هو مجرد طفل لا أكثر وأن أوجه الشبه بينه وبين الأطفال الآخرين تفوق أوجه الاختلاف . ولكن لأنها تؤمن حالياً بأنها بصدد تنشئة طفل مختلف عن غيره من الأطفال ، فستظل دوماً بمنأى عن الدرب الصحيح فى تربيته . فهى لن تركز قط على العشرة بالمائة من طفلها التى يصيبها العطب . يا للأسف !

٢٦ أكتوبر

مما لا شك فيه أن أفضل المؤسسات التعليمية فى الولايات المتحدة هى المدارس الدينية . ففى مثل هذه المدارس يتلقى الطلاب تعليماً يضاهى ذلك الذى كان سائداً فى المدارس الحكومية فى الخمسينيات ، حينما كانت معدلات أداء التلاميذ فى أعلى معدلاتها . وكما هو معروف عنها ، تنتظر هذه المدارس من طلابها مستوى أكاديمياً وسلوكياً مرتفعاً ، كما أنها لا تبالغ فى غمر طلابها بالدرجات المرتفعة ، ويعم فصولها دوماً النظام .

علاوة على ذلك ، فإن نتائج الاختبارات الرسمية فى المدارس الدينية عادة ما تكون أفضل كثيراً عن مثيلتها فى المدارس الحكومية ـ حتى إن قامت الأخيرة باشتراط تمتع طلابها بسمات معينة وتمتع أولياء الأمور بخلفيات معينة . كما يمضى طلاب المدارس الدينية وقتاً فى إنجاز فروضهم المدرسية أكثر من ذلك الذى يمضيه نظراؤهم فى المدارس الحكومية . هذا ويبلغ معدل انقطاع التلاميذ عن الدراسة فى المدارس الدينية أقل من ربع هذا المعدل فى المدارس الحكومية ، كما لا يشكل غياب الطلاب أية مشكلة فى هذه المدارس .

فضلاً عن ذلك ، فإن عدد الإداريين فى المدارس الدينية يقل كثيراً عن عددهم فى المدارس الخاصة ، لذا فإن جزءاً كبيراً من الأموال التى تخصصها الحكومة لهم تنفق على الفصول الدراسية ـ حيث يجب أن تنفق .

كما لا تكترث المدارس الدينية كثيراً لاختيار التلاميذ من صفوة المجتمع كما تفعل المدارس الخاصة . فإحدى مهام المدارس الدينية هى نشر العلم لكافة الأطفال بغض النظر عن خلفيتهم . بالإضافة إلى ذلك ، فتلك المدارس تقبل أعداداً كبيرة من الأطفال الذين ينتمون لمختلف الأقليات وهؤلاء ممن ينتمون لأسر محدودة الدخل . وكنتيجة لسياسة " الباب المفتوح " هذه ، تبدو فصول هذه المدارس كعالمنا الحقيقى أكثر من غيرها من فصول المدارس الحكومية الأخرى .

٢٧ أكتوبر

سؤال : تعرفت ابنتنا مؤخراً بفتاة معروف عنها سوء الأخلاق . وبدون الخوض في تفاصيل ، نحن نخشى من تأثير هذه الفتاة على المبادئ والقيم التى حاولنا دوماً أن نغرسها بابنتنا . نرجو أن تفيدنا فى هذا الأمر ـ ماذا نفعل ؟

إجابة : إن ما لا ينبغى أن تفعلانه هو المهم هنا . فلا ينبغى مثلاً أن تقطعا علاقة ابنتكما بهذه الفتاة فقط لأنكما سمعتما عن سوء أخلاقها ، كما لا يجب أن تنتقداها أمام ابنتكما . ويجب كذلك أن تبذلا قصارى جهدكما لتحتفظا بهدوئكما فيما يخص هذا الأمر . وأنصحكما بأن تجلسا مع ابنتكما وتخبراها بكل شيء سمعتماه عن هذه الفتاة ، وكيف أن أى أبوين فى مكانكما سوف يشعران بالقلق حتى إن لم يكن كل ما سمعاه صحيحاً . وبعد ذلك أكدا لها أنكما تثقان بها وفى أنها سوف تتسم بالحكمة فيما يتعلق بهذه العلاقة . ورحبا دوماً بزيارة هذه الصديقة فى منزلكما ، بل افترشا لها السجادة الحمراء كذلك . وادعواها لتناول العشاء معكم ، وفكرا فى إدراجها فى مختلف أنشطة الأسرة . فكلما شعرت طفلتكما بتقبلكما لهذه العلاقة ، تصرفت بشكل يتوافق مع مقدار الثقة التى وضعتماها فيها . وفى ظل هذه الظروف ، سرعان ما سوف تنتهى هذه العلاقة . ولكن من يعرف ؟ فقد تترك ابنتكما أثراً طيباً فى هذه الفتاة وتجعل منها شابة صالحة .

٢٨ أكتوبر

سؤال : لى ابنة فى الصف السادس الابتدائى تعانى مما أطلق عليه " صراعاً شخصياً " مع معلمتها . وأنا لم أذهب إلى المعلمة لأستفسر منها عن المشكلة بعد ، ولكن من خلال ما قالته لى ابنتى استشعرت أن معلمتها كانت قاسية معها بعض الشىء . قبل أن أهرع إلى المعلمة مدافعة عن ابنتى ، هل تنصحنى بأى شىء ؟

إجابة : أعتقد أنه من الأفضل فى مثل هذه الأحوال أن تقفى دوماً إلى جانب المعلمة . فقد كنت دوماً أكتشف أن شكاوى أطفالى من معلميهم ومعاملتهم القاسية لهم لا أساس لها من الصحة . وأنا لا أنكر أننى كنت فى بعض الأحيان أختلف مع طريقة أحد المعلمين فى معالجة مشكلة ما ، ولكننى لم أقم أبداً بالتشكيك فى قدرة المعلم على استشعار وجود مشكلة . وأنا أومن بشدة بأهمية تكاتف البالغين معاً لعلاج مشكلة تخص أحد الأطفال ، وقد أخذت فى التمرس على القيام بذلك . فذات مرة ، شكا لى ابنى حينما كان فى الصف الثامن بأن إحدى معلماته لا تحبه ، وأخبرنى أنه لا يتوقع منها أية درجات مرتفعة . فسألته إن كانت تكره جميع طلاب الفصل الآخرين .

فقال : " لا ، فقط تكرهنى أنا وطفلاً أو اثنين آخرين " .

فقلت له : " إذن لابد أنك والطفل أو الطفلين الآخرين تقومون بشىء ما يستفزها . لذا فأنا أنتظر منك أن تجد حلاً لهذه المشكلة وتحصل على درجات مرتفعة فى مادة هذه المعلمة ، وإلا فسوف أوقع عليك عقاباً ما " .

ومنذ ذلك الحين لم تصدر من ابنى ولو كلمة واحدة فى حق هذه المعلمة " الظالمة " . كما أن " إريك " استطاع فيما يبدو أن يحل المشكلة حيث لاحظت فى تقريره حصوله على درجة مرتفعة فى مادة هذه المعلمة . والمثير أن معلمته هذه قالت لى ذات مرة إن ابنى قد أحرز تقدماً منذ بداية الفصل الدراسى .

حددى موعداً مع معلمة طفلك ، واستمعى لما ستقوله لك ووافقيها الرأى واعرضى عليها المساعدة والدعم . فقليل فقط من المعلمين هم من لا يكترثون لصالح الأطفال ، وسوف تعرفين مثل هذه النوعية من المعلمين بمجرد أن تقابليها .

٢٩ أكتوبر

فى خلال الثلاثين عاماً الماضية طرأ على الأسرة الأمريكية الكثير من التغييرات ، أو هكذا تدعى وسائل الإعلام . والانطباع الذى تركته مثل هذه الادعاءات هو أن ثمة قوة طبيعية متزمتة تقبع وراء التزايد السريع فى أعداد الأسر التى يعولها والد واحد أو والدان يعمل كلاهما ، وأن المشكلة الوحيدة المترتبة على ذلك هى فشل المجتمع والحكومة فى تدارك التداعيات الناتجة عن هذه التغيرات الجديدة .

إليكم الحقيقة : منذ أكثر منذ ثلاثين عاماً ، وحال الأسرة الأمريكية فى تدهور مستمر نتيجة لاستحداث مستجدات وقوى اجتماعية تتعارض بحدة مع الصحة العامة للأسرة .

إليكم حقيقة أخرى غير قابلة للجدل : كان حال الأسرة الأمريكية أفضل كثيراً حينما كان أحد الوالدين يظل بالمنزل فى أثناء النهار . وفى الأجيال السابقة عادة ما يكون هذا الوالد هو الأم . ولكن نوع الوالد الذى كان يبقى مع الأطفال ليس هو موضوعنا الآن . فأنا فقط أود أن أشير إلى أن وجود أحد الوالدين بالمنزل إنما يبث شعوراً بالاستقرار فى جميع أفراد الأسرة ، ويساعدهم على التكيف مع التغييرات الطفيفة وإدارة وقتهم بفاعلية ، كما يكفل عناية وإشرافاً أفضل للأطفال ، وتوزيعاً مناسباً للمسئوليات ، ناهيك عن أنه يقلل من وطأة التوتر الذى قد يسود أى منزل . وقد عمل تقسيم المسئوليات هذا بين الوالدين - إلى ربة منزل ومعيل - على تعزيز روح المشاركة بينهما وبالتالى أكد على فكرة محورية الزواج . ولجميع هذه الأسباب ، كانت الأسرة الأمريكية فى الأجيال السابقة تتمتع بمكان أكثر أمناً واستقراراً للعيش بداخله - على الرغم مما يدعيه الكثير من المتخصصين بأن معظمنا قد نشأ فى أسر " مختلة " على يد آباء قاسين يسيئون معاملتنا بطريقة أو بأخرى .

٣٠ أكتوبر

إن كنت ستضرب طفلك وأنت متردد ، فمن الأفضل ألا تضربه . وإن كنت ستنتظر إلى أن ينفد صبرك حتى تضربه ، فأنت بذلك تعلمه كيف يستفزك . إن معظم الآباء يرتكبون نفس الخطأ ألا وهو توجيه إنذار تلو الآخر لأطفالهم ، الأمر الذى يجعلهم يعانون كثيراً من الإحباط . وفى النهاية حينما لا يطيقون تحمل المزيد من الإحباط فهم ينفجرون . **وبدلاً من أن يضربوا أطفالهم ضربة واحدة فقط فإنهم يظلون يضربونهم ويضربونهم ويضربونهم** . وبعد تلك الملحمة ، يشعر الآباء بالندم والأطفال بالاستياء . وفى الوقت نفسه ، يبقى سلوك الطفل السيئ كما هو دون أدنى تغيير . وللأسف فإن تلك القصة عادة ما تكرر نفسها .

٣١ أكتوبر

إن محاولات تبديد مخاوف الطفل عادة ما لا تجدى نفعاً . فالطفل فى الثالثة من عمره لا يستطيع أن يستوعب وجود كلمات تعبر عن أشياء غير موجودة . فعندما تقول لطفل يبلغ ثلاثة أعوام : " لا يوجد ما يسمى بالأشباح " يلتمس تعارضاً فى كلامك يعجز عن فهمه .

فالخيال والمنطق لدى الأطفال هما ملكتان متوازيتان يستحيل تقابلهما . لذا فإن أية محاولة لتبديد مخاوف الطفل ستؤدى فقط إلى زيادة شعوره بالارتباك والعزلة . وستكون النتيجة هى طفل استبد به الرعب لأنه يدرك الآن أن أبويه غير قادرين على فهمه وليس بإمكانهما مساعدته .

لذا فإن أفضل الطرق لمعالجة هذه المشكلة هى مجاراة الطفل فيما يعتقده : " نحن نعرف كيف أن الظلام يبث فى نفوس الأطفال الرعب " ، وبعد ذلك التأكيد له بقول : " حينما كنا فى الثالثة من عمرنا كنا نخشى الظلام أيضاً " ، ثم طمأنته بأنكم دوماً ستوفرون له الحماية : " سوف نبقى فى غرفة المعيشة وسوف نوفر لك الأمان ، فلا يمكن أن يحدث لك شىء مادمنا بجانبك " . وابق على مقربة من طفلك حتى يشعر بالأمان ، ولكن لا تمكث معه فى غرفته مثلاً حيث إن وجودك هذا يؤكد له صحة مخاوفه .

إن كنت تمتلك موهبة مسرحية ، فبإمكانك أن تدخل غرفة الطفل وتعلن الحرب على الشبح الذى يوجد بخزانة ملابسه وتبارزه حتى يستسلم وتطرده خارج منزلك للأبد . وهذه التقنية فعالة للغاية لأنها تعتمد على الخيال - الشىء نفسه الذى أوجد الشبح بداخل الخزانة .

١ نوفمبر

من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن " الشخصية الشريرة " في جميع نظريات فرويد تقريباً كانت هي الأم . فالأمهات اللاتي كتب عنهن " فرويد " كن نموذجاً للشخصيات التي تعاني خللاً . فقد كن يعذبن أطفالهن الذكور من خلال التقرب الشاذ لهم ، وكن يعذبن أطفالهن الإناث من خلال إصرارهن أن يقمن دوماً بالكثير من أعمال النظافة وعدم توضيحهن بشكل كاف السبب في اختلاف الإناث في كل شيء عن الذكور . وقد كان رد فعل والدتي لهذا الهراء السيكولوجي نمطياً للغاية . فعلى حين غرة ، اكتشفت بعد اثنى عشر عاماً أنها لم تحسن تنشئتي ، وبالتالي فقد أصيبت بالقلق . ولكي تستوعب بصورة أفضل كل ما ينبغي وما لا ينبغي عليها القيام به أثناء تربية الطفل وفقاً لـ " فرويد " ، فقد اتجهت مباشرة إلى المصدر وأخذت تقرأ وتعيد قراءة كل كتاباته المبهمة . وأتذكر أنها قالت لي ذات مرة ـ وأنا في بداية مرحلة المراهقة ـ إننا لا يجب أن نبقى على مقربة شديدة من بعضنا البعض عسى أن أعجز في النهاية عن أن أخلص نفسي من خيوطها المتشابكة حولي . وقد كادت تلك النصيحة أن تتسبب لي في عجز مزمن في تكوين علاقات صحية مع النساء ـ أي أنني كنت على وشك أن أصبح شاذاً ! ولم تدرك أمي أن تحذيرها حسن النية لي كان أكثر أحداث طفولتي درامية . وقد اختارت أسوأ توقيت ممكن لتوجه لي هذا النصح . وأنا لم أتغلب على الصدمة الناتجة عن هذه النصيحة قبل الأسبوع الماضي .

٢ نوفمبر

الحقيقة هى أن بعض الأطفال فى سن العامين يعضون والبعض الآخر لا يقومون بذلك ، تماماً كما يمص بعض الأطفال أصابعهم على عكس البعض الآخر . لماذا ؟ لا يعلم أحد ذلك . ولكن دعنى أؤكد لك أنه لا توجد أية علاقة بين أسلوبك فى التربية وبين اكتساب طفلك لعادة العض ، كما أنه فى هذه المرحلة السنية ليس مؤشراً على إصابة طفلك بأية مشكلات نفسية .

وكلما زاد حجم الجلبة التى تحدثها بشأن موضوع العض ، تضاعف احتمال زيادة هذه العادة سوءاً . فاللجوء إلى أساليب الصفع وعض الطفل الذى يعض وفقدانك السيطرة على أعصابك متضرعاً إلى الله كى يخلصك من هذا الحمل الملقى على كاهلك ـ ليس سوى إهدار للوقت والجهد . فالوقت كفيل بحل هذه المشكلة . وفى الوقت ذاته فباستطاعة الآباء : (١) بذل قصارى جهدهم كى يمنعوا أطفالهم من انتهاج هذا السلوك ، (٢) اتخاذ إجراء حاسم عند انتهاجه . وإن بدا لك أن طفلك على وشك عض شخص ما (كأن يبدو متوتراً) فتحرك بسرعة واصطحبه بعيداً عن فناء اللعب لفترة قصيرة أو حاول أن تشتت انتباهه . أما حينما تجد أسنانه طريقها إلى جسد أحد الأشخاص ، فحاول أن تجرب أحد المقترحات التالية :

- احتفظ بهدوئك ، خذ نفساً عميقاً ، فكر فى أمور مبهجة .
- بأقصى سرعة ممكنة ، افصل أسنان طفلك عن جسد زميله وخذه بعيداً .
- اذهب به إلى مكان منعزل ووبخه ولكن على نحو مختصر " ممنوع العض ! " . واطلب منه البقاء فى مكانه حتى تأتى لتأخذه .
- الآن اذهب للطفل المعتدى عليه وحاول مواساته ، ولكن لا تثر جلبة بشأن الجرح . أما إن لاحظت أن الجرح عميق بعض الشىء فضع فوقه مضاداً حيوياً موضعياً ثم اتصل بأحد أطباء الأطفال ليمدك بمزيد من الإرشادات . وباستطاعة الممرضة فى عيادة الطبيب أن تجيب عن جميع تساؤلاتك .
- عد إلى المعتدى وخذه مرة أخرى إلى ساحة اللعب .
- راقب طفلك عن كثب ، ولكن لا تدعه يشعر بأنك تنتظر منه عض شخص آخر .
- وتذكر أنه لم يتم بناء " روما " فى يوم واحد .

٣ نوفمبر

يجب على كل رجال التعليم الذين ينصحون الآباء بمساعدة أطفالهم فى إنجاز فروضهم المدرسية أن يشعروا بالخزى من أنفسهم ! فمن بين الناس جميعاً ، يتوجب عليهم أن يعلموا أن مساهمة الآباء فى الفروض المدرسية لها آثارها السلبية . أما أفضل آثار هذه المساهمة فهى الدرجات المرتفعة . عند هذا الحد قد يتساءل أحد الآباء : " وما الضرر فى أن يحصل طفلى على درجات مرتفعة ؟ " والإجابة هى : " لا شيء سوى أنه حينما تكون درجات الطفل المرتفعة نتاج مساعدة الآباء ، فإن ما سيخسره الطفل من جراء ذلك سيفوق كثيراً ما يجنيه " .

إن الطفل لا يتعلم بحق إلا عن طريق المحاولة والخطأ . فإن كان طفلك بصدد تعلم شيء معين وأخذت تساعده حتى لا يرتكب أية أخطاء ، فلن يتعلم بذلك شيئاً . وحينما يتدخل الآباء دوماً لمساعدة أطفالهم فى إنجاز فروضهم المدرسية ، سوف يبدأون فى النظر إلى درجات أطفالهم على أنها مسألة شخصية . وكلما اعتبروا موضوع الدرجات مسألة شخصية ، زادت حدة تدخلهم لمنع أطفالهم من ارتكاب أية أخطاء . وعن غفلة منهم ، فهم يقومون باختصار دورة العملية التعليمية .

إن الطفل الذى ينجز فروضه المدرسية بنفسه فى المكان المخصص لذلك (وليس على طاولة العشاء حيث تتجمع الأسرة) لن يحرز دوماً الدرجات النهائية كما أن فرضه المدرسى لن يكون خالياً من الأخطاء . ولكن الطفل فى هذه الحالة سوف يتعلم من أخطائه عن ذلك الذى لا يعتمد على نفسه فى إنجاز فروضه . علاوة على ذلك ، سيظل مثل هذا الطفل يجنى ما أطلق عليه " الفوائد الخفية السبع للفروض المدرسية " : الإحساس بالمسئولية ، الاستقلال ، المثابرة ، إدارة الوقت ، سرعة البديهة ، الاعتماد على الذات ، وسعة الحيلة . ومثل هذه القيم أساسية للنجاح فى الحياة ، ونحن لا نسدى أطفالنا معروفاً حينما نضحى بهم على مذبح الدرجات المرتفعة .

٤ نوفمبر

إن مشكلة التلفاز لا تكمن فى البرامج التى يعرضها ولكن تكمن فى حالة السكون التام التى تستبد بالطفل حين مشاهدتها والتى تمثل عقبة فى طريق نموه . ومما لا شك فيه أن البرامج المشبعة بالمشاهد الجنسية والعنيفة ليست مناسبة للأطفال ـ ولا الكبار أيضاً . فى خلال الستة أعوام الأولى من حياة الأطفال تنمو مختلف مهاراتهم من خلال الممارسة والتدريب . فكلما زاد استخدام الطفل لقدراته التخيلية واللغوية ومختلف مهارات حل المشكلات الأخرى ، تطورت هذه المهارات وأصبحت أكثر قوة . وإذا ما افترضنا أن الطفل العادى قد شاهد فى المتوسط ما يقرب من ٥٠٠٠ ساعة من البث التليفزيونى قبل دخوله الصف الأول الابتدائى ـ ٥٠٠٠ ساعة لم يفعل فيها شيئاً سوى التحديق إلى شاشة من الومضات السريعة ـ فنستطيع أن نخلص إلى أن قدرات مثل هذا الطفل ومهاراته العامة سوف تتأثر بلا شك سلباً . ولهذا السبب ، أوصى ألا يشاهد الطفل أكثر من برنامج أو اثنين حتى يتعلم القراءة . وحينها فقط ـ فى الصف الثالث أو الرابع الابتدائى تقريباً ـ يمكن السماح للطفل بمشاهدة خمس ساعات من البرامج التليفزيونية أسبوعياً (ولكن ليس أكثر من ذلك !) . ولمضاعفة القيمة التى يجنيها الطفل خلال تلك الساعات الخمس ، يجب أن تجعله يشاهد البرامج التى تصور العالم من حولنا على حقيقته . ومن هذه البرامج الأفلام الوثائقية والجغرافية وحتى بعض الأفلام التاريخية . أما النشرة المسائية فلا يجب أن تدخل فى نطاق هذه البرامج .

٥ نوفمبر

يجب أن يكون الاتفاق غير المكتوب بين الوالد وطفله كالآتى : " عندما أرغب أنا فى الاستحواذ على انتباهك فليس أمامك اختيار آخر سوى أن توجهه لى . ولكن حينما ترغب أنت فى الاستحواذ على انتباهى فأنا من سوف يقرر إن كان من الحكمة والضرورة أن أوجهه لك أم لا " . بمعنى آخر ، الوالد يملك خياراً لا يملكه الطفل . لكن للأسف ، فلقد تم عكس تلك القاعدة الأساسية داخل العديد من الأسر . فالعديد من الآباء يشعرون أنهم مضطرون لتوجيه الانتباه لأطفالهم وقتما يشاءون ولاسيما إن طالبوا به . فيبدو أن آباء اليوم يعتقدون أن عدم انتباههم لأطفالهم قد يبث فيهم شعوراً بعدم الأمان . وخبراء التربية هم المسئولون عن ترسيخ هذا المعتقد فى عقول الآباء من خلال الكتب التى نشروها عن تربية الأطفال وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ثقافتنا العامة . والخرافة التى عملوا على انتشارها هى أن الأطفال بحاجة إلى المزيد من الانتباه والاهتمام ، وكلما زاد مقدار الانتباه الذى يبديه الوالد لطفله زاد قدر ثقته بنفسه . لكن الحقيقة ببساطة هى أن الرضع فقط هم من يحتاجون للكثير من الانتباه ، ولكن بمجرد أن يبلغ الطفل عامه الثالث تقل حاجته لانتباه والديه بشكل جذرى وتزداد أهمية الإشراف عليه . ولا توجد علاقة تقريباً بين ثقة الطفل بذاته وقدر الانتباه الذى يتلقاه من والديه ، ولكنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما يقومان به لتعزيز اعتماده على ذاته واحترامه للآخرين .

٦ نوفمبر

يتكون أى حوار من طرفين يرغبان فى الإنصات لبعضهما البعض تماماً كما يرغبان فى أن يستمع كل منهما للآخر . ولكن كل ما يرغب فيه الأطفال هو أن يستمع إليهم الآخرون ، ونادراً ما تجدهم راغبين فى الإنصات . وكما قال أحد الآباء ذات مرة ، فإن الأطفال ينتظرون أية فرصة لمقاطعة أحاديث الكبار .

ولذلك السبب أومن فى فاعلية عبارة " لأننى قلت هذا " . عندما كنت طفلاً كانت تلك الكلمات الثلاث تستفزنى للغاية وتثير أعصابى ، لدرجة أننى وعدت نفسى أننى لن أقولها مطلقاً لأطفالى . وعندما أصبحت أباً ، بقيت على هذا العهد لعدة سنوات . ولكن بعد أن أصبحت على شفا جرف يكاد ينهار ، استيقظت من سباتى ونقضت متأخراً بعض الشيء هذا العهد الذى كنت قد أخذته على نفسى . وقد أصبحت عبارة " لأننى قلت هذا " إحدى العبارات التى تتردد على لسانى كثيراً .

هذا ويدعى بعض الناس ضرورة إطلاع الأطفال على أسباب القرارات التى نتخذها . أنا أتفق معهم ولكن لى بعض التحفظات : (١) يمكنك أن تشرح لهم هذه الأسباب ولكن بطريقة يستطيعون فهمها . (٢) اشرح لهم فقط إن كانوا على استعداد للإنصات . وأخيراً ، فإن كان السبب فى اتخاذك أحد القرارات هو لأنك قلت هذا ، فمن حقهم أن يعرفوا ذلك أيضاً .

٧ نوفمبر

إن أفضل وقت تخبر فيه الطفل أنك متكفل برعايته وليس أباه الحقيقى ، هو فى سن الرابعة أو الخامسة ، فهذا هو الوقت الذى يدرك فيه الأطفال أن لكل حياة بداية محددة ونهاية محددة . وكنتيجة لذلك ، فإنهم يبدأون فى طرح أسئلة مختلفة من بينها مثلاً من أين يأتى الأطفال . والطفل فى هذه المرحلة السنية لا ينتابه فقط الفضول لمعرفة تلك الأمور ولكنه أيضاً قادر فكرياً على استيعاب الأجوبة إن اتسمت بالبساطة والسلاسة .

أما عن أفضل الطرق لإبلاغه بهذا الأمر فهى تحرى الصدق واستخدام الأسلوب المباشر . تأكد أولاً من أن الطفل يدرك الحقائق الأساسية عن الحمل والولادة ويعرف معنى كلمة " الكفالة " ، وقد يتطلب ذلك منك أخذ دورة مبسطة فى الثقافة الجنسية . لكن فقط تذكر أن تبسط المعلومات للطفل بقدر استطاعتك ، واضرب للطفل أمثلة عن أناس آخرين ـ وكذلك أطفال آخرين إن أمكن ـ والذين يعرفهم أو يسمع عنهم وكانوا مكفولين . أجب عن أسئلة طفلك بوضوح وبلاغة موجزة . وفوق كل شىء دع الطفل يعلم أنكما أبواه الحقيقيان .

٨ نوفمبر

إن عبارة " مصيدة الشعور بالذنب " تحمل الكثير من التضمينات السلبية . إن الاعتقاد فى تأثير الشعور بالذنب المدمر على الذات نشأ فى الأصل من سياسة " افعل ما شئت " التي انتشرت فى حقبتى الستينيات والسبعينيات . إن الشعور بالذنب يكون مدمراً حقاً إن بالغ الأشخاص فى الشعور به أو إن لم يشعروا به قط ـ أى أن طرفى نقيض الشعور بالذنب هما فقط اللذان يحملان جوانب سلبية . ففى أحد الطرفين يوجد الأشخاص غير القادرين على الشعور بالذنب مهما بلغ قدر الأخطاء التى ارتكبوها . ويطلق على هؤلاء الأشخاص اسم " المرضى الاجتماعيين " . فهم يفعلون كل ما يحلو لهم دون اكتراث لأى أحد ودون أدنى شعور بالذنب أو الندم ـ بغض النظر عن مدى الألم الذى يمكن أن يسببوه للآخرين . أما على الطرف الآخر فيقع " العصابيون " ، وهم هؤلاء الذين يعتقدون دوماً أنهم يقومون بشىء خطأ ، حتى إن لم يكن هذا الاعتقاد صحيحاً .

وبين هذا وذاك توجد مجموعة أخرى من الأشخاص الأصحاء نفسياً الذين يشعرون بالذنب حينما يتوجب عليهم ذلك . وعند الاعتدال فى التعامل مع هذا الشعور على ذلك النحو يصبح إيجابياً ومثمراً للغاية . فبدونه تندثر أى حضارة وتعم الفوضى . فالذنب ما هو إلا رسالة تصلنا من داخل أنفسنا مفادها أننا أخطأنا ولا يجب أن نكرر مثل هذا الخطأ مجدداً .

ومهمتنا كآباء هى تنشئة أطفالنا اجتماعياً . فليس باستطاعتك أن تملى على الطفل ما ينبغى عليه فعله دون أن تعلمه كيف يجب أن يفكر ويشعر ـ بما فى ذلك متى وكيف يشعر بالذنب . والأطفال لن يشعرون بالذنب إلا حينما يعلمهم آباؤهم أولاً كيف أنه من المناسب أن يشعر المرء بالذنب فى مواقف بعينها . وبهذه الطريقة يبدأ ضمير الطفل فى النمو . وبمجرد أن تعلم طفلك تلك الأساسيات ، بإمكانك أن تثق بأنه سيشعر بالذنب من تلقاء نفسه إذا ارتكب خطأ . ولكن حتى مع أفضل الأطفال تنشئة اجتماعية ، تأتى أوقات يتوجب فيها على آبائهم استثارة شعورهم بالذنب . بمعنى آخر ، ينبغى عليهم وضع أطفالهم داخل " مصيدة الشعور بالذنب " ـ وذلك لأجل صالح الطفل نفسه وصالح المجتمع ككل أيضاً .

٩ نوفمبر

التهذيب هو العملية التى يجعل الآباء من خلالها أبناءهم تابعين لهم ـ أى أنهم يخضعونهم لهم بإرادتهم . فلكى تنجح فى الاستحواذ على انتباه طفلك ، لابد أن تميز نفسك عنه ، بعبارة أخرى لابد أن تضع حدوداً على علاقتك بطفلك . كما يجب أن تجعل طفلك يراك شخصاً مثيراً للاهتمام يتمتع بحياة خاصة به .

(حقيقة : لن يعتقد طفلك أنك شخص مثير للاهتمام إن كانت حياتك تتمركز حوله فقط) .

لذا فإن أهم علاقة فى حياتك لا يجب أن تكون علاقتك بطفلك وإنما علاقتك بأقرانك ، وإن كنت متزوجاً فعلاقتك بزوجك .

(حقيقة : إن الأطفال مهووسون بعلاقة الكبار ببعضهم البعض . وعلى الجانب الآخر ، فهم لا ينتبهون كثيراً للكبار المهووسين بهم) .

بمجرد أن تنجح فى الاستحواذ علي انتباه طفلك ، تصبح مهمة تحويله لخاضع أو تابع لك يسيرة للغاية نسبياً .

(حقيقة : معظم مشكلات التهذيب تنتج عن توجيه الآباء لأبنائهم إما الكثير أو القليل من الانتباه . وفى أى من الحالتين يعجز الأطفال عن توجيه أى انتباه لآبائهم وبالتالى للبالغين بوجه عام) .

وإحدى النتائج الطبيعة للنجاح فى الاستحواذ على انتباه طفلك هى أن طفلك سوف يقدر حكمتك ويلجأ إليك إذا ما صادفته أية مشكلات . وبالطبع هذا من شأنه أن يذيب كل معوقات التواصل بينك وبين طفلك .

إن الاختلاف كبير بين الطفل الذى يرتكب خطأ **(حقيقة : كل الأطفال يرتكبون أخطاء)** والطفل الذى يختار بمحض إرادته أن يرتكب خطأ . وإن كان الطفل غير مدرك أنه يرتكب خطأ ، فإن مجرد توضيحك له أن تكرار مثل هذا الخطأ فى المستقبل سيكون له عواقب وخيمة كافياً للغاية .

إن الآباء كثيراً ما يعاقبون أطفالهم على أمور كان يمكن معالجتها بشكل أقل درامية ـ كنظرة ، أو كلمة ، أو تعبير بسيط ومختصر عن الإحباط . ولكن تأتى أوقات أثناء تربية أى طفل تقريباً ينبغى فيها حل المشكلة بشكل درامى ، ولكن إن كنت قد وضعت أساسيات التربية بشكل سليم ، فلن تأتى مثل هذه الأوقات كثيراً .

١٠ نوفمبر

يجب أن تكون حازماً فى بعض الأوقات ومتساهلاً بعض الشىء فى أوقات أخرى . نعم فالأطفال بحاجة للروتين ، فهو يجعل حياتهم أكثر سهولة ، ويبث بداخلهم شعوراً بالأمان ، ويخلق إطاراً مستقراً يمكن من خلاله منحهم بعض الحريات . نعم إن كل طفل بحاجة لأبوين يتفقان على القواعد التى تعزز نمو الطفل . بيد أنهما ليسا مضطرين للاتفاق على الكيفية التى تطبق بها هذه القواعد . فإن شعر الوالدان أنهما مضطران للاتفاق على كيفية تطبيق القواعد ، فسوف تحدث بينهما العديد من الخلافات لا محالة . فمن غير الواقعى أن نتوقع من زوجين لكل منهما أفكاره الخاصة عن تربية الأطفال الاتفاق على طريقة معينة لتهذيب سلوك الطفل . فما يجدى حقاً فى الحفاظ على روح الانسجام بداخل أية أسرة هو أن يتفق الأب والأم على القاعدة المهمة التالية : يجب أن ينصاع الطفل لما نأمره به ويجب علينا التحرك سريعاً إن حاد الصغير عن المسار الصحيح .

دعنا نفترض أن الطفل عصى أحد أوامر أمه فى يوم الثلاثاء فاضطرت لضربه وتطبيق عقوبة الوقت المستقطع عليه لمدة ثلاثين دقيقة . ودعنا نفترض أيضاً أن نفس الطفل عصى أمر والده فى يوم الأربعاء فعاقبه بحبسه فى غرفته لباقى اليوم . فى هذه الحالة ، فإن كلاً من الأم والأب تصرف بحزم - وإن كان بشكل مختلف - لتطبيق إحدى القواعد .

١١ نوفمبر

لا جدوى من صفع الطفل إن لم يكن متبوعاً بإجراء مناسب . بعبارة أخرى ، الصفع فى حد ذاته لا يهذب الطفل ؛ فهو لا يعلمه أى شىء . فالطفل لا يتعلم شيئاً سوى من خلال الإجراء الذى يتبع الصفع . ومثل هذا الإجراء يجب أن يتخذ بسرعة وحزم ، أى تتخذه بهدوء ولكن بدون تردد . فلابد أن توضح لطفلك أنك غير راض عن سلوكه ، إذا لم تكن غاضباً ، ويجب أن تتحلى بالحكمة ولا تفقد أعصابك مطلقاً . وفى بعض الحالات ، تكفى بعض الكلمات لإعادة الطفل إلى مساره الصحيح . وإن كنت تعتقد أنك بحاجة لاتخاذ إجراء أكثر حزماً وحدة ، فلتجرب الاقتراحات التالية :

- اسحب منه ميزة مهمة ـ كالخروج ـ حتى نهاية اليوم .
- اطلب من الطفل الاعتذار للطرف الذى أساء إليه .
- احبس الطفل فى غرفته لفترة معينة .
- اجعله يخلد للفراش مبكراً .
- اجعله يكتب نفس العبارة (مثال : بعد ذلك ، لن أصرخ حينما يطلب منى والدى القيام بشىء ما) نحو خمس وعشرين مرة أو أكثر .
- نفذ فيه عقوبة الوقت المستقطع بحيث يمضى من عشر إلى ثلاثين دقيقة فى أحد الأماكن المملة فى المنزل .
- يمكنك تطبيق أكثر من اقتراح مما سبق إن شئت .

وأنت لست مضطراً لاتخاذ نفس الإجراء فى كل مرة يسىء فيها الطفل السلوك ولكن ينبغى عليك بدون شك أن تتخذ إجراءً ما .

١٢ نوفمبر

دعونا نتحرى الصدق ، إن معظم القرارات التى يتخذها الآباء تعسفية . فهم يتخذونها بناء على تفضيلات شخصية وليس على حقائق مطلقة . لماذا ينبغى على طفلك على سبيل المثال أن يذهب للفراش فى الثامنة مساء فى حين أن طفل جارك والذى يصغر طفلك بعام مسموح له بالاستيقاظ حتى التاسعة ؟ إن كل المحاولات لشرح مثل هذه الاختلافات سوف تؤول بنا إلى سبب واحد بسيط : " هذا هو ما أريده " . ولماذا لا تسمح لطفلك بأن يقود دراجته سوى أمام منزلكم فى حين أن صديقه المقرب يقودها حتى المتجر الذى يقع بعد ثلاث منازل أخرى ؟ مرة أخرى ، إن السبب الوحيد فى ذلك هو " لأن هذا هو ما أريده " ، بمعنى آخر " لأننى قلت هذا " .

إن كانت تلك العبارة تتردد على لسانك كثيراً ، فجرب أن تقول " لأننى المسئول عن اتخاذ هذا القرار " أو " لأننى والدك واتخاذ مثل هذه القرارات مسئوليتى أنا وحدى " . وإن شعرت بأنه من اللائق أن تعطى طفلك تفسيراً لائقاً ، فاجعل إجابتك لا تتعدى خمساً وعشرين كلمة . ولكن تذكر أنه مهما بلغت درجة براعتك فى صياغة إجابتك ، فلن يتفق طفلك معك . فى الحقيقة ، ربما ترغب فى أن تسبق إجابتك بهذه العبارة " حسناً ، سوف أتظاهر بأنك قد طرحت سؤالاً وتنتظر الإجابة . ولكن لا أنتظر اتفاقك معى فيما سأقوله . لذا فلا تتوقع منى تغيير قرارى " . وعندما لا يتفق معك طفلك قل له : " لا بأس . لقد كنت أعلم أننا لن نتفق ، ولكننى لن أقوم بتغيير قرارى على أية حال " .

١٣ نوفمبر

أحد الأشياء التى تعلمتها من خلال خبرتى كوالد هو أنك لا تسدى طفلك أى معروف عندما تحاول أن تجعله سعيداً . ففى بعض الأحيان ، يضطر الآباء للقيام بأمور غير لائقة بالمرة كى يعززوا اعتماد أطفالهم على ذواتهم . ولكن للأسف ، فإن العديد من آباء اليوم يترددون فى القيام بأى شىء قد يتسبب لأطفالهم فى الشعور بالتعاسة حتى وإن كان على نحو مؤقت . إن هناك ثلاثة أخطاء يرتكبها الآباء :

١. الاعتقاد الخاطئ بأن الشعور بالتعاسة يهدد نمو ثقة الطفل فى ذاته .
٢. خوفهم من أنهم لو سببوا التعاسة لأطفالهم فسوف يشعر الأطفال بأنهم غير محبوبين ـ أو الأدهى من ذلك فإنهم سيبغضون آباءهم .
٣. خوف الآباء من ألا يستحسن أقرانهم أساليب تربيتهم لأبنائهم .

والآباء عندما يخشون مثل هذه الأمور ، فإنهم ينضمون لركب الآباء الذين يبذلون قصارى جهدهم لتحقيق السعادة لأطفالهم مهما كان الثمن . وفى خلال ذلك ، فهم يقومون دون قصد بحرمان أطفالهم من فرص غالية يستطيعون من خلالها تعلم الاعتماد على الذات وبالتالى الثقة الحقيقية بالنفس . إن ما يعجز مثل هؤلاء الآباء عن إدراكه هو أنه من الضرورى فى كثير من الحالات تهديد سعادة الطفل بشكل مؤقت من أجل منحه هدية غالية فى النهاية ـ ألا وهى الثقة بالذات .

١٤ نوفمبر

مع بعض الاستثناءات (والتى أعتقد أنها كانت مجرد ضربة حظ) عادة ما يشكو لى الآباء من أن أساليب التربية الحديثة عادة ما لا تجدى معهم نفعاً . إنهم يطبقون كل الإرشادات التى تأتى فى الكتب بحذافيرها وكل ما ينصح به أطباء النفس الذين يظهرون فى التلفاز : يثنون على أطفالهم كثيراً ، ويحاولون تجنب أية صراعات معهم ، ويساعدونهم فى إنجاز فروضهم المدرسية ، ويطبقون عليهم عقوبة الوقت المستقطع بدلاً من الضرب ، ولا يقولون لأطفالهم قط : " لأننى قلت هذا " . إنهم يتبعون جميع النصائح ويبتعدون عن جميع المحظورات ومع ذلك لا يلتمسون أى تحسن إيجابى فى أطفالهم .

والمتخصصون النفسيون لديهم تفسير لهذه الحيرة . فحينما يشكو إليهم أحد الآباء من عدم فاعلية نصائحهم ، يخبرونه فوراً بوجود ما يسمى بالأسر التى تعانى خللاً ما . ففى مثل هذه الأسر يتسم الوالد بأنه " عنيد " أو " دفاعى " أو " مخرب " أو " متدخل فى شئون الآخرين " . بعبارة أخرى ، إن نصائح المتخصصين لا تشوبها شائبة ، فالمشكلة تكمن فى بعض الناس الذين لم يستطيعوا استيعاب تلك النصائح على النحو الصحيح لدرجة تجعلهم لا ينجحون فى تطبيقها . إذن فما يحاول أن يقنع به المتخصصون الآباء هو التالى : إن طلبت النصيحة من أحد المتخصصين ووجدت بعد ذلك أنها غير مجدية ، إذن فأنت شخص مريض ، وكذلك جميع أفراد أسرتك . ومادام الخلل مرضاً متوارثاً ، إذن فآباؤك وأجدادك كانوا مختلين أيضاً !

حسناً ، بصفتى طبيباً نفسياً وأباً دعنى أؤكد لك أن فشلك فى تطبيق أساليب التربية الحديثة ليس راجعاً لإصابتك وإصابة أسرتك بخلل ما (على الرغم من وجود أسر تعانى فعلاً من الخلل) وإنما لأن النصائح التى يقدمها لك المتخصصون غير مثمرة وغير عملية وغبية .

١٥ نوفمبر

اكتشف الباحثون فى جامعة " منيسوتا " أنه بطريقة ما تلعب الجينات الوراثية دوراً كبيراً فى تكوين المعتقدات السياسية . فاحتمال اعتناق التوائم المتماثلة نفس الأفكار والمعتقدات السياسية يفوق كثيراً هذا الاحتمال لدى التوائم غير المتماثلة ، حتى وإن تمت تنشئة التوائم المتماثلة بعيداً عن بعضهم البعض وتنشئة التوائم غير المتماثلة فى نفس المنزل .

وإذا ما كان للجينات الوراثية تأثير على المعتقدات السياسية ، فمن غير المدهش أن نفترض أن لها تأثيراً مشابهاً على المعتقدات التربوية أيضاً . إن المحافظين السياسيين على سبيل المثال ـ والذين يعرفهم " دانيال سليجمان " بأنهم هؤلاء ممن يحترمون السلطة ويعتنقون المبادئ التقليدية ـ قد يتمسكون بالأساليب " عتيقة الطراز " فى تربية الأطفال مقارنة بغيرهم من المتحررين السياسيين . فالمتحررون ـ على الجانب الآخر ، قد يفضلون تطبيق الأساليب " الديمقراطية " فى التربية .

فكر فى الأمر قليلاً . يؤدى الخلاف بشأن أسلوب التربية المناسب إلى نشوب العديد من الخلافات الزوجية . وإن ثبت فى المستقبل القريب وجود علاقة بين المعتقدات السياسية والأساليب التربوية ، فيمكن للمقدمين على الزواج أن يوفروا على أنفسهم الكثير من الألم والأسى بسؤال شريك حياتهم المحتمل " لمن أعطيت صوتك فى الانتخابات السابقة ؟ " قبل أن يقرروا الزواج منه وإنجاب أطفال .

لقد جعلت النصائح التربوية **الحديثة** من نساء هذا الجيل نساء ذليلات ومغلوبات على أمرهن . نعم ربما تكون المرأة فى حقبة التسعينيات قد نجحت فى الحصول على المزيد من الحقوق الاقتصادية والسياسية والمهنية مقارنة بالمرأة فى حقبة الخمسينيات ، ولكن امرأة التسعينيات لن تتحرر **بحق** إلا إذا استطاعت أن تنظر إلى أطفالها مباشرة فى أعينهم وتخبرهم بكل حزم أن **يتركوها لحالها** .

ذات مرة ناقشت ذلك الأمر فى محاضرة ألقيتها فى " تشارلوت " فى " نورث كارولينا " منذ بضعة أعوام . وبعدما انتهيت من إلقاء المحاضرة اقتربت منى سيدة مسنة وقالت : " الآن أنا أفهم السبب فى تصدى ابنتى البالغة من العمر خمسة وثلاثين عاماً - وهى أم معيلة - لزملائها من الرجال فى العمل ، والسماح لطفلها البالغ من العمر خمس سنوات بأن يتطاول عليها عندما تعود للمنزل ليلاً " .

إن هذه القصة الطريفة زاخرة بالمفارقات . فهذه الأم لا تنتهج فقط سلوكيات متناقضة ولكنها تغرس داخل طفلها الشىء الوحيد الذى عملت طوال حياتها على التغلب عليه : **الاعتقاد السائد بضعف المرأة وأنها خلقت خصيصاً لخدمة الرجل** . فعلى أية حال ، فإن كان هذا الطفل البالغ من العمر خمس سنوات يتطاول على أمه الآن فكيف وأين له أن يتعلم أن يعامل المرأة باحترام ويحافظ على كرامتها ؟

١٧ نوفمبر

مما لا شك فيه أنه يوجد اختلاف بين تربية الطفل على يد والد واحد وتربيته من قبل كلا أبويه ، ولكن بقدر ما يعتقد الوالد أن الأمر صعب بقدر ما سوف يلاقى من صعوبة أثناء تربيته لطفله وحده . فعلى الرغم من كل ما يقال عن مدى صعوبة تربية الأطفال من قبل والد واحد إلا أن الحقيقة غير ذلك تماماً وتبعث على التفاؤل . فقد يشير أحدهم على سبيل المثال إلى أن الآباء المعيلين مثيرون للشفقة حقاً ، حيث إنهم يتولون شئون أطفالهم طوال الوقت دون أن يشاركهم أحد وجدانياً فى هذا الأمر . ولكننى أستطيع تفنيد هذا الرأى بسهولة قائلاً إن تربية الأطفال من قبل والد واحد أمر غير معقد نسبياً . فقد تقول إحدى الأمهات المعيلات وهى حانقة : " ينبغى علىّ اتخاذ جميع القرارات " ، وقد تقول أخرى وهى سعيدة باستقلالها : " أنا وحدى من يتخذ جميع القرارات " . فتربيتك لطفلك وحدك شأنه شأن أى أمر آخر له مميزاته وعيوبه . فحاول أن تتبنى وجهة نظر خاصة بك . لكن يا ترى أى وجهة نظر هى الأصح ؟ جميع وجهات النظر صحيحة ! فإن كنت تعتقد أن تربيتك لأطفالك وحدك هى مهمة شاقة فسوف تكون كذلك . أما إن أخذت تقنع نفسك بأن تربيتك أطفالك وحدك هى أعظم فرصة تستطيع من خلالها خلق الحياة التى طالما تمنيتها ، فسوف تتدفق بين يديك قوة هائلة لخلق فرصة تلو الأخرى لك ولأطفالك . فأياً كان رأينا فى أنفسنا ، فهذا الرأى هو ما نعمل على إثبات صحته .

١٨ نوفمبر

عندما أنجبنا طفلنا الأول " إريك " ، كنا ـ شأننا شأن العديد من الآباء الصغار الآخرين ـ نتصرف وكأنه ملكية خاصة لنا وخاصة أمام آبائنا . فكنا نستاء للغاية من تدخلاتهم واقتراحاتهم مهما كانت مفيدة وبناءة ونعتبرها نقداً لنا .

فكان يثير حنقي على سبيل المثال رؤية والدى زوجتي " ويلي " يتعمدان ملء فم " إريك " بالحلوى ويديه باللعب وجيوبه بالنقود . وكلما أثارت مثل تلك الأمور حنقي تمادوا في القيام بها . وقد تطلب الأمر منا سنوات حتى ندرك أن تدليل الأجداد لأحفادهم لا يضرهم في شيء ، بل إنني مقتنع تماماً الآن أنه في الوقت الذى يحق فيه للأجداد تدليل أحفادهم فإنه لا يحق لآبائهم قط تدليلهم . فأحد أكثر الأشياء التى تبهج الأجداد هى إسعاد الأطفال الصغار ، ولا يجب أن يتدخل أى أحد في مسعاهم هذا . فهؤلاء الأجداد الذين يمرون بمرحلة سنية تتسم ببراءة الأطفال وحكمة كبار السن في الوقت ذاته والذين يعانون من جراء تعقيدات البالغين وجديتهم الحمقاء المبالغ فيها ـ هم الأقدر على تهدئة الأمور بين الآباء وأطفالهم .

لذا ، فبعد ولادة حفيدنا الأول " جون جاك هنرى روزموند " بفترة وجيزة اجتمعت أنا و " ويلي " بـ " إريك " و " نانسي " وقلنا لهما : " بخصوص ذلك الطفل توجد قاعدة واحدة على جميعنا احترامها : إن مهمتنا هي أن نقوم دوماً بتدليل " جاك هنرى " في حين أن مهمتكما هى ألا تقوما أبداً بتدليله . وإن لم تحاولا أداء مهمتنا ، فلن نقوم بدورنا بمحاولة أداء مهمتكما " .

وحتى الآن يسير هذا الاتفاق على نحو رائع بالنسبة للجميع وخاصة " جاك " !

١٩ نوفمبر

عندما يتعذر على أحد الآباء التعامل مع طفله أو مشكلة ما ، فإننى عادة ما أنصحه بتجربة أسلوب تربوى اعتاد والدى استعماله معى بين الحين والآخر . وقد كانا يطلقان عليه اسم " خفض السارية " . وهذا الأسلوب غير صحيح بالمرة من الناحية السيكولوجية ، لذا فلا تتوقع أن يتفق معى فيه أى من زملائى المتخصصين (كما هى الحال دوماً) .

وترمز " السارية " إلى عقوبة علي الرغم من أنها غير مؤذية أو مؤلمة فهى كافية لأن تسبب للطفل استياء بالغاً . ولكى يكون هذا الأسلوب فعالاً حقاً لا يجب على الآباء أن يكثروا من استخدامه . فيجب توفيره للمشكلات الحادة أو المزمنة أو كلتيهما . فبدلاً من تعديل سلوك الطفل السيئ باستخدام وسيلة تربوية بسيطة كالوقت المستقطع أو سحب إحدى المميزات من الطفل لفترة وجيزة ، يقوم الوالدان بتطبيق عقاب رادع وشامل . فهما يخفضان السارية ويتركان الأمواج العالية تضرب بالطفل لفترة طويلة . ولأن مثل هذه العقوبة تترك أثراً طويل المدى على نفسية الطفل لا ينمحي من ذاكرته بسهولة ، فمن غير المحتمل أن يكرر نفس السلوك السيئ مجدداً .

٢٠ نوفمبر

إن ضرب الطفل على الملأ أمر مهين للغاية له ، كما أن المشاعر التى تتولد لدى الطفل من جراء هذا من شأنها أن تجعله ينتهج المزيد من السلوكيات السيئة . علاوة على ذلك ، ففى أى مكان عام يعمل وجود أشخاص آخرين على تشتيت انتباه الطفل مما يجعله غير قادر على التركيز على الرسالة التى تريد منه أن يستوعبها . وأخيراً ، فإن ضرب الأطفال على الملأ يثير حنق الآخرين ممن لا يرغبون فى رؤية آباء آخرين يضربون أطفالهم . أما إن أساء طفلك السلوك فى مكان عام ورأيت أنه من الضرورى ضربه حتى تعيده إلى المسار الصحيح فيجب أن تأخذه إلى مكان منعزل قبل أن تنزل براحة يدك على **مؤخرته** . باختصار ، من **الوقاحة** أن تضرب طفلك فى مكان عام . وأنا شخصياً أرى ضرورة مثول الآباء الذين يصفعون أطفالهم على الملأ أمام القضاء ، ليس لأنهم أوقعوا الضرر بأطفالهم ولكن لأنهم أثاروا جلبة عكرت صفو المارة .

٢١ نوفمبر

بإمكانك أن تبدأ الآن فى إعطاء طفلك المزيد من جرعات فيتامين " لا " التالية :

- أعد الأمور إلى نصابها الصحيح عن طريق منح طفلك كل ما يحتاجه بحق وعدم منحه أكثر من ٢٠٪ من الأشياء التى يريدها فقط . وأنا أطلق على هذا المبدأ اسم " مبدأ الحرمان الحميد " . وإن كنت تعتقد أن هذه النسبة ضئيلة للغاية ، فضع فى اعتبارك كيف أن الشخص البالغ الذى ينجح فى تحقيق ٢٠ ٪ مما يريده إما أن يكون غنياً للغاية أو لا يرغب فى الكثير .
- لا تقم بالنيابة عن طفلك بما يستطيع هو القيام به ، حتى لو أعلن عدم استطاعته القيام بهذا الشىء . وتذكر أنك تعلم دوما ما هو أفضل للجميع .
- لا تقع فى شرك إنقاذ طفلك دوماً من الفشل أو الإحباط أو كليهما .
- تذكر أن مجرد بغض الطفل لشىء ما لا يعنى أن هذا الشىء لا ينبغى أن يحدث أو يوجد . لذا اجعل طفلك يواجه دوماً أموراً لا تروق له ـ ولكنها لا تهدد حياته ، فقط لا تروق له !
- لا تلق بالاً لمسألة تحرى العدل مع طفلك ، فتذكر أن كلمة " عدل " تعنى من منظور الطفل " أنا أولاً " !
- تذكر أن مجرد تمتعك بمستوى مادى مرتفع لا يعنى أن طفلك يجب أن يشاركك هذا المستوى . فاترك له شيئاً يسعى للحصول عليه حينما يكبر . وحينها سوف يقدر لك صنيعك معه ، ولكنه بالطبع لن يقدره الآن .

٢٢ نوفمبر

اسأل نفسك : " ماذا نطلق على المرأة التى لديها أطفال وتعمل خارج المنزل ؟ " والإجابة بالطبع هى " أم عاملة " . ضع هذا الأمر جانباً لدقيقة الآن .

الآن اسأل نفسك : " ماذا نطلق على الرجل الذى لديه أطفال ويعمل خارج المنزل ؟ " ، إننا لا نطلق عليه بالطبع " أباً عاملاً " ، هل نفعل ذلك ؟ فنحن نسميه باسم الوظيفة التى يمتهنها ـ سباك ، طبيب ، ميكانيكى ، وما إلى ذلك .

أترى ، إنها ليست مصادفة أن نطلق هذا اللقب على المرأة ، بل إنه جزء لا يتجزأ من السترة التى قمنا بحياكتها كى ترتديها نساء هذا الجيل . فإذا قمنا بقراءة ما بين السطور سنجد الآتى : " إن كان لديك أطفال ، فإن وظيفتك الأولى والأخيرة هى رعايتهم . وأى قرار تتخذينه فى حياتك (كامتهان وظيفة مثلاً) قد يشغلك عن أطفالك على نحو منتظم وطوال فترة معينة من الوقت ، إنما هو قرار تتخذينه **على حساب أطفالك** . لذا ، فعندما تنتهين من مشاغلك وتعودين لأطفالك لابد أن تعوضى لهم هذا الوقت الذى أمضيته بعيداً عنهم " .

ولكى تكفر الأم عن الذنب الذى تشعر به نتيجة قيامها بشىء ما لنفسها بعيداً عن دورها كزوجة وأم ، حينما تعود " الأم العاملة " إلى المنزل من العمل ، فإنها تبذل قصارى جهدها لكى تمضى مع أولادها وقتاً مثمراً لكى تعوضهم قليلاً عن الوقت الذى أمضته بعيداً عنهم .

٢٣ نوفمبر

إن العبارات الخاصة بتربية الأطفال والتى كانت تستخدمها الأجيال السابقة لم تكن تبدو جيدة ، حيث كانت متخمة بمثل تلك الأقوال المأثورة والحكم : " يجب رؤية الأطفال وليس سماعهم " ، " إن المال لا ينمو فوق الأشجار " ، " لقد رتبت فراشك بنفسك والآن عليك الاستلقاء فوقه " ، " لقد أعددت المشروب والآن عليك تجرعه " ، ثم يأتى أكثرهما استفزازاً : " لأننى قلت هذا " . إن كل حكمة من تلك الحكم الموجزة تجسد فكرة مأخوذة من قلب الفطرة السليمة فى تربية الأطفال ، وهذه الأفكار تلخص معاً الفلسفة التربوية التى اعتنقها أسلافنا . لقد ترعرعت أنا وغيرى من أبناء جيلى على سماع واحدة أو أكثر من هذه العبارات على أساس يومى تقريباً . وكنتيجة لهذا ، أخذنا نربط بينها وبين الأوقات التى يعمد فيها آباؤنا تلقيننا دروساً معينة والتى كنا نتعلمها بأصعب الطرق الممكنة . لذا فقد كان من السهل على المتخصصين أن يقنعونا ـ كبالغين ـ أن الفلسفة أو المنهج التربوى الذى تبناه أجدادنا وعبروا عنه من خلال هذه الأقاويل كان زائفاً إن لم يكن ضاراً أو مؤذياً .

نعم ، لقد نجحوا فى إقناع معظمنا بهذا الأمر . وكنتيجة لذلك ، نأى الآباء بأنفسهم عن هذه الحكم الغالية وخضعوا لحكم الإمبراطور الجديد الذى أغرتهم ملابسه الجديدة والرائعة . إن الآباء اليوم يتبنون الأساليب التربوية التى تبدو جيدة ، ولكن بدا من الواضح أن مثل تلك الأساليب غير فعالة بالمرة . فقد أصبح طفل اليوم معروفاً بوقاحته وكثرة طلباته وعدم تعاونه أو احترامه للآخرين وعدم إحساسه بالمسئولية ، وأصبح الآباء اليوم محبطين وشاعرين بالقلق والذنب ، وأصبحت معظم الأسر اليوم تعانى من أزمة مزمنة لم تشهدها من قبل .

٢٤ نوفمبر

إن الحكمة القديمة القائلة **بضرورة رؤية الأطفال وليس سماعهم** تفيد الأطفال بطريقتين مهمتين :

- **تعزز بداخلهم القيم والأعراف الاجتماعية** . فلاحظ كيف أن النصف الأول من الحكمة يقرر بوضوح ضرورة رؤية الأطفال . فإن دخل الطفل مثلاً الحجرة بينما كان البالغون يتجاذبون أطراف الحديث ، فلم يقم أحد منهم بتعنيفه ويطلب منه المغادرة فوراً (ولكنهم قد يطلبون منه المغادرة برفق إن كانوا يتحدثون عن شيء ليس من اللائق أن يصل لمسامعه) ، فقد كان متوقعاً من الطفل أن يجلس بأدب بالقرب من المتحاورين والإنصات لهم ولم يكن يتظاهر أحد ـ من أجل أن يساور الطفل شعور جيد حيال نفسه ـ أنه ناضج اجتماعياً وفكرياً وعاطفياً بالدرجة الكافية كي يشارك في حديث الكبار . ولكن إن التزم الطفل الصمت وأخذ ينصت ، فسوف يتعلم الكثير ! لذا فإن فكرة أهمية رؤية الأطفال فقط وليس سماعهم لم تكن تعكس اتجاهاً عدائياً ضد الأطفال ، بل كانت في الحقيقة تعكس اتجاهاً مؤازراً لهم . فقد كانت تمثل احتراماً فعلياً لحقبة الطفولة وكل ما يصاحبها . لقد كانت تضع الأطفال في أكثر الأماكن الملائمة لهم .
- **تعزز احترامهم للكبار** . فعن طريق خلق حواجز من هذه النوعية بينهم وبين الأطفال ، كان البالغون يميزون أنفسهم عن الصغار . فقد كانوا يحيطون أنفسهم بمناخ ثقافي مستقل لا يشمل الأطفال ـ لمعظم الوقت . لذا فقد كان الأطفال يتطلعون دوماً للانضمام لعالم الكبار وثقافتهم ، ويكنون لهم كل احترام وتبجيل . وكانت النتيجة أن الأطفال كانوا ينشدون الوصول لمرحلة النضج والتحلي بمثل هذه الثقافة . وعن طريق النجاح في الاستحواذ على احترام الأطفال استطاع الكبار منح الأطفال الفرصة التي يكتسبون من خلالها احترام الذات . لذلك ، فإن الحكمة القائلة **بضرورة رؤية الأطفال وليس سماعهم** كانت بدون شك لتحقيق الأفضل للصغار .

٢٥ نوفمبر

منذ ثلاثين عاماً تقريباً وصحة التعليم الحكومى آخذة فى التدهور . ومن الفيروسات التي أضرت بصحة هذا التعليم السياسات الراسخة التى تجعل من المستحيل تقريباً التخلص من المعلمين متوسطى المستوى ، والروتين الحكومى الذى يضم الكثير من الإداريين الذين لا حاجة لهم ، والهيئات المدرسية التى تشمل أشخاصاً أشبه بالساسة ، والتأكيد المتزايد على الجوانب الاجتماعية على حساب المناهج الأكاديمية ، والتدليل المبالغ فيه للتلاميذ سيئى السلوك ، والتوغل داخل نفسيات الأطفال من أجل تعزيز ثقتهم بأنفسهم - الأمر الذى يعتقد البعض أنه الغرض من التعليم بوجه عام - وتبنى سياسة غريبة ضربت بالمعايير الاجتماعية عرض الحائط وجعلت من درجات الطلاب مجرد أضحوكة .

الآن ، إليكم الحقائق :

- منذ عام ١٩٦٥ زادت مصروفات المدارس الحكومية للفرد بنسبة تتعدى ٢٠٠ ٪ ، فى حين تدنى بشكل ملحوظ أداء التلاميذ الدراسى . ولكن دعونا ننظر مثلاً إلى بلدة مثل " مينيسوتا " والتى لم يتجاوز فيها حجم زيادة المصروفات أكثر من ٢٥ ٪ ومع ذلك يحقق التلاميذ أعلى مستوى أداء ، سنجد أنه لا توجد أية علاقة تقريباً بين الاثنين . الخلاصة : المدارس الحكومية ليست فى حاجة إلى المزيد من المال بل فى حاجة لاتباع سياسة أكثر صرامة .
- يحرز تلاميذ المدارس الحكومية الأمريكية درجات تقل كثيراً عن هذه التى يحرزها التلاميذ من الدول الصناعية الأخرى فى العلوم والرياضيات ، ومع ذلك يعتقدون أن أداءهم فى مثل هذه المجالات أكثر من رائع . الخلاصة : يبدو أن المدارس الحكومية قد أبلت بلاء حسناً فى تعزيز ثقة الأطفال فى أنفسهم بينما عجزت عن تعليمهم المهارات الحقيقية المطلوبة فى السوق العالمى .
- إن حدث والتحق تلميذ نبيه سليل أسرة عريقة تتمتع بمبادئ وقيم عريقة بمدرسة حكومية فإن أداءه الدراسى بها لا يختلف كثيراً عن الأداء الذى

يحرزه فى مدرسة خاصة . الخلاصة : يبدو أن المدارس الحكومية قد أصبحت مكاناً للطلبة متوسطى الأداء أكثر من غيرهم .

بيد أنه فى إمكاننا الإصلاح من حال التعليم الحكومى بالقيام بالآتى : (١) إلغاء وزارة التعليم وإعادة تقسيم الولايات المتحدة إلى مناطق تعليمية تخضع كل منها لسلطة الولاية التابعة لها . (٢) تطبيق نظام الضامن أو الكفيل حتى ينتعش السوق وفى الوقت ذاته يتوافر من نستطيع مساءلته عن شئون هذه المؤسسات .

٢٦ نوفمبر

فى أثناء السنوات الأولى من عمر الطفل ، تـتم برمجـة مخـه وفقـاً لطبيعـة البيئة التى يعيش بها . وقد اكتشف الباحثون أن نشأة الطفل فى ظـل ظـروف بيئية معادية تعمل على تقويض أجـزاء معينـة مـن مخـه يتسـبب فـى إصـابته بمختلف أنواع الإعاقات . وبعض هذه الإعاقات تكـون واضـحة (كاضـطرابات واضحة فى التواصل) ، والبعض الآخـر لا يظهـر إلا فـى ظـل ظـروف معينـة (كالضعف فى المهارات الموسيقية) . وقد اكتشـف البـاحثون أيضـاً أن أجـزاء بعينها من أمخاخ العديد من المصابين باضطراب نقص الانتباه غـير سـليمة مـن الناحية البنائية أو الكيميائية أو كلتيهما . وهذان الكشفان العلميان إنما يزيدان من احتمالية تسبب التجـارب البيئيـة المعاديـة فـى الإصـابة باضـطراب نقـص الانتباه .

وعند هذا الحد ، نصل إلى الجزئية المؤلمة من الأمر . فمن المتعارف عليه أن الآباء الفقراء أو غير المحبين أو الـذين يعـانون مـن مشـكلات ذهنيـة عـادة مـا يخلقون لأطفالهم بيئات معادية . ولكن الحقيقة هى أن عدداً كبيراً مـن أطفـال الطبقة المتوسطة والعليا يعانون من اضطراب نقص الانتباه . والأدهـى مـن ذلـك بزوغ فكرة أخرى مفادها احتمال خلق آباء الطبقة المتوسطة المحبين والشـاعرين بالمسئولية (عن غير قصد) بيئات سلبية لأطفالهم ، تلك الفكرة التى أوشـكت على التملك من عقول الآباء وحلفائهم المتخصصين .

إن التلفاز هو الشىء الوحيد المشترك بين الأطفال الفقراء والأغنيـاء . فقبيـل دخوله المدرسة يكون الطفل الأمريكى قـد شـاهد نحـو ٥٠٠٠ سـاعة مـن البـث التليفزيونى - أى ما يفوق ربع وقت استيقاظه . ومن الممكن أن نفترض أن لهذا الأمر أثراً كبيراً على نمو مـخ الطفـل . فهنـاك احتمـال أن الومضـات السـريعة المتكررة التى تتسم بها برامج التلفاز تتسبب فى إضعاف ملكـات الانتبـاه لـدى عدد كبير من الأطفال الأمريكيين ممن ينتمون لمختلف الطبقات الاجتماعية .

وتلك الفرضية تجعلنا نصل إلى استنتاج فحواه أنه فى حالات معينة - إن لم يكن معظمها - يمكن القضاء على اضطراب نقص الانتباه إن تم إبعاد التلفاز من بيئة الطفل قبل وقوع الضرر . فالمخ قادر على إصلاح نفسه . وقد رأيت هذا يحدث بالفعل مع ابنى ، وسمعت عن العديد من الحالات المماثلة منذ ذلك الحين .

٢٧ نوفمبر

يرغب الآباء دوماً في معرفة القياسات الدقيقة للأمور المتعلقة بتربية الأطفال . فتجدهم يسألون عن الحد الأقصى والأدنى من الأشياء ، فيستفسرون مثلاً عن عدد الألعاب التى ينبغى شراؤها للطفل ، وعدد الدقائق التى يحتاج فيها كل طفل من بين ثلاثة أطفال لانتباه والديه على أساس يومى ، ومتى يعاونون الطفل فى إنجاز فروضه المدرسية ومتى لا يعاونونه ، وكم مرة خلال الأسبوع ، ولأى مدى من الوقت ... لكن ما لا يفهمه هؤلاء الآباء أن معرفة المكان الذى ينبغى رسم الحد فيه لا يعتمد على الكميات والمقاييس وإنما على الفطرة السليمة . وعندما قررت أنا و " ويلى " فى النهاية أن نسأل أنفسنا " إن كان آباؤنا يمرون بنفس هذا الموقف فأين كانوا سيرسمون الحد ؟ " نجحنا فى أغلب الأحيان فى رسمه فى المكان الملائم للطفل المعنى . لقد قام آباؤنا بتربيتنا وفقاً للفطرة السليمة وليس وفقاً للكتب . وشأنهم شأن جميع الآباء ، قاموا بارتكاب أخطاء ، ولكن نجاحاتهم طغت على أخطائهم ، وفى النهاية كان النجاح وليس الأخطاء هو السمة المميزة لأساليبهم فى تربية أطفالهم .

يرى الخبراء المتخصصون أن الآباء والأمهات الذين يعجزون عن التواصل للوصول لحل لإحدى المشكلات التى يجابهها أطفالهم لا يتمتعون بالحزم الكافى ويستنتجون أن زيجاتهم (بل وأسرهم كاملة) تعانى خللاً ما . ويفترضون أن سلوكيات أطفالهم السيئة ما هى إلى وسيلة لا شعورية لإجبار آبائهم على معالجة الخلل الذى يعانون منه ، أو وسيلة لتهدئة المشكلات بينهم عن طريق افتعال سلوكيات سيئة من شأنها أن تحول دون انهيار زواج آبائهم . وطالما اعتقدت أن هذا التفسير سخيف للغاية . فعادة ما يكون واضحاً أن مشكلات الأطفال ليست ناتجة عن خلل ما يشوب زيجات آبائهم ، وإنما تمثل عاملاً مساعداً لظهور مثل تلك المشكلات . فالزواج نفسه ليس هو المشكلة ، ولكن تنتج المشكلة على الأرجح عن إحساس الزوجة بعدم كفاءتها كأم والذى تحاول إخفاءه بقدر استطاعتها .

ولا يمكن إلقاء اللوم على الأم بأية حال من الأحوال فهى ليست مخطئة . فهى مجرد ضحية للمهاترات السيكولوجية السخيفة التى يفرضها علينا المتخصصون منذ نحو أربعين عاماً ، والتى تفترض أن أية مشكلة يعانى منها الطفل تقف وراءها أم سيئة . ففى أواخر الخمسينيات والستينيات اتهمت الأم بأنها تبالغ فى رعايتها لأطفالها ، ثم أصبحت فى السبعينيات لا ترعى أطفالها بالشكل الكافى . يا للسخافة ! فالأب مثلاً يريد أن يعاقب الطفل لسوء سلوكه أو لأدائه المتدنى فى المدرسة أو كليهما ولكن الأم تمنعه من القيام بذلك لأنها وحدها تعلم من المذنب الحقيقى . لذا فحينما يحاول الأب تهذيب طفله تهرع الأم نحوهما وهى تصرخ : " لا ، لا تفعل ذلك ! " وذلك لأنها مقتنعة تمام الاقتناع أن الطفل لم يكن أمامه خيار آخر ، وأن تهذيب أبيه له لن يفعل شيئاً سوى زيادة الأمور سوءاً . لا ، إن الأم ليست مذنبة فى شىء ، حيث إن المذنبين الحقيقيين هم المتخصصون النفسيون الذين حاكوا سترة الشعور بالذنب وألبسوها بإحكام لأمهات اليوم .

٢٩ نوفمبر

كلما أكثرت من ضرب طفلك ، فقد هذا الأسلوب التهذيبى قيمته وفعاليته . ففى الواقع يكتسب الأطفال الذين يضربهم آباؤهم كثيراً " مناعة " ضد الضرب ، فتجدهم يستجيبون لعقوبة الضرب بعبارة " ماذا إذن ؟ " . لذا ما الحد الأقصى لتطبيق هذه العقوبة على الأطفال ؟ إن هذا يعتمد على المرحلة السنية التى يمر بها الطفل . فبالنسبة للطفل البالغ أربع أو خمس سنوات من عمره يكفى ضربه مرة واحدة شهرياً . وبالنسبة للطفل البالغ ست سنوات أو أكثر فيكفى ضربه مرة كل ثلاثة أشهر تقريباً . ولكن ببلوغ طفلك سن التاسعة أو العاشرة يجب أن تتوقف عن ضربه تماماً . فإن لم تكن قد نجحت بالفعل فى الاستحواذ على انتباه واحترام طفلك بحلول هذا الوقت فلن يجدى الضرب فى شىء حتى وإن ظللت تضربه إلى أن تتقرح يدك .

٣٠ نوفمبر

ليس هناك جديد فيما يخص عمل الأمهات خارج منازلهن . فلقد كانت أمى تعمل ، وكذلك أمهات العديد من أصدقائى . أما الجديد فى ذلك الأمر فهو شعور الأمهات بالذنب نتيجة ذهابهن للعمل وإيمانهن بضرورة التكفير عن هذا الذنب وتعويض أبنائهن الوقت الذى أمضوه بعيداً عنهم فى كل ليلة وفى عطلات نهاية الأسبوع .

لكن دعونا نرى على سبيل المثال ما كانت تفعله أمى . طوال السبع سنوات الأولى من حياتى ، تولت أمى رعايتى وحدها إلى أن تزوجت مرة أخرى . ولكن فى كلتا الحالتين ـ قبل وبعد زواجها ـ لم تكن أمى تعود إلى المنزل من عملها وهى شاعرة بأنها تدين لى بشىء ما ـ بل على العكس تماماً ، فلقد كانت تعود إلى المنزل ـ هل أنت مستعد لسماع ذلك ؟ ـ وهى تشعر بأننى مدين لها بشىء ما ! يا له من تفكير ! وقد كنت أدين لها على وجه التحديد بالمسكن الذى أعيش فيه والطعام الذى يوجد فى معدتى والملابس التى أرتديها . وفى مقابل كل تلك التضحيات كانت تنتظر منى احترامها وطاعتها وتوفير جو من السكينة والهدوء . كما كانت تدرك أننى المسئول الوحيد عن إيجاد ما يشغل وقت فراغى وإنجاز فروضى المدرسية . وقد قبلت تحمل هذه المسئولية .

وهكذا نشأت وأنا أشعر بأننى ممتن لكل ما تفعله أمى من أجلى . وعلى العكس من ذلك ، ينشأ أطفال اليوم وهم يعتقدون أن أمهاتهم مدينات لهم بشىء ما . ولأن العلاقة بين الأم وطفلهما قد انقلبت رأساً على عقب على مدار الأربعين عاماً المنصرمة ، فإن طفل اليوم على وشك أن يصبح مشاكساً وكثير الطلبات وناكراً للجميل . وللأسف ، فكلما زادت طلبات الطفل وسلوكياته السيئة ، شعرت أمه أنها مقصرة فى حقه . وهكذا تظل الأمهات وأطفالهن يدورون بداخل هذه الدائرة المفرغة .

إن ما تحتاجه الولايات المتحدة حقاً هى حركة أخرى لتحرير المرأة . ولكن فى هذه المرة لا يجب على النساء حرق ملابسهن وإنما حرق سياراتهن .

١ ديسمبر

من المهم أن يوجد حد فاصل بين عالم الكبار وعالم الأطفال . بعبارة أخرى ، يجب أن يتآلف الكبار مع بعضهم البعض ويكونوا عالماً خاصاً بهم لا يشمل الأطفال ، وبالمثل يجب أن يُكون الأطفال عالماً خاصاً بهم لا يشمل الكبار . فكلما زاد تدخل الكبار فى شئون الأطفال زاد تدخل الأطفال فى شئون الكبار وأصبح من الصعب على البالغين تمييز أنفسهم عن الصغار . إن البالغين الذى يعجزون عن فصل عالمهم عن عالم الصغار إنما يدمرون ببساطة ما يحصدونه ـ فلا يستطيع أطفالهم توجيه الانتباه لهم ويتعلمون كيف يتلاعبون بهم بدلاً من احترامهم . وللأسف ، فإن فشل المزارع فى صلب عود إحدى الشجيرات فسوف تعانى تلك الشجيرة فى المستقبل أكثر من المزارع .

٢ ديسمبر

إحدى الخرافات التى تقوض استخدام عبارة " لأننى قلت هذا " تقرر أنها تطفئ جمرة الفضول وتحول دون تعلم الأطفال حق مساءلة السلطات . ولكن دعنى أؤكد لك أنه لا يوجد أى دليل يلقى ولو ببصيص من المصداقية على تلك الخرافة السخيفة . وأنا واثق تمام الثقة من أن آباء الكثير من المشاهير - مثل " جورج واشنطن " و " توماس جيفرسون " و " مارتن لوثر كينج " و " المهاتما غاندى " و " روزا باركس " و " مارى كورى " و " بوكر تى . واشنطن " و " لويس باستور " و " تشك يدجر " و " ألبرت أينشتاين " - كانوا يصرون على انصياع أطفالهم لأوامرهم والتى لا يعللونها سوى بعبارة " لأننى قلت هذا " . ومع ذلك فقد اتسم جميعهم بالفضول وقاموا باستجواب السلطات (أو قاموا بتحدى أعراف من نوع أو آخر ظلت راسخة فترة طويلة فى مجتمعاتهم . علاوة على ذلك ، فهنالك الكثير من الأدلة التى تؤكد أن سمتى الفضول والإقدام على المخاطرات (والضروريتين فى استجواب السلطات) من السمات الفطرية غير المكتسبة . وإن كان الطفل يولد فعلاً بمثل هذه السمات فمما لا شك فيه أن ما يتلقاه من تعليم فى السنوات الأولى من حياته إما يعمل على صقل أو تقويض هذه السمات . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل سيقوم الآباء بصقل تلك السمات الفطرية لدى أطفالهم (كما فعل آباء المشاهير الواردة أسماؤهم أعلاه) أم لا ؟ وفى الحالة الأخيرة قد تتطور هذه السمات لتأخذ شكل سلوك خطير ومدمر للذات وثورى دون وجود ما يستدعى ذلك . وما يتلقاه الطفل من تعليم فى سنوات حياته الأولى - أو بمعنى آخر أسلوب تربيته - يسهم بالتأكيد فى ظهور مثل تلك المحصلة . وبإمكانى الجزم بأن الأطفال شديدى الفضول فى حاجة إلى سماع عبارة " لأننى قلت ذلك " تماماً مثل - إن لم يكن أكثر من - الأطفال الذين لا يتملكهم هذا القدر من الفضول .

٣ ديسمبر

في أثناء استضافتي في إحدى المحطات الإذاعية القومية ،أشار المذيع إلى أنه لم يسمعني قط أتحدث عن مدى " روعة " الأبوة ، ثم سألني إن كنت قد استمتعت بكوني أباً أم لا .

فأجبته : " لا " . فأنا لم أستمتع بكوني أباً ، على الأقل ليس في جميع الأوقات . عندما أتأمل السنوات الماضية ، أتذكر بالطبع قدراً لا بأس به من اللحظات السعيدة ولكنها كانت الاستثناء وليس القاعدة . فقد كانت القاعدة بلا شك هي الملل وعدم السعادة ، ومثل تلك الأوقات لم تكن ممتعة بالنسبة لي . فدائماً ما كنت أنظر للأبوة على أنها مسئولية وعبء وليست ساحة من المفترض أن أمضي بها أوقاتاً سعيدة . وقد حباني الله أنا وزوجتي بطفلين وألقى على كاهلنا مسئولية حسن رعايتهما وليس قضاء وقت سعيد . ومع ذلك فقد حظينا بنصيبنا من المتعة ، والتي كانت متعة حقيقية وليست مصطنعة كتلك التي حظي بها العديد من الأسر الأخرى .

من المحزن حقاً أن آباء اليوم يؤمنون أن الأبوة ـ إن كانت ناجحة ـ عبارة عن لحظات متواصلة من المتعة والسعادة . إن الأبوة ليست تجربة رومانسية كما أنها ليست عملاً بطولياً . ونحن نعرف فقط إن كنا قد نجحنا في مهمتنا كآباء أم لا حينما يكبر أطفالنا ويستقلون بحياتهم . والآباء الذين يعتقدون أن تربية الأطفال لابد أن تكون ممتعة إنما يعدون أنفسهم للوقوع في شرك الإحباط . فبدلاً من الشعور بالنجاح سوف يشعرون في الغالب بكثير من الإحباط والقلق والغضب والذنب . إذن تشبه الأبوة أي عمل آخر تقوم به في حياتك . فإن كنت تعقد على وظيفتك آمالاً غير واقعية فسينتهي بك الحال كارهاً لهذه الوظيفة . أما إن اتسمت آمالك بالواقعية فسوف تستطيع أن تحتفظ بروح الدعابة حينما لا تسير الأمور كما خططت لها . صدقني ، سوف تضحك أكثر إذا تخليت عن الاعتقاد القائل بنشوة الأبوة .

٤ ديسمبر

" توحى الفطرة السليمة بأنه من الأفضل بوجه عام أن يعيش الطفل مع كلا والديه على أن يعيش مع والد واحد " . ولكن عبارة " **بوجه عام** " هى الفاصلة فى الجملة السابقة . فتوحى الفطرة السليمة أيضاً أنه من الأفضل أن ينشأ الطفل فى جو أسرى يبعث على السلام النفسى وخال من الضغوط على أن ينشأ فى منزل مشحون بالأزمات والنزاعات . فإن لم تنجح إحدى الزيجات ، فهذا بالطبع أمر مؤسف ، ولكن ليس من الضرورى أن يترك ذلك أثراً سلبياً على الأطفال . فكما أثبتت والدتى ، فإن أحد الوالدين بإمكانه تربية أطفال سعداء وأصحاء تماماً مثل وجود أبوين . ولكن لا ينبغى للأب المعيل أن يحاول لعب دور الأب والأم فى الوقت ذاته ، فهو لن يستطيع ذلك . ولكن بإمكانه أن يتمتع بمزيد من الحيوية يلقى بظلالها على أطفاله . وتلك المهمة لا يصعب على شخص واحد القيام بها إذا ما كان بإمكان هذا الشخص تحمل عبئها .

٥ ديسمبر

من الأشياء التى استحدثت على التعليم الحكومى فى فترة الثمانينات ظهور معايير تعليمية جديدة تماماً ، والتى يدعى مناصروها أن أفضل طريقة طبيعية يتعلم بها الأطفال القراءة والكتابة هى المحاولة والخطأ . وعلى أية حال ـ كما يجادلون ـ فالأطفال يتعلمون التحدث دون أن يعلمهم أحد القواعد الأساسية للكلام ، لذا فنفس الشيء يجب تطبيقه على تعلم القراءة وما إلى ذلك . كما يؤكدون أنه لا داعى لعلم الصوتيات ، بل إن بعضهم تمادى وقال إن تعلم هذه المادة أشبه بالمرور بتجربة سلبية تجعل الأطفال يبغضون القراءة . ولكن لا تنس أنه حينما كانت الصوتيات تدرس ضمن منهج القراءة ، فإن عدد التلاميذ الذين كانوا يعانون من صعوبات فى القراءة كان أقل كثيراً من عددهم اليوم . وفى هذا السياق ، يتضح أن ادعاءات أنصار هذه المعايير ما هى إلا مثال آخر على فشل محاكاة المهاترات للواقع .

ولكن لا تعتقد أننى المناهض الوحيد لهذا النهج الجديد . ففى شهر يوليو من عام ١٩٩٥ قام أربعون أستاذاً للغويات وعلم نفس اللغة من كليتى " هارفارد " و " ماساشوسيتس " للتكنولوجيا وجامعة " نورث إيسترن " وجامعات " ماساشوستيس " و " برانديز " و " بوسطن " بإرسال خطاب إلى مفوض التعليم عن جامعة " ماساشوسيتس " ينتقدون فيه بشدة عزم الولاية على تفعيل تلك المعايير الجديدة فى النظام التعليمى .

وقد علل هؤلاء الأساتذة رفضهم لتلك المعايير بأنها لا ترتكز على أسس علمية سليمة . وقد اتهموا أنصار هذه المعايير بأنهم يستخفون بطبيعة كتابة اللغة فى حين أنها أحد أهم عناصر اللغة الإنجليزية المكتوبة . إن هذه المعايير ـ كما يوضحون ـ تعتمد فى مجملها على وجهة نظر خاطئة بخصوص طريقة استخدام الإنسان للغة ، والتى تتناقض مع معظم الاستكشافات العلمية الكبرى فى مجالى اللغويات وعلم نفس اللغة على مدار أكثر من مائة عام .

لذا مع كل احترامى لجميع رجال التعليم المناصرين للمعايير الجديدة فى التعليم ، فيسعدنى أن بلغكم أن أيام هذه المعايير أصبحت معدودة .

٦ ديسمبر

فيما يبدو أن العديد من الآباء يستاءون حينما ينخرط أبناؤهم فى إحدى نوبات الغضب ، ولكنهم من ناحية أخرى يعزفون عن اتخاذ الإجراء المناسب لإيقاف هذا السلوك . إن بعض الآباء يخشون ـ بل قد يتملكهم الفزع من ـ نوبات غضب أطفالهم ، سواء كانت صادرة عن طفل فى العامين يلقى بنفسه على الأرض ويزبد من فمه ، أو صبى فى السادسة عشرة من عمره يظل يصول ويجول صافقاً الأبواب ومتلفظاً بسيل من العبارات البذيئة . فلا يجد هؤلاء الآباء بداً من الاستسلام .

وعند سؤالهم : " لماذا تستسلمون أمام هذه الحماقات ؟ " يقولون : " لأنه من الأسهل الاستسلام " .

نعم بالفعل ، إنه الحل الأسهل ولكن فقط على المدى القصير . فالاستسلام يعالج المشكلة السطحية فقط ، فهو يخمد نوبة الغضب . ولكن للأسف ، فكلما استسلم الآباء لنوبات غضب أطفالهم ، ازدادت تلك النوبات سوءاً . ففى كل مرة يستسلم فيها الأبوان لإحدى النوبات يضمنون بذلك حدوث خمسين نوبة أخرى على الأقل فيما بعد .

٧ ديسمبر

عندما يسيء طفلك السلوك لابد من اتخاذ بعض الإجراءات الفاعلة ، والعقاب ما هو إلا أحد الخيارات المتاحة . والإجراءات الأخرى تشمل التعنيف الحازم (ولكن الهادئ) ، والحوار المفتوح الذى يتناول أسباب انتهاج مثل هذا السلوك وكيفية تفاديه فى المستقبل ، أو حتى مجرد إيماءة بسيطة مصحوبة بعبارة مختصرة توحى بعدم استحسانك لسلوك طفلك ، مثل " أعلم أنك أقحمت نفسك فى المشاكل فى المدرسة اليوم وأحب أن أوضح لك أننى غير راض عن ذلك " .

والإجراء الذى تختاره يجب أن يخضع لعدد من المعايير مثل عمر الطفل ، وطبيعة السلوك الذى انتهجه ـ سواء كان شديد السوء أم لا ـ وحالة الطفل النفسية وإن كان الطفل يرتكب هذا الخطأ على الملأ أم فى المنزل فقط . وليس من الضرورى أن تزيد من حدة العقوبة كلما كان سلوك طفلك سافراً . ففى الواقع يكون من الأفضل فى بعض الأحيان أن تعالج أكثر المشاكل خطورة بأكثر الطرق هدوءاً . وبالمثل ، فقد يكون من الأجدى أن تنزل على طفلك عقوبة صارمة لانتهاجه سلوكاً ليس شديد السوء ولكنه يتكرر كثيراً .

٨ ديسمبر

بعدما انتهيت من إلقاء إحدى المحاضرات فى " ألبوكوروكو " فى " نيو مكسيكو " أرسل لى أحد المضيفين إحدى القصاصات من الجريدة المحلية كانت عبارة عن إعلان عن " أحدث الصيحات " فى مجال برامج التربية . وأنا لا أستطيع ذكر اسم البرنامج ولكن يكفى أن أشير إلى أن ما لفت نظرى فى هذا الإعلان هو عنوانه والذى يقول : " الأطفال زهور وليسوا أعشاباً ضارة " .

من الجميل حقاً أن نصف الأطفال بأنهم زهور - وليسوا أعشاباً ضارة - أليس كذلك ؟ لكن المشكلة أن هذه العبارة ليس لها أى معنى على الإطلاق كما أن القياس بأكمله خاطئ .

فالأطفال ليسوا زهوراً ، كما أنهم ليسوا أعشاباً ضارة أيضاً . فالحقيقة هى أن الأطفال هم كائنات برية تحتاج للترويض الدائم عسى أن يفلت زمامهم وتصبح السيطرة عليهم مستحيلة . إنهم متمركزون حول أنفسهم وأغبياء وغير اجتماعيين وغير متحضرين ، وإذا ما تركوا لأهوائهم فسوف يتصرفون بأنانية شديدة وقسوة . إن كاتب هذا الإعلان الرقيق الذى ينبض بالرومانسية لابد أن يعاقب حتى يعلن عن ندمه عما فعل عن طريق إجباره على قراءة رواية " **Lord of the Flies** " للكاتب " ويليام جولدينج " .

والأمر لا يتعلق بكون الأطفال محبوبين ، فالفارق كبير بين حب الأطفال والتفضل عليهم ، وعندما نصف الأطفال بأنهم زهور فإننا بذلك نتفضل عليهم وبالتالى لا نحترمهم . وليس فى إمكاننا حب الأطفال بصدق واحترام إلا حينما نتعرف على الحقائق التالية :

حقيقة : من طبيعة الأطفال ارتكاب الأخطاء .

حقيقة : ارتكاب الأطفال للأخطاء أمر فطرى ، ناتج عن كونهم بشراً جاءوا إلى الدنيا بإرادة حرة فى رؤوسهم وغباء فى قلوبهم .

حقيقة : لأن الأطفال يشتركون فى نفس نقائص الكبار - وليس لهم نقائص خاصة بهم - فهم يتلقون كماً كبيراً من الحب غير المشروط .

إن مدح الأطفال الواقعى غير المغلف بالعاطفة ضرورى للغاية ليس فقط لكى نعبر عن مدى حبنا واحترامنا لهم ، ولكن لكى ننجح فى مهمة تهذيبهم . فأنت كوالد إن لم تستطع أن ترى طفلك بشفافية فسوف تفقدك أفعاله توازنك ، وبالتالى لن تستطيع تهذيبه بفاعلية .

٩ ديسمبر

قام هذا الجيل بعمل رائع حينما جعلوا أطفالهم يشاركونهم فى مستوى معيشتهم - ولكنهم أغفلوا أمراً مهماً وهو أنهم سلبوهم بذلك حق تعلم المهارات الضرورية للوصول لهذا المستوى بأنفسهم . ونتيجة لذلك ، يكبر العديد من الأطفال وهم يعتقدون أن شخصاً آخر هو المسئول عن تلبية رغباتهم واحتياجاتهم . ولأن هؤلاء الأطفال لا يتحملون قط مسئولية توفير حياة رغدة لأنفسهم ، فإنهم على الأرجح سيمضون فى الحياة وفى اعتقادهم أن أشخاصاً آخرين مسئولون عن تحقيق السعادة لهم كما أنهم لا يعترفون بأخطائهم . وللأسف - كما نعرف جميعاً - فالشخص الذى يفشل فى تحقيق السعادة لنفسه لن يشعر قط بالسعادة الحقيقية . والمفارقة هى : كلما حاول الآباء إسعاد أطفالهم ، زادت فرص شعورهم بمزيد من البؤس فى المستقبل .

١٠ ديسمبر

يشعر آباء هذا الجيل وكأنهم ملزمون بتبرير تصرفاتهم لأطفالهم ، علاوة على ذلك ، فهم يؤمنون بضرورة استساغة أطفالهم لهذه المبررات .

وبالتالى ، تجد خيوط الاستجداء والإقناع وحتى الاعتذار تتسلل إلى تبريراتهم . وما دفع الآباء لتبنى مثل هذا السلوك هو انتشار الفكرة السخيفة القائلة بأن الآباء ليس لديهم أى حق فى فرض أى قرار على أطفالهم إلا إذا : (١) أثبتوا أولاً أنهم اتخذوا هذا القرار بناء على حجج وبراهين واضحة وليس بناء على أهوائهم الشخصية . (٢) كان باستطاعة الأبناء استيعاب هذه الحجج . (٣) وافق الأطفال عليها .

الآن فلتنصت إلىّ جيداً : **أنا لا أقول إنه لا يجب على الآباء قط تبرير قراراتهم لأطفالهم** ، ولكننى فقط أرى أنه لا ينبغى على الآباء التحدث بالمنطق مع أطفالهم ، والفارق بين هذا وذلك كالفارق بين الليل والنهار . إن التبرير باستخدام الحجج والمنطق يعنى محاولة إقناع طفلك بأن وجهة نظرك صائبة . لكن الحقيقة ببساطة هى أن الأطفال لن يفهموا وجهات نظر البالغين إلا حينما يصبحون بالغين ، وليس قبل ذلك . لذا مهما قلت فلن يقدر طفلك وجهة نظرك .

أما إذا أردت أن تبرر أحد قراراتك ، فلا تتردد وقم بذلك ، ولكن لا تتوقع من طفلك أن يوافقك الرأى . وعندما يفعل ذلك ، قل له : " أنا لا أنتظر موافقتك على هذا الأمر ، فلو كنت مكانك وفى نفس سنك لاعترضت أيضاً . ولك مطلق الحرية فى أن تختلف معى ولكنك لا تملك سوى الطاعة " .

بمعنى آخر ، ينصاع الطفل لأوامرك ليس لأنك نجحت فى تبريرها له ولكن لأنك فقط أمرت بها . أترى ، فحتى حينما تقدم مبررات تظل الخلاصة هى " لأننى قلت ذلك " .

١١ ديسمبر

إن الآباء الذين يضربون أطفالهم كثيراً يقومون بذلك لأنهم يعتقدون أن الضرب فى حد ذاته أسلوب تربوى صحيح ـ وأن الألم الناتج عن الضرب كاف لإقناع الطفل ألا يسىء السلوك بهذا الشكل مجدداً . وقد أثبتت الأدلة عكس ذلك تماماً ؛ فضرب الأطفال بكثرة لا يمنعهم من إساءة السلوك . فالضرب لا يجعل الأطفال فقط يكثرون من إساءة السلوك ولكنه يجعلهم أكثر مكراً وخباثة . بعبارة أخرى ، إنهم يتعلمون كيفية الإفلات بتصرفاتهم . وفى النهاية ، تضحى عملية الإفلات بسلوكياتهم السيئة بمثابة لعبة بالنسبة لهم ويبدأون فى وضع أهداف أكبر وأكبر لأنفسهم . فيصبح أكبر هدف فى حياتهم هو : كيف يمكنني الإفلات بفعلتى فى المرة القادمة ؟ وفى الوقت ذاته ، يعمد آباؤهم إلى ضربهم أكثر وأكثر فى حين أن تأثير هذا الضرب يكون أقل فأقل . وفى النهاية يستسلم الآباء قائلين : " لا يجدى شىء معه " . وهم محقون تماماً ! فالآن ـ مع الأسف ـ جاء دور المجتمع لتهذيب الطفل ، والمجتمع لم يسبق له قط أن أدى هذه المهمة بنجاح . لذا ، فلا تحاول بأى حال من الأحوال أن تكثر من استخدام هذا الأسلوب .

١٢ ديسمبر

الأمهات المعيلات هن الأكثر وقوعاً فى " فخ الأب المعيل " من الآباء المعيلين . فهناك الكثير من الأسباب التى تجعل الأمهات على وجه التحديد أكثر إهمالاً فى تلبية احتياجاتهن من أجل الإيفاء بمطالب أبنائهن . والأمهات أيضاً عادة ما يجدن صعوبة فى التمييز بين احتياجات أطفالهن الحقيقية وطلباتهم . فحينما تحصل الأم على حضانة أطفالها ـ كما يحدث فى معظم الأحوال ـ تشعر بأنها مسئولة عن تعويضهم عن غياب والدهم . وهكذا فإنها تقع فى شرك المبالغة فى تدليل وحماية أطفالها ، وينتهى بها الأمر باستنفاد مواردها العاطفية .

انظرى إلى الأمر بهذه الطريقة : إن فاقد الشىء لا يعطيه . إن هؤلاء الأمهات بدلاً من أن يعتنين بأنفسهن جيداً ليحافظن على مخزونهن العاطفى ، يشعرن بأنهن ملزمات بالتخلى عن احتياجاتهن من أجل تلبية احتياجات أطفالهن . وفى النهاية ، تنهار مقدرة الأم على مواصلة العطاء وتصب نار إحباطها على أطفالها ـ وبعد ذلك تشعر بالذنب . وعند ذلك الحد ، تشعر بأنها مضطرة لفعل شىء ما لأطفالها كى تعوضهم عما صدر منها .

ثم تبدأ إعادة الكرَّه من جديد .

١٣ ديسمبر

فى حالة الطفل الذى لا يسىء السلوك كثيراً ، يكفى عقابه بحبسه فى دورة المياه أو فى ركن منعزل لمدة دقائق معدودة كتأكيد على قاعدة ما أو على سلطة والديه . لكن على الجانب الآخر ، لن يجدى على الأرجح استخدام نفس هذا الأسلوب مع الطفل العنيد صعب المراس حيث إنه سيكتسب سريعاً " مناعة " ضده . إن مثل هذا الأسلوب قد يكون فعالاً فى البداية لتقويض السلوك السيئ للطفل ، ولكن بعد انقضاء فترة قصيرة يصبح عديم الفاعلية . فيصبح الطفل على أتم استعداد كى يدفع ثمن فعلته بقضاء بضع دقائق على كرسى منعزل من أجل أن يكون محور اهتمام جميع أفراد الأسرة .

إن الوقت المستقطع فى حد ذاته من أساليب التهذيب الضعيفة . وكلما كان سلوك الطفل سافراً ، أصبح نظام الوقت المستقطع أقل فاعلية . فيجب أن تستخدم مع طفلك شديد العناد أسلوباً تهذيبياً رادعاً (وليس مؤلماً) ، فأى أسلوب آخر لن يجدى معه نفعاً . والإخصائيون عادة ما يعزفون عن نصح الآباء باستخدام مثل هذه العقوبات الرادعة لأنها تصيب الأطفال بالإحباط وبالتالى (كما يفترضون) تهز ثقتهم بأنفسهم . لكن ما لم يولد سلوك الطفل السيئ ألماً وبؤساً داخل نفس الطفل أكثر مما يولد داخل نفس والديه ، فلن يتوافر للطفل أى سبب لتغيير سلوكه .

١٤ ديسمبر

بإمكان الأجداد دوماً التخفيف من وطأة القواعد التى يضعها الآباء قليلاً دون التقليل من شأنهم أو شأن القيم التى يحاولون غرسها فى أطفالهم . فباستخدام أسلوب المحاولة والخطأ ، اكتشفت أنا وزوجتى أن أفضل سياسة يمكن للأجداد انتهاجها هى : " عندما تكون فى روما فلتفعل مثلما يفعل الرومان ، وعندما يأتيك الرومان فلتفعل مثلما يفعل الرومان " . بعبارة أخرى ، لا تحاول أن تمنع الأجداد من تدليل أحفادهم . فلا داعى على الإطلاق لأن تدع أمراً سخيفاً كهذا يفسد تجمع الأسرة ، وخاصة إن كانت لا تتجمع كثيراً .

١٥ ديسمبر

يعتقد آباء اليوم أن تركهم لأطفالهم يقعون مباشرة على وجوههم فى حين كان بإمكانهم الحيلولة دون وقوع ذلك لا يعد فقط أمراً ينم عن عدم المسئولية ولكنه قاس أيضاً . فالآباء ممن يشعرون أنهم مسئولون عن أخطاء أطفالهم يبذلون قصارى جهدهم لمنع أبنائهم من ارتكاب أخطاء .

والآباء بهذه الطريقة يظلون يحومون حول أطفالهم ، وكأنهم يركبون طوافة ويحلقون بها فوق رؤوس أبنائهم ، غير مدركين أن أطفالهم بذلك لن يتعلموا قط تحمل مسئولية أفعالهم . لماذا ؟ لأن آباءهم قد أزاحوا عبء تحمل أية مسئولية من على عاتقهم . ولكن المسئولية ليست هى الشىء الوحيد الذى يوجد على المحك هنا ، حيث إن العملية التعليمية بأكملها فى خطر .

فالطفل يتعلم كل شىء تقريباً عن طريق المحاولة والخطأ . وإذا اعترضت طريق ارتكاب الطفل لأى خطأ ، فإنك تعترض أيضاً طريق تعلمه أى شىء . فعن طريق ارتكاب الأخطاء ، يتعلم الإنسان التمييز بين الطرق ذات الفاعلية وغيرها . وفى النهاية ، وبعد الفشل المبدئى ينجح المتعلم فى صقل مهاراته وإتقان ما أخطأ فيه من قبل . لذا فإن تراجع الآباء وإتاحتهم مساحة لأطفالهم لارتكاب أخطاء - مع دعمهم ولكن بدون تدخل - يتيح للأطفال الفرصة لتنمية مهاراتهم الخلاقة والبديهية والفعالة فى حل المشكلات . كما أنه يعلم الأطفال كذلك كيفية التغلب على الشعور بالإحباط المصاحب لتملك أى مهارة - سواء اجتماعية أو أكاديمية أو عاطفية ، إلخ . وبهذه الطريقة يتعلم الأطفال المثابرة ، والمثابرة كما نعرف جميعاً هى المكون الأساسى لأية قصة نجاح .

وملخص ما سبق هو الآتى : إذا ما كنت تريد أن يتعلم طفلك كيف يقف وحده على قدميه ، فيجب أن تدعه فى بعض الأحيان يتعثر ويسقط على وجهه .

١٦ ديسمبر

على عكس ما يدعيه المتخصصون ، فقد كانت الأسر الأمريكية تبلى بلاءً حسناً حينما كان الزوج هو العائل الرئيسى للأسرة وكانت الزوجة ترعى الأطفال فى المنزل (لا داعى لأن أؤكد أننى أتحدث بصفة عامة) . فيما مضى كان الزوج والزوجة يقتسمان بكل بساطة مسئولياتهما . ولكن للأسف فبمرور الوقت أدى هذا التقسيم إلى ظهور طبقة مغلوبة على أمرها من النساء . وبدأنا نخلط بين ما كانت المرأة تقوم به وما لم تكن تقوم به ، وما كان باستطاعتها فعله وما لم يكن باستطاعتها فعله . وقد عمل هذا الخلط على ضخ الأدرينالين فى رؤوس أنصار حركة تحرير المرأة الجديدة ووفر لهم فرصة مثالية كى يقنعوا النساء الأمريكيات بأنهن كنُّ طبقة من الضحايا . ووفقاً لادعاءات هذه الحركة ، فإن المرأة لن تصبح كاملة قط وبالتالى لن تتحرر إذا ما ظلت تعتبر أن دورها الرئيسى فى الحياة هو أن تكون ربة منزل . وهكذا ، بدأت النظرة الحضارية المتدنية للمرأة التى تهب نفسها لزوجها وأولادها . وبمجرد أن تغلغلت تلك الأفكار الهدامة للأسر فى عقول النساء وبدأن على إثرها فى إلحاق أطفالهن بدور الرعاية ودخلن فى سوق العمل ، بدأ حال الأسرة الأمريكية فى الانحدار والتدهور . دعنا نصوغ الأمر بطريقة أخرى : منذ ثلاثين عاماً وحال الأسرة الأمريكية آخذ فى " التغيير " . وهذا يعنى أنه منذ ثلاثة عقود والأسر الأمريكية فى حالة انهيار ويتدهور حالها من الأضعف للأضعف . وكما نعرف جميعاً فإن انهيار الأسرة من انهيار المجتمع . باختصار ، لن تستطيع الولايات المتحدة الحفاظ على قوتها إلا إذا نجحت أسرها فى الحفاظ على صلابتها . واستعادة صحة الأسرة الأمريكية لا دخل له بزيادة أو خفض الضرائب أو تفعيل أو إلغاء أحد البرامج الحكومية ، إنما يرتبط بشكل وثيق بإعادة إحياء وتأكيد القيم الأسرية التقليدية والتى كانت تمثل ذات يوم العمود الفقرى لهذه البلدة منذ نشأتها .

١٧ ديسمبر

من أجل التعبير عن مدى حبهن لأطفالهن وعزمهن على إتقان أدوارهن كأمهات ، تتخلى النساء اليوم ـ بمجرد أن يصبحن أمهات ـ عن معظم إن لم يكن كل اهتماماتهن ومتطلباتهن وهوياتهن التى كانت فيما مضيٍ تشغل أوقات فراغهن وتجلب إليهن السعادة . وتعد مثل هذه التضحية جزءاً لا يتجزأ مما أطلق عليه عدم قدرة الأمهات الأمريكيات على التوقف عن ممارسة أدوارهن كأمهات . فهن إن توقفن عن العناية بأطفالهن ولو لفترة قصيرة يشعرن بالذنب وضرورة التضحية بشىء إضافى للتكفير عن خطيئتهن .

أما الرجال على الجانب الآخر فلا يقلعون عن ممارسة هواية الصيد أو الجولف ، إلخ حينما يصبحون آباء . وأنا لا أنصحهم بالقيام بذلك ، لكنى أنصح جميع الأمهات بأن يذهبن مع أزواجهن لممارسة الجولف ويتركن الأطفال بصحبة الجليسة !

١٨ ديسمبر

لم يستغرق منى الأمر الكثير من الوقت حتى أدرك أن إحدى مهام الأجداد هى التظاهر دوماً بأن الطفل لا يمكن أن يصدر عنه شىء يزعج من حوله . فالآباء عادة ما يثورون على أتفه الأسباب ويبالغون فى ردود أفعالهم تجاه أشياء اعتاد الأطفال القيام بها منذ قديم الأزل . إن الأجداد يسدون الآباء (وأحفادهم كذلك) صنيعاً كبيراً بتخفيف حدة التوتر بينهم وبين أطفالهم . ولهذا السبب من المعروف عن الأجداد ترديد مثل هذه العبارات " إنه مجرد طفل " و " يا إلهى ، أتذكر أنك حينما كنت طفلاً كنت تنتهج نفس هذا السلوك ، وهو لم يؤثر سلباً فيك ، أليس كذلك ؟ " إذن فإحدى مهام الأجداد الأساسية هى حفظ السلام .

فعندما يفقد الآباء السيطرة على أنفسهم ، يأتى دور الأجداد لتهدئتهم . فالأجداد يعلمون أن باستطاعة الآباء ـ سواء أدركوا هذا أم لا ـ التعامل بنجاح مع أى سلوك يصدر عن الطفل . فلأنهم خاضوا هذه التجربة من قبل ، يدرك الأجداد أنه لا يوجد ما يمكن أن يخشاه الآباء بالنسبة للأطفال وسلوكياتهم .

عادة ما يسألنى الناس : " متى ستكف عن إسداء النصح " ، وأجيبهم دوماً : " لن أتوقف أبداً " . فمن المفترض بالنسبة للأجداد أن يقدموا النصائح حتى لو تحايلوا فى تقديمها . ولكنهم يجب أن يتحلوا بالفطنة كى يخدعوا الآباء ويحملوهم على اتخاذ القرارات السليمة دون أن يجعلوهم يشعرون أنهم تعرضوا للخداع . وسواء كانت المشكلة خاصة بالمال أو التهذيب أو التعليم أو الأنشطة الترفيهية ، فإن أفضل الأجداد هم من يعملون حكمتهم وخبرتهم للتأثير على الآباء عن بعد دون أن يشعروهم أنهم يتلقون أوامر منهم .

على سبيل المثال ، لا يقول أبداً أى جد يتسم بالحكمة : " حسناً ، أعتقد أن الطريقة المثلى للقيام بهذا الأمر هى .. " ، ولكنه بدلاً من ذلك يروى قصة طريفة عن حادثة مشابهة من منطلق خبرته كوالد . وفى ذلك الحين يضحك الآباء ويقومون بما يريده منهم الأجداد تماماً دون أن يدركوا أنهم مجرد عرائس تحركها أيدى أناس محنكين .

١٩ ديسمبر

هناك العديد من التحذيرات التى أود أن أوجهها للآباء ممن لم ينجبوا سوى طفل واحد :

أولاً ، لأن هؤلاء الآباء يضعون كل ما يملكون من بيض فى سلة واحدة ، يتلقى أطفالهم مزيداً من الاهتمام والهدايا مقارنة بالأطفال الآخرين ممن لديهم إخوة وأخوات . وهذا الاهتمام المبالغ فيه بالطفل يفسده ويجعله ينتهج نفس سلوكيات الطفل " المدلل " - إبداء رغبات غير منطقية وعمل أى شىء لجذب الانتباه والانخراط فى نوبات من الغضب وعدم احترام الآخرين أو طاعتهم .

ثانياً ، نتيجة لاشتراك الطفل فى العديد من أنشطة الكبار يبدأ فى النظر إلى علاقة والديه على أنها علاقة ثانوية ويعتقد أنه هو محور الأسرة . ومثل هذه الأسر تجعل من الصعب - بل من المستحيل - بالنسبة للطفل أن يتعلم كيف يخرج من شرنقة محورية الذات . علاوة على ذلك فعندما يعامل الآباء أطفالهم كأنداد لهم ، يلاقون مزيداً من الصعوبة فى تأكيد سلطتهم . فضلاً عن ذلك ، فلأن الحد الفاصل بين الطفل وزواج والديه يشوبه الغموض ، فهذا الطفل على الأرجح سوف يفشل فى إيجاد معنى واضح لهويته .

إن الجو المشحون الذى عادة ما يميز علاقة الأشقاء ببعضهم البعض يساعد كلاً منهم على تعلم مهارات المشاركة وتسوية الخلافات . والطفل الوحيد هو الذى يلاقى على الأرجح صعوبة فى تعلم مثل هذه المهارات . فهو عندما يكون بصحبة غيره من الأطفال ينزع إلى التصرف بأنانية ويأبى أن يشاركه أحد متعلقاته ويرغب أن يسير كل شىء حسب هواه هو . ومثل تلك المشكلات تزداد حدة وسوءاً باشتراك هذا الطفل فى الكثير من أنشطة البالغين ، حيث إنه بذلك ينجح فى الاندماج مع الكبار أكثر من أقرانه . وبالتالى ، يعرف الطفل الوحيد بين أقرانه على أنه متسلط ويدعى أنه عالم بكل شىء .

لكن هناك بعض الإجراءات البسيطة التى من شأنها أن تحول دون وقوع مثل هذه المشكلات :

- فلتجعل من زواجك محور أسرتك وليس طفلك .
- قلل قدر الإمكان من اشتراك طفلك فى أنشطة البالغين .
- لا تلحق طفلك بإحدى دور الرعاية قبل أن يتم الثالثة على الأقل .
- تجنب أن تغمر طفلك بالاهتمام الزائد أو الهدايا الكثيرة .

٢٠ ديسمبر

لقد تحولت تربية الأطفال اليوم إلى علم يقوم على أسس نفسية وفكرية يظن الناس أنهم بحاجة لقدح زناد فكرهم للقيام بها على النحو السليم . ولكن من الممكن أن نصف التربية بأى شىء بخلاف أنها تجربة فكرية . فى الواقع ، كلما قدحت زناد فكرك لتنجح فى تربية أطفالك وجدت نفسك ضائعاً فى وسط الأشجار غافلاً الغابة نفسها .

إن أساليب التربية السليمة لا تنبثق فى الأساس من الرأس بل من القلب والفطرة السليمة . فأنت لا تحتاج إلى التفكير طويلاً حتى تستطيع تربية طفلك بنجاح وإنما تحتاج أن تستشعر احتياجاتك واحتياجات طفلك وتكون أكثر ثقة فى فطرتك . والآباء ممن يفكرون كثيراً غالباً ما يرددون عبارات مثل : " إن تربية طفل هى أصعب شىء قمنا به " . وأنا أعى ذلك تماماً ، لأننى كنت أعتقد ذلك أيضاً . ولكننى توقفت عن التفكير فى ذلك الأمر كثيراً ، وتوقفت عن البحث فى التفاصيل الصغيرة ، وتوقفت عن القلق عما إذا كان قرارى سوف يدمر حياة طفلى أم لا ، وبدأت أولى ولو حتى قدراً مماثلاً من الاهتمام الذى أوليه لأطفالى لاحتياجاتى واحتياجات زواجى . وفى ذلك الحين فقط تحولت تربية الأطفال لأمر هين وممتع نسبياً .

إن الآباء الذين يفشلون فى حمل أطفالهم على الانصياع لأوامرهم إنما يفشلون فى التوضيح لأطفالهم المكان الذى يقفون فيه والمكان الذى يريدون من أطفالهم الوقوف فيه . فلأن ما يضعونه من قواعد أو توقعات أو قرارات يشوبها التردد وقد توجد اليوم وتختفى غداً ، لا يجد أطفال مثل هؤلاء الآباء بداً من كسر قواعدهم . فبالنسبة لهؤلاء الأطفال يمثل كسر القواعد (أو إساءة السلوك) محاولة مبدئية لحمل آبائهم على تحمل المزيد من المسئولية والتمتع ببعض الحزم والثبات .

وللأسف ، فإن الوالد الذى يعجز عن فرض سلطته على أطفاله لا يدرك أن كسر طفله الدائم لقواعده ناتج عن عدم حزمه . وبالتالى تجده يلقى اللوم على طفله وينعته بصفات مثل " قوى الإرادة " و " عنيد " و " حقير " و " صعب المراس " ، إلخ . حتى إنه قد يبالغ ويفترض أنه مصاب باضطراب نقص الانتباه أو اضطراب المعارضة . ولأن تركيزه على الأشجار قد أعماه عن رؤية مشهد الغابة ، يظل هذا الوالد شاعراً بالإحباط المتواصل نتيجة لكسر طفله الدائم لقواعده . وتكون النتيجة أن تصاب علاقتهما بالتوتر ، مما يؤثر على قدرة الوالد على غمر طفله بكل مشاعر الحب التى يحملها تجاهه .

وتبدأ الأم فى الشكوى والتذمر قائلة : " يبدو الأمر وكأننى أصرخ دائماً ولا أعرف كيف أتوقف " .

إنها لا تعلم أن صراخها هذا ما هو إلا دليل على فشلها فى فرض سلطتها . فإن استطاعت هذه الأم التأكيد على سلطتها وترك طفلها يكسر القواعد (والتى سيظل يكسرها طوال فترة معينة) فسوف تستطيع الكف عن الصراخ . ولكنها إذا ظلت تثور وتجول فسوف يستمر الطفل فى كسر القواعد وتصاب هى بدورها بالإحباط وتصرخ مجدداً .

الخلاصة هى : إن كنت ترغب أن تخلق مناخاً تستطيع خلاله التعبير لطفلك عن مدى حبك له فلابد أن تفرض سلطتك عليه . فعليك أن تصلح من نفسك أولاً أيها الوالد !

٢٢ ديسمبر

كما تقول الأقوال المأثورة : " الحماقة هي جزء لا يتجزأ من قلوب الصغار " . فالأمر يستغرق من الأطفال نحو ثمانية عشر عاماً حتى ينجحوا في إزاحة قدر من الحماقة من قلوبهم يكفي لأن يجعلهم أعضاء مؤثرين في مجتمعهم . وحتى ذلك الحين ، فإن آراءهم ومشاعرهم ليست لها اعتبارات .

لا تسئ فهمي من فضلك ! فأنا لا أقصد أن البالغين لا يجب عليهم الإنصات للأطفال ، بل يتوجب علينا ذلك . فيجب أن نصغي بصبر لحماقاتهم وننتهز جميع الفرص السانحة لإذابة تلك الحماقة من قلوبهم بالتدريج وبرفق . وأنا لا أقصد أيضاً أن نتعامل مع الأطفال وكأنهم عديمو الأهمية لأنهم بالغو الأهمية . إن مشاعرهم وآراءهم لا تحمل قدراً كبيراً من الأهمية بيد أنهم أنفسهم مهمون ؛ فالأطفال هم المستقبل . لذا فمن المهم ألا نترك داخل الطفل انطباعاً بأن آراءه ومشاعره الحمقاء ذات أهمية ، وإلا فلن يسمح لتلك الحماقة بأن تتسرب من داخله بالتدريج ويأخذها بدلاً من ذلك إلى حياته كبالغ . ولا يعني ذلك أيضاً أن كل آراء الأطفال ومشاعرهم حمقاء ، بل فقط معظمها . فبين الحين والآخر يكون للطفل رأى صائب أو إحساس صادق ، ويجب التعامل مع مثل هذه المشاعر والآراء عزيزى القارئ بحرص وعناية ، فما هذا الأمر إلا جزء من عملية فصل الدقيق عن القش .

٢٣ ديسمبر

كنت أعجز دوماً عن التحدث بالمنطق مع طفليّ - اللذين كانا يتحليان بذكاء حاد - حينما كانا مراهقين . ولكنني لا أعنى بهذا أننى كنت غير قادر على توضيح وشرح أشياء بعينها لهما ، فحينما لاقى ابنى مثلاً صعوبة فى حل إحدى مسائل الجبر عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره ، استطعت أن أوضحها له وأزيح الحيرة التى كانت تساوره حيالها . ولكن بعد ذلك بعام حينما أراد أن نشترى له دراجة بخارية فشلت فى إقناعه بوجهة نظرى فى الأمر .

فقلت له : " لا داعيٍ لأن تهدر وقتك فى الحديث عن هذا الأمر يا فتى لأننا لن نشترى لك مطلقاً دراجة بخارية " .

فانتصبت كتفاه وانحنى نحو الأمام وسألنى فى منتهى الجدية : " ولم لا ؟!!! " .

قلت : " لأن قيادة الدراجات البخارية تنطوى على خطورة ، وأنت لست ناضجاً بما يكفى لتدرك حجم هذا الخطر ، ولن تصبح كذلك قبل مرور عدة سنوات " .

فارتخت أعصابه قليلاً وقال بنبرة هادئة : " كنت أعلم أنك ستقول ذلك يا أبى ، وأنا أعلم أن قيادة الدراجات البخارية تنطوى على بعض الخطورة ولكننى أعدك بتوخى الحرص " .

قلت : " اسمع يا " إريك " لو كنت مكانك لقلت نفس هذا الكلام " ، وبدون أن أنطق بكلمة أخرى استدرت وغادرت الغرفة .

الآن ، أود أن يقول لى أى شخص يعتقد أنه من الممكن التحدث بالمنطق مع المراهقين عما كان فى إمكانى أن أقوله لابنى فى هذا الموقف حتى أجعله يوافقنى الرأى ويدرك أنه لا ينبغى له بأية حال من الأحوال أن يمتلك دراجة بخارية . فكيف كان بإمكانى أن أحمله على أن يقول : " حسناً يا أبى ، الآن وبعد أن أوضحت لى وجهة نظرك أستطيع أن أرى إلى أى مدى كنت مخطئاً فى هذا الأمر ، وأوافقك الرأى الآن مائة بالمائة . أسف لأننى فكرت فى مثل هذا الأمر " .

لا ، ليس باستطاعتك إقناع مراهق بوجهة نظرك ، بل كل ما عليك فعله أن تجيب طلباته بالإيجاب أو الرفض تماماً كما تفعل مع الطفل فى أية مرحلة عمرية أخرى . وعندما يبلغ " إريك " الأربعين من عمره ويطلب منه ابنه البالغ من العمر خمسة عشر عاماً طلباً جامحاً سيدرك حينذاك لما تصرفت معه بهذه الطريقة فيما مضى . ولكن بإمكانك بالطبع أن تشرح وجهات نظرك لابنك حينما يبلغ الأربعين ـ فى معظم الأحيان .

سمعت مؤخراً أحد الإخصائيين الاجتماعيين الذى يعمل فى مجال كفالة الأطفال وهو يحدث أحد الجماهير عن مدى أهمية ترديد الآباء لأطفالهم المكفولين كلمات مثل " كفالة " و " مكفول " كثيراً فى حكايات ما قبل النوم وأغنيات الأطفال وأغانى الحضانة التى تدور حول هذا الموضوع .

لكن التحدث عن موضوع الكفالة كل يوم تقريباً غير ضرورى بالمرة شأنه فى ذلك شأن تذكير طفلك كل يوم بأنك أبوه الحقيقى . فإعطاء موضوع مثل الكفالة اهتماماً أكثر من حقه قد يولد ما أطلق عليه " أسطورة الكفالة " والاعتقاد الخاطئ بأن أية مشكلة تحدث بين الأب وابنه ترجع بطريقة ما إلى كون الابن مكفولاً .

منذ عدة سنوات مضت ، شهدت خلافات إحدى الأسر مع ابنتهم المكفولة والتى كانت فى سنوات المراهقة . وعلى الرغم من أن مشكلاتهم كانت تقليدية وتحدث بين أى أبوين وأطفالهما المراهقين ، إلا أن هذين الأبوين كانا مقتنعين تماماً بأن تلك المشكلات ناتجة عن مشاعر الغضب التى تساور ابنتهما حيال كونها مكفولة بجانب حزنها لهجر أبويها الحقيقيين لها . وقد طلبا منى التحدث إلى ابنتهما ومساعدتها على " التأقلم مع مشاعرها " .

وعلى الرغم من أن الابنة لم تكن بحاجة للتحدث مع استشارى نفسى إلا أننى وافقت على التحدث معها . وقد اكتشفت أن الفتاة ليست غاضبة لكونها مكفولة ، ولكنها مللت ذكر أبويها الدائم لهذا الأمر .

قالت : " إنهما يرغبان فى التحدث عن هذا الأمر طوال الوقت . إنه أمر غريب حقاً ! مكفولة ، مكفولة ، مكفولة ! لقد سئمت سماع هذه الكلمة حتى أننى أرغب فى الصراخ ! " .

وبعد ذلك أخبرنى والداها أنهما كانا فقط يعملان بنصيحة الإخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون فى دار الأيتام .

قلت لهما : " إنكما محظوظان " .

قالا : " وكيف ذلك ؟ "

قلت : " لأنكما حتى بعد أن أخذتما بنصيحة المتخصصين وعمدتما بكل حسن نية إلى إثارة موضوع الكفالة كثيراً ، ظلت ابنتكما على رأيها بأن هذا الموضوع لا يستحق إثارة كل هذه الجلبة بشأنه " .

٢٥ ديسمبر

سألنى عدد من رجال الصحافة : (١) عما إذا كنت أعتقد أنه ينبغى أن نخبر أطفالنا أن عدداً من هدايا رأس السنة يمنحها لهم عجوز ضئيل الحجم يدعى " بابا نويل " أم لا ، (٢) كيف وفى أية مرحلة عمرية يجب أن يخبر الآباء أطفالهم أنه لا يوجد ما يسمى بـ " بابا نويل " ؟

١. الأمر سيان سواء صارحت أطفالك بوجود " بابا نويل " أم لا بما أن معظم الآباء يخبرون أطفالهم أن " بابا نويل " يترك لهم هدايا أسفل شجرة عيد الميلاد فى صبيحة رأس السنة . وأنا أقترح على الآباء الذين يرفضون أن يصدق أطفالهم مثل هذه الخرافة أن يؤكدوا لهم على الأقل على مدى انتشارها . وفى رأيى ، لا ضرر على الإطلاق من تصديق الأطفال فى هذه الأسطورة ، كما أنها تساعد الآباء على تحاشى سخط أبنائهم حينما لا يجدون هدية أو اثنتين من الهدايا غالية الثمن التى تمنوا الحصول عليها فى رأس السنة أسفل الشجرة فى صباح اليوم التالى . ولهذه الأسباب ـ وخاصة الثالث ـ جعلت أنا وزوجتى أطفالنا يؤمنون فى وجود " بابا نويل " .
٢. بخلاف ما يفترضه معظم الصحفيين ، فإن حقيقة أن الآباء هم من يجعلون أبناءهم يصدقون أسطورة " بابا نويل " لا تستلزم أبداً أن يصارحوهم فى يوم من الأيام بأن تلك الشخصية ليس لها وجود فعلى . وأحد الأسباب التى تجعلنى أسدى الآباء هذه النصيحة هو أننى مازلت أومن بوجود " بابا نويل " حتى الآن . فبالنسبة لى فإن هذا المخلوق ضئيل الحجم هو روح رأس السنة ؛ فهو يرمز إلى الحب غير المشروط والعطاء غير المحدود أو الأنانى .

وعندما جاءنا طفلانا فى النهاية يشكيان لنا أن أحد أصدقائهما قد أكد لهما عدم وجود " بابا نويل " ، قلنا لهما ببساطة : " حسناً ، إننا نرثى لحال صديقكما هذا ، لأنه حين يتوقف شخص ما عن الإيمان بوجود " بابا نويل " يتوقف هو بدوره عن الإتيان لمنزله " . وبعد أن قلنا لهما هذا غمزنا

لهما بأعيننا ، وقد بدا أنهما استوعبا جيداً هذه الخدعة . وأنا وزوجتي " ويلي " واثقان من أنهما سيجعلان أطفالهما يؤمنون بهذه الأسطورة أيضاً فيما بعد .

٢٦ ديسمبر

إليكم دليل غير قابل للتفنيد أو الجدال بأن الأطفال ليسوا بحاجة إلى الحجج والأسباب : فإن كان الأطفال ـ كما يؤكد المفكرون النفسيون ـ بحاجة حقيقية لمعرفة الأسباب التى تدفع البالغين لاتخاذهم أية قرارات ، فإنهم سيطالبون دوماً بمعرفة السبب وراء كل قرار يتخذه الكبار . ولكنهم لا يفعلون ذلك . فالأطفال لا يطالبون بمعرفة السبب أو الأسباب وراء قرارات الكبار إلا حينما لا يكونون راضين عن هذه القرارات . فهم لا يطالبون قط بمعرفة هذه الأسباب إن اتفقت مع أهوائهم .

فإن وافق على سبيل المثال أحد الآباء على أن تذهب ابنته البالغة من العمر ثلاثة عشر عاماً لإحدى حفلات موسيقى " الميتال " الصاخبة بصحبة صديقاتها المراهقات الأكبر منها سناً والتى تقام فى مدينة تبعد خمسين ميلاً عن المنزل ثم تبيت الليلة فى منزل إحدى صديقاتها التى لا يعرفها ، فلن تثور الابنة وتضرب الأرض بقدميها سائلة والدها " لماذا ؟!!! " .

أليس هذا صحيحاً ؟ بالطبع إنه صحيح . فالابنة لن تطالب بمعرفة سبب القرار إلا إذا قال لها أبوها : " أنت تمزحين بدون شك . الإجابة هى " لا " بالطبع " .

ومادام الأطفال لا يعبرون عن تلك " الحاجة " المفترضة حيال جميع القرارات التى يصدرها الآباء وإنما فقط بعضها ، فإننا إذن لا نتحدث عن " حاجة " . فالاحتياجات ليست اختيارية . لا ، إن الأطفال ليسوا بحاجة لمعرفة الأسباب ، الحقيقة أنهم يريدونها . وهم يريدونها لأنهم تعلموا أن البالغين الذين تصل بهم درجة الغباء إلى محاولة تبرير تصرفاتهم لأطفالهم من الممكن إيقاعهم بسهولة فى شرك الدخول فى مجادلات . والبالغ الذى يمكن إيقاعه فى شرك المجادلات من الممكن هزيمته . والأطفال مقامرون حقيقيون فيما يتعلق بمثل هذه الأمور . فإن نجح الطفل فى جر أب أحمق داخل عشرة مجادلات ونجح فى " الفوز " فى إحداها فقط ، فسوف يواصل السعى وراء جر أبيه دوماً للتجادل معه .

٢٧ ديسمبر

إن المكافآت تحول دون تقبل الأطفال تحمل مسئولية تصرفاتهم . فبدلاً من أن يتعلم الطفل أن للسلوكيات السيئة عواقب وخيمة (وهى الطريقة التى تسير بها الأمور فى الحياة الواقعية) ، قد تؤدى المكافآت إلى انتهاج الطفل سلوكاً ماكراً فحواه " ماذا سأجنى من وراء ذلك ؟ " حيال التصرفات الصائبة . بمعنى آخر ، بدلاً من أن يتعلم الطفل أن السلوك الصائب هو مكافأة فى حد ذاته ، يتعلم كيف يعقد صفقه يكون فيها مجرد وعده بإحسان السلوك هو السبيل للحصول على مزيد من الألعاب والمزايا وغيرها مما لذ وطاب .

لم يمض وقت طويل على إلقائى محاضرة على مجموعة من الآباء فى " ميامى " ، و " فلوريدا " عن مخاطر استخدام أسلوب المكافآت . وبعد المحاضرة اقتربت منى إحدى الأمهات وشكرتنى عما أبديت من ملاحظات . قالت : " لطالما استخدمت أسلوب المكافآت لأننى كنت أعتقد أنه يساعد فى تعزيز ثقة الأطفال بأنفسهم . والآن أنا أفهم لماذا يطرح علىّ طفلى هذا السؤال فى كل مرة نخرج فيها معاً : لو أحسنت السلوك ، هل ستشترين لى لعبة ؟ " .

أما تقديم مكافأة بطريقة عفوية بين الحين والآخر كتقدير لتقدم أحرزه الطفل فى مجال معين فلا بأس به . فالمكافآت التى لم يتفق عليها مسبقاً تلقى استحساناً أكثر من قبل الأطفال وبالتالى تكون أكثر فاعلية فى تعزيز السلوكيات الحسنة والثقة بالنفس لدى الأطفال . ومما لاشك فيه أنه ينبغى الثناء على الأطفال حينما يحققون أية إنجازات ، ولكن حتى الثناء يكون أكثر فاعلية حينما يأتى على فترات متباعدة .

كانت أمي تؤمن أن مكان الأطفال الحقيقى هو خارج المنزل ، إن كانت الظروف تسمح بذلك . ففى تلك الأوقات التى كنت أحوم فيها حولها كانت تعنفنى - ولكن برفق - وتقول لى : " جون روزموند ! إنك تلاحقنى كظلى ! وأنت تعرف شعورى حيال هذا الأمر ! الآن أنت تلحظ كم أنا مشغولة ، لذا فلتبحث لك عن شىء تقوم به ! " . وبعد ذلك كانت تفتح باب المنزل وتدفعنى خارجه لأجد نفسى واقفاً فى الشارع أمام باب بيتنا مع خمسة أو ستة أطفال آخرين قامت أمهاتهم كذلك بطردهم من منازلهم . ولكننا كنا نلعب معاً . نعم لقد قامت أمهاتنا بنفينا ولكن لم يخطر على بالنا قط أن أمهاتنا كن يكرهننا . ولم نكن نشعر بالاستياء والسخط حينما نعاود دخول المنزل بعد طردنا منه ، بل لم نكن حتى نعاود التفكير فى هذا الأمر مجدداً . لقد كنا فقط نلعب ، وقد كنا نستمتع بوقتنا حقاً !

وفى بعض الأحيان ، كانت الأمهات يطردن أطفالهن خارج المنزل ويخبرنهم أنهم إذا عاودوا الدخول قبل موعد الوجبة التالية فسوف يظلون حبيسى المنزل يساعدونهن فى أداء المهام المنزلية حتى نهاية اليوم . وبعض الأمهات ممن كن يقطن نفس الحى الذى نعيش فيه كن يطردن أطفالهن خارج المنزل ويوصدن الأبواب بالمفتاح !

وأنا لا أقترح عليكم القيام بذلك ، بل أعتقد أن فى ذلك بعض القسوة وحتى الخطورة . أنا فقط أوضح لكم كيف كانت تتسم علاقة السيدات من جيل أمي بأطفالهن بالتحررية . فقد أنشأن ما نطلق عليه اليوم " حدوداً " بينهن وبين أطفالهن ، وقد كن هن فقط من يحددن متى يسقطن هذه الحدود . فلم تكن هؤلاء الأمهات بأية حال من الأحوال يتتبعن أطفالهن فى كل مكان تلبية لرغباتهم . بل كان العكس هو الصحيح - فكان الطفل يعلن فروض السمع والطاعة بمجرد أن تناديه أمه : تعال هنا مسرعاً !

يتسم طفل اليوم بأنه أكثر خبرة من نظيره منذ أربعين عاماً ، والفضل فى ذلك يرجع فى معظمه للتلفاز . فالطفل ليس بحاجة لأن يتعلم كيف يشاهد التلفاز ، ولأن برامج التلفاز مرئية فحتى الأطفال الذين لم يلتحقوا بالمدرسة بعد ـ إلا إن كانوا صغاراً للغاية ـ يستطيعون فهم ما يحدث بين الكبار . فالطفل الصغير على سبيل المثال حينما يقرأ رواية للكبار قد لا يفهم أن هناك رجلاً وامرأة يتبادلان الغرام ، ولكنه يفهم ما يحدث بدقة حينما يرى نفس المشهد مصوراً على شاشة التلفاز . وبهذه الطريقة (والمشكلة ليست مقتصرة على ما يعرضه التلفاز من مشاهد إباحية فقط) ، يفقد الأطفال براءتهم . فإطلاع الأطفال على نفس الأشياء التى آمن أجدادنا من قبل بضرورة إخفائها عنهم أدى إلى إكساب هؤلاء الأطفال المزيد من الخبرات .

وأنا دوماً ما أقارن هذا الموقف بزراعة أحد النباتات فى صوبة حرارية . فأوراق هذا النبات تنمو وتزدهر وتبدو رائعة لكن تبقى جذوره ضعيفة وغير مكتملة النمو . وبالمثل ، فإن طفل الصوبات الحرارية يبدو من الخارج محنكاً وناضجاً وواسع المعرفة وحتى أكثر حكمة . ولكن هذا المظهر الخادع يخفى تحته قيماً مازالت فى مرحلة النمو .

فمن الضرورى أن يتعلم الطفل مجموعة من المبادئ والقيم أولاً لكى يستطيع تشرب المعرفة بفاعلية . لنصغ الأمر بطريقة أخرى ، المعرفة غير القائمة على أساس ثابت من القيم تنطوى على خطورة . دعونا نستشهد بمثال مادى : الفارق كبير بين أن يعرف المرء خطوات الزواج ، ويعرف أنه لكى يقوم بذلك يجب أن تتوافر معايير معينة . وبمشاهدة التلفاز ، يتعلم الطفل خطوات الزواج قبل أن يكون قد اكتسب القيم اللازمة المصاحبة لها .

يظل الطفل طوال مرحلة طفولته بأكملها تقريباً يتعلم مجموعة من القيم والمبادئ . ولكن الأمر لا يتطلب من الطفل أكثر من مشاهدة برنامج تليفزيونى واحد كى يصبح " خبيراً " فى سلوكيات البالغين ، ويتعلم أن الغاية تبرر الوسيلة ، أو يتعلم أن الزواج هو مسألة ثانوية مؤقتة يفوقها أهمية العلاقات الاجتماعية .

سؤال : إن ابنى فى الخامسة عشرة من عمره الآن ، وقد أدركت أنا ووالده أننا لم نقم بواجباتنا تجاهه على النحو الأمثل . فقد منحناه الكثير ولم نطلب منه سوى أقل القليل ، وأخذنا نتذمر من سلوكياته السيئة بدلاً من أن نتخذ إجراء حيالها ، وكنا ندافع عنه إن أوقع نفسه فى المتاعب فى المدرسة بدلاً من أن نقف فى صف معلميه . وكنتيجة لهذا ، أصبح ابنى حالة ميئوساً منها . هل تأخر الوقت لإصلاحه ؟

الإجابة : فى المقام الأول ، ليس كل ما فعلتماه من أجل طفلكما كان خطأ . فمن الواضح أنكما تهتمان لأمره وإلا لم تكونا لتكترثا كثيراً لما يعانيه من مشكلات ناهيكما عن طرق مساهمتكما للمساعدة فى حل هذه المشكلات .

ولكننى أشعر أن أكبر خطأ ارتكبتماه هو تشكيكما الدائم فى مدى صحة قراراتكما وإظهار هذا التردد أمام ابنكما . فعندما كان يصرخ لأنكما لم تلبيا إحدى رغباته ، كنتما تشككان فى صحة قراركما وتستسلمان له . وعندما كان يشكو منه أحد الأشخاص ، كنتما ترفضان تصديقه ، وتناصران طفلكما .

ولكن مجرد طرحكما هذا السؤال يعنى أن الوقت لم يتأخر . ولكن عليكما استيعاب شىء واحد : عند هذا الحد ، قد تحرزان المزيد من النجاح إن حاولتما إصلاح نفسيكما أولاً . وأنا أنصحكما بالقيام بذلك . فعلى أسوأ تقدير إن فشلتما فى إصلاح طفلكما ، فسوف تنجحان على الأقل على التعايش مع نفسيكما على نحو أكثر سلاسة .

توقفا عن الرضوخ لمطالبه واتركاه يصرخ ويثور ويجول ويدرك أنكما قد غيرتما من سياستكما فى التعامل معه . ابدءا فى مطالبته بالتعاون فى أداء المهام المنزلية (دون مقابل) والتحدث بطريقة مهذبة مع جميع أفراد الأسرة - حتى وإن كان يتصنع هذا . واطلبا منه بحزم تعديل سلوكياته فى المدرسة وبذل قصارى جهده كى يرتفع أداؤه الدراسى . وأخبراه أنكما سوف تقومان بتسجيل مدى تقدمه لتريا إن كان سيحرز تقدماً أم لا . ولكن حذراه بأنه إن لم يحرز تقدماً فلن يكون باستطاعته قيادة سيارة الأسرة قبل أن يبلغ السادسة عشرة من عمره - وبالطبع لن تشتريا له سيارة خاصة . باختصار ،

عرفاه بالعالم الحقيقي حيث يجب أن يكون المرء مسئولاً كي يحصل على إحدى المزايا ، ويعمل بكد كي يستطيع الحفاظ على وظيفته ، ويحترم الآخرين ويكون على أتم استعداد لتلبية نداء الواجب (أحد دلائل احترام الذات) . وإن لم يعمل طفلكما بعد ذلك على تصحيح أخطائه ، فسوف تستطيعان على أقل تقدير أن تؤكدا بكل فخر أنكما قد قمتما بتصحيح أخطائكما .

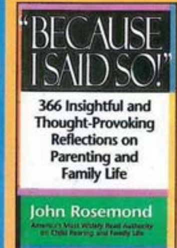
٣١ ديسمبر

لا شك فى أنك سوف ترتكب أخطاء ـ بل الكثير منها . ولا شك أن صبرك سينفد ، وتبالغ فى رد الفعل ، أو لا تنفعل على الإطلاق ، أو لا تتخذ أى إجراء إلا فى وقت متأخر للغاية . إنك لست مخلوقاً كاملاً ، وبالتالى فلن يكون بإمكانك أن تكون أباً مثالياً وكاملاً . ولن تقترب حتى مجرد الاقتراب من ذلك . يا لها من أخبار سيئة ، أليس كذلك ؟

نعم ، ولكن الجانب المشرق هو أن الأطفال أكثر تحملاً ـ فى العادة من آبائهم . وهذا يعنى أن الأطفال يتعافون من وطأة الأخطاء التى يرتكبها الآباء فى حقهم أسرع مما يتعافى الآباء من مشاعر القلق والذنب التى يولدها أطفالهم بداخلهم . فهل لاحظت إلى أى مدى يكون الأطفال متسامحين ؟ فيظهرون وكأنهم يدركون أن أخطاء آبائهم ما هى إلا جزء من كونهم بشراً ، وقيامهم بأخذ الأطفال على محمل الجد ، وإيجادهم صعوبة فى مسامحة أنفسهم . لذا ففى الوقت الذى تشعر فيه بالندم لارتكابك أحد الأخطاء التربوية ، يزحف طفلك نحوك ويقفز فوق ساقيك طالباً احتضانك ، وكأنه يقول لك : " إن كل شىء على ما يرام يا أبى ، لذا ترفق بنفسك قليلاً ، حسناً ؟ " .

وإليك المزيد من الأخبار السعيدة : إذا استطعت أن تنتهى من قراءة هذا الكتاب فأنا أضمن لك أنك لن تصبح مثل هؤلاء الآباء الذين يرتكبون نفس الأخطاء مراراً وتكراراً . ولكنك سوف تتعلم من أخطائك ، وبمرور الوقت سوف تصبح أباً أفضل . نعم إنك لن تصل إلى درجة الكمال ، ولكنك ستبقى دوماً الأب أو الأم الذى يختاره طفلك لنفسه . لذا حاول دوماً أن تبذل قصارى جهدك ، واعلم أن قصارى جهدك سيبقى دوماً أكثر مما يكفى .

فلتستمتع !



صاحب أكثر الكتب رواجاً في مجال تربية الأطفال والحياة الأسرية يعود إليكم مجدداً بـ ٣٦٦ نصيحة من النصائح الذكية التي تساعد على التخفيف من ثورة الآباء.

هذا الكتاب، والذي يُعد أحدث إصدارات "جون روزموند"، يلقي الضوء على كل ما يخص تربية الأطفال بدءاً من المصروف إلى المشاحنات التي تحدث بين الأخوة، وهو يحمل الطابع العملي المغلف بالفطنة والحكمة والذي لمسه ملايين القرّاء في مؤلفاته الستة السابقة، ومنها:

Making the "Terrible" tows terrific", "John Rosemond's Six-Point Plan for Raising Happy, Healthy Children" and "A Family of Value".

يحتوي هذا الكتاب على ٣٦٦ نصيحة أو "فكرة" موجهة للآباء الذين أنهكتهم كثرة النزاعات مع أطفالهم، كل منها يحمل تاريخاً محدداً. وتتسم تلك الخواطر بخفة الظل والحصافة ودائماً ما تولد في ذهن القارىء المزيد من الأفكار عن التربية. وتعمل تلك النصائح معاً على توضيح العلاقة المعقدة الموجودة بين تربية الأطفال والزواج والأسرة.

وقد استمد "روزموند" فلسفته من عصر يتسم بأنه أكثر بساطة لم يكن الآباء فيه يضطرون لاستخدام أكثر من عبارة "لأنني قلت ذلك!" لتبرير تصرفاتهم لأطفالهم. ويؤكد "روزموند" أنه ما من شيء قد تغير، فالتربية الناجحة ما زالت تعتمد على نفس المكونات الأساسية التي طالما أثبتت فاعليتها مع آلاف الآباء من الأجيال السابقة. وعن طريق الأخذ بنصائحه عتيقة الطراز والبديهية، لن يجد الآباء أنفسهم في النهاية يقفون أمام أبناء مدللين ووقحين، وسيستطيعون التعامل مع مختلف المشكلات اليومية التي تجابههم بفاعلية . ومنها التبوّل اللاإرادي والملل والأنانية وإدمان مشاهدة التلفاز.

إن هذا المؤلف ـ الذي يكتب بشكل أسبوعي في أكثر من ١٠٠ جريدة واسعة الانتشار في كل أرجاء البلاد ـ هو محل ثقة ملايين الآباء الذين يدركون جيداً أنه يجسّد صوت العقل.





